

الوفا^٢

بأحوال المصطفى^٢

للإمام أبي الفتح عبد الرحمن بن الجوزي

٥١٠ - ٥٩٧ هـ

صححه ونسقه وعلق عليه

محمد زهري البخاري

من علماء الأزهر الشريف

الجزء الأول

يطلب من

المؤسسة السعيدية بالرياض

شارع الخزان ، بناية أحمد حمد القصبي وإخوانه

هاتف ٢٥٥٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر (*)

اللهم لك الحمد على حدّك بعد علمك ، ولك الحمد على عفوكم بعد قدرتك ، ولك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

ونصلي ونسلم على خاتم رسلك ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، الذين اقتفوا سيرته العطرة ، وسنته المطهرة ، علماً وعملاً .

وبعد فلما رأيت الإقبال الكبير من الجمهور العظيم على إحياء سيرة المصطفى ، عليه من الله أفضل الصلاة وآتم التسليم ، سارعت بإعادة طبعة كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) لصاحب القلم السيال « الشيخ جمال الدين ، عبد الرحمن بن الجوزي » رحمه الله .

وقد شارك في تصحيح هذا الكتاب ، والتعليق عليه صديقنا السلفي ، فضيلة الشيخ محمد زهرى النجار .

كما أننا اخترنا لهذا الكتاب ، ما يكمل جماله ، في جودة الورق ، وجمال الحرف ، وإتقان الطبعة وإنجازها .

كما نرجو من الله العليّ القدير ، أن يعيننا على إعادة طبعة كتاب « نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز » لمؤلفه رفاعة الطهطاوى .

(*) الناشر : فهد بن عبد العزيز السعيد صاحب المؤسسة السعيدية بالرياض هاتف ٢٥٥٦١ ش الخزان بناية أحمد حمد القصيبي وإخوانه .



مقدمة المصحح

الحمد لله القائل : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

والصلاة والسلام على سيد الخلق ، والهادى إلى الحق ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ، الذين بذلوا أنفسهم وكل نفيس لديهم ، في سبيل نعمة هذا الدين القويم .

وبعد ، فمعلوم لدى كل عاقل ، أن كل علم يشرف بشرف موضوعه .

وما خلق الله الإنس والجن إلا ليتزودوا من دنياهم بالأعمال الصالحة لحياتهم الخالدة ، كيلا يروا أعمالهم خسرات عليهم ، ويقول أحدهم متحسراً « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » .

ولا تتحقق السلامة من الاصطلاء بفضب الله ، نار الله الموقدة ، إلا بالعمل ، ولا يصح العمل إلا بترسم خطوات سيد المرشدين محمد صلى الله عليه وسلم ، والتعريف بسيرته العطرة .

والكتاب الذى بين يديك أيها القارىء الكريم ، قد ضم بين دفتيه خلاصة طيبة من سيرة سيد الأنبياء وصفوة الأصفياء .

ألفه إمام نابه الذكر ، ووعاء من أوعية العلم فى شتى أنواعه .

قدّمه للناس عامة ، وللمسلمين خاصة ، ليتعرفوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف النواحي .

ولا أريد أن أستقصى تلك النواحي بل أترك ذلك لك أيها القارىء .

وخلاصة ما أصف به هذا الكتاب ، أنه كروضة حوت من جميع الثمار وأنواع الورود والأزهار .

فزأرها أشبه بالطيور التي تنتقل من شجرة إلى شجرة ، ومن فنّ إلى فنّ ، وقد انطلقت حناجرها بأطرب الأغاريد وأعذب الألحان .

وكذلك من يقرأ هذا الكتاب ، ويتنقل في رياضه .

بينما يمدّ نفسه أمام التعرف بصفة النبي خلقاً ، إذا هو ينتقل إلى التعرف إلى صفة أخلاقه التي لا تدانئ ، فضلاً عن أن تُسامى ، حتى استوى على عرش قلوب قومه ، فكان أعزّ إنسان في نفوسهم .

ثم ينتقل إلى بدء النبوة وما سبقه من الإرهاصات ، وإلى القيام بالدعوة ومراحلها ، وإلى صموده أمام تلك الصعاب والعقبات الكأداء ، التي اعترضت دعوته ، ثم إلى هجرته ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وقيامه بالجهاد ، والمعاملة الحسنة للأسرى ، وكيفية عشرته لأصحابه ولأزواجه .

فتنتهى رحلة القارىء من تلك الرياض ، وقد امتلأ معرفةً بأحوال المصطفى علماً وعملاً ، وتعظيماً لقدره .

عملنا في هذا الكتاب

قرأت الكتاب بتمعن وعلى مكث . فعمدت إلى الأخطاء المطبعية فصححتها ، وإلى الآيات القرآنية فضبطتها بالشكل الكامل وخرَّجتها ، وكذلك الآيات الشعرية .

ثم تتبعت المفردات اللغوية في النثر والنظم ، فأوضحت معانيها ، وذلك استجابة لطلب بعض أفاضل العلماء .

وقد بذلت جهداً في ذلك يقدره من يعانى مثل هذا العمل .

ونسقته تنسيقاً يجمع في عيون القراء ، وأخرجته إخراجاً ، أرجو أن يكون في أهي حلة وأجل منظر .

وعمدت إلى التعريف بالمؤلف فأثبتته كما حرره أخونا الفاضل الدكتور مصطفى عبد الواحد ، اعترافاً بمجهوده ، وكراهيه منى لهضم حق الغير والسُّطو على عمله .

واقصرت من مقدمته على ما يخص ترجمة المؤلف .

التعريف بالمؤلف (١)

أما المؤلف فهو (٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن على بن محمد ، ابن على بن عبد الله ابن حمّادى ، بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى القرشى التيمى البكرى البغدادى ، الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ .

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٣٢٩/٤ ووفيات الاعيان ٣٢١/٢ وتذكرة الحافظ ١٣٥/٤ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى .

والجوزى نسبة إلى فرضة الجوز - كما يقول ابن خلكان - أو إلى
حملة الجوز بالبصرة - كما يقول ابن العماد .

ولد سنة عشر أو ثمان وخمسة - ومات سنة سبع وتسعين وخمسة .
نشأ يتيماً ، فمات أبوه وله ثلاث سنين ، فربته عمته .

قال عن نفسه (١) : « فإن أبى مات وأنا لا أعقل ، والأم لم تلتفت إليّ » .
فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر ، وهو خاله ،
فاعتنى به وأسمعه الحديث ، وحفظ القرآن ، وقرأه على جماعة من القراء ،
بالروايات .

وقد نشأ شغوفاً بالمعرفة ، محباً للطلب ، فسمع الكثير ، ونظر في جميع
الفنون . كما قال :

« فركز في طبعى حب العلم ، وما زال يوقنى على المهم فالمهم ، ويحملنى
إلى من يحملنى على الأصوب ، حتى قوّم أمرى » .

وقد كان لابن الجوزى شيوخ كثيرون يبلغون سبعة وثمانين شيخاً .
منهم ابن ناصر ، وهو كثير النقل عنه ، وعلى بن عبد الواحد الدينورى .
وابن الحُصَيْن ، وأبو عبد الله البارع ، وأبو الوقت السجزي .
وكان معظماً لأبى الوفا بن عقيل متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه .
وقد بلغ ابن الجوزى منزلة عالية في الحديث وصناعة الوعظ .
أما الحديث ، فقد اشتهر به ، ولقب فيه بالحافظ ، وصنف فيه الكثير ،
وبلغ من وثوقه بنفسه فيه أن قال :

(١) عبارات المؤلف في الحديث عن نفسه منقولة عن كتابه صيد الخاطر
في مواضع متفرقة .

« ولا يكاد يُذكر لى حديث ، إلا ويمكننى أن أقول : صحيح ،
أو حسن ، أو محال . »

وهذا القول ليس غروراً ولا ادعاء ، ولكنه قول من يعرف قدر نفسه
ويحيط بموهبته .

والحق أن ابن الجوزى أخلص للحديث كثيراً ، وبذل الكثير فى سبيل
بلوغ الرتبة العالية فيه :

ويحدثنا عن ذلك فيقول :

« كنت فى زمان الصبا أخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج فى طلب الحديث
وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند المساء .

فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى ، لا ترى إلا لذة
تحصيل العلم .

فأثر ذلك عندى أنى عرفت بكثرة سماعى لحديث الرسول صلى الله عليه
وسلم وأحواله ، وآدابه ، وأحوال الصحابة وتابعيهم . »

ويذكر ابن خلكان فى ذلك أنه قد جمعت برأية أقلامه التى كتبت بها
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحصل منها شئ كثير ، وأوصى أن
يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك ، فكففت وفضل منها !
وأما الوعظ ، فقد اتجه إليه ابن الجوزى منذ نشأته ، فوعظ من صغره ،
وفاق فيه الأقران ، ونشأت له فى ذلك ملكة مجيبة ، وبديهة حاضرة ، وتاب
على يديه الآلاف وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء .

ويقول ابن الجوزى :

« ولقد تاب على يدي فى مجالس الذكر ، أكثر من مائتى ألف ، وأسلم

على يديّ أكثر من مائتي نفس ، وكم سالت عين متجبرّ بوعظي لم تكن تسيل .»

وكان مجلسه يقدرّ في بعض الأحيان بمائة ألف ، وحضر مجلسه الخليفة المستضيء ، مرات من وراء السّتر .

ومع اشتهار ابن الجوزي بالحديث والوعظ ، فقد تبجّر في غيرها وشارك في ألوان الثقافة الأخرى ، فبرع في علوم مختلفة ، وحاز مكانةً في أكثر من ميدان وطلب من كل فن ما أطاق ..

يقول عن نفسه : « إني رجل حُبّب إلىّ العلم من زمن الطفولة ، فتشاغلتُ به ، ثم لم يحبّب إليّ فن واحد منه ، بل فنونه كلها ، ثم لا تقتصر همتي في فن على بضعه ، بل أروم استقصاءه .»

وقد جنّى ابن الجوزي من تحصيله الكثير ثمرة فائقة ، سمت به إلى مكانة مرموقة في ميدان الثقافة الإسلامية وأحلّته منزلة باهرة ، حتى ليقول عن نفسه « وما نلتته من معرفة العلم لا يقاوم ! » .

وليس ذلك ادعاء ولا تعالماً من ابن الجوزي ، فأماه المتعددة تدلّ على المدى البعيد الذي سار فيه ، في تحصيله ودراسته .

فهذه كتبه في التاريخ ، لا تقل مكانة عن المصادر الموثوق بها المعول عليها . وأشهرها : « المنتظم في تاريخ الأمم » .

وكتبه في علوم اللغة مثل « تذكرة الأريب » في اللغة ، و « الوجوه والنظائر » ، و « تقويم اللسان » ، و « المقيم المقعد » في دقائق العربية ، تدل على مشاركته في ذلك الميدان الذي لم يكن لواعظ محدث مثله ، أن يتسع اهتمامه به إلى ذلك الحد ، إلى جانب مراجعته في التفسير ، وعلوم القرآن التي فُقد أكثرها - وغير ذلك من علوم الفقه ، ونقد الفكر الإسلامي ..

فإذا تجاوزنا النطاق العلمى إلى النطاق الاجتماعى والسياسى فإننا نجد
ابن الجوزى موقفاً متميزاً فى صلته بعصره وموقفه من المجتمع الذى كان
يعيش فيه ..

فمن جهة لم يكن ابن الجوزى من وعاظ السلاطين أو حاشية الملوك الذين
تُستكمل بهم زينة الملك أو يملأون حيزاً حُدِّد لهم وأريد ألا يتجاوزه ..
بل كان الرجل ذا شخصية فذة ، عرف مكانه من عصره وبيئته ، فانطلق
يجاهد بسلاحه الذى يمتلك ، وهو الوعظ والكتابة - وتجاهى ، بنفسه ،
عن ظل السلطان ، ونجا من اللداهنة فى قوله أو الرياء بعلمه ، ومن هنا استطاع
أن يستعلن بكلمة الحق وأن يعرف الإصرار على رأى والحدة فى الإقناع ..
وتلمح خطته فى الإصلاح ومنهجه فى الثورة على المفاسد فى كتابه « تلبس
إبليس » الذى حدد فيه موقفه من الفكر والسلوك فى عصره ..

وفى هذا الكتاب يختص شذوذ التصوِّفة ومخالفاتهم للشريعة بجانب
كبير ، وقد اشتهر ابن الجوزى بعدائه لمبتدعات الصوفية وإنكاره لكل
ما يخرج عن حدود النقل الصحيح ..

وهو بهذا سُنِّي سلفى ، لا يرتبط بمذهب يحمله التعصب على نصرته
ولا يأوى إلى رأى يزود عنه أو يقنع به ، ولكنه مجتهد فى فهم الكتاب
والسنة متقبِّل لما سائر العقل من الأثر ، ولهذا لم يبال أن يخالف أحداً من
سبقوه ما دام ضياء العقل وبهاء النقل فى يده !

ولذلك تراه يردُّ على الإمام الغزالي كلَّ ما لا يتسق مع المنهج الفقهى
الذى ارتضاه الغزالي نفسه ، إذ كان الغزالي المتصوف ، يناقض فى بعض
الأحيان ، الغزاليَّ الفقيه !

وقد كان ابن الجوزى يُعجب من ذلك ويلفت إليه .

وقد كان ابن الجوزي حنبلي المذهب ، إلا أنك لا تحس منه جهوداً عند رأي ، بل إن سناء عقله ، يقف من التراث الإسلامي كله ، مُشرقاً يتطلع إلى الحق أين كان . . .

ولهذا لم يرتض الحنابلة أنفسهم كثيراً من آراء ابن الجوزي ، بل إنهم تقموا عليه بعضها .

يقول عنه ابن رجب الحنبلي في طبقات الحنابلة :

« نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا ميله إلى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك ، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو إن كان مطّلعاً على الأحاديث والآثار ، فلم يكن يحلّ شبه المتكلمين وبيان فسادها » .

ثم علل اضطرابه بأنه : « كان معظماً لأبي الوفاء ابن عقيل ، متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه ، وإن كان قد ردّ عليه في بعض المسائل .

وكان ابن عقيل ، بارعاً في الكلام ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فهذا يضطرب في هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له في هذا التلّون » .

ويقول عنه الشيخ موفق الدين المقدسي : « كان ابن الجوزي حافظاً للحديث ، وصنف فيه ، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقتهم فيها » .
والحق أن تعظيم ابن الجوزي لأبي الوفاء بن عقيل ، ليس تعصباً ولا جهوداً ، ولا تعبداً بفكر .

إذ أن ابن عقيل هذا - حسب نقوله التي يرويها عنه ابن الجوزي في كتبه المختلفة ، ومن بينها الكتاب الذي بين أيدينا - رجل طليق الفكر والرأي ، مشرق الفهم ، بصير في اتجاهه .

فلعل إعجاب ابن الجوزي به ، إعجاب المشارب المتفقة والأذواق المتلائمة .
وخاصة ، حين نذكر أن ابن الجوزي ، لم يلتق بابن عقيل هذا ، ولم
يتصل به ، فقد توفي ، قبل أن يولد ابن الجوزي .

وكل ما هناك ، أن الرجل التقى به بفكره ، وتلَّحَّح من آثاره ، سعة
الأفق ، واستنارة البصيرة ، وحرارة الإخلاص . .

ولم يكن بدُّ أن يتعرض ابن الجوزي - في صراحيته وجهره بالحق -
لعداوات فكرية ، وسياسية ، جلبت له كثيراً من الحرج والأذى .

فقد كانت الخصومات المذهبية ، تشتد حتى يصيبه لَفْحُهَا ، وحتى تُدَبِّرَ له
المكائد بسبب إعلانه ، لما يراه حقاً ، دون خشية أو مواربة .

يروى الذهبي في تذكرة الحفاظ (١) : « أنه قام عليه الركن عبد السلام
ابن عبد الوهاب الحنبلي تجاه الوزير القصاب ، وكان الركن سَيِّء النُّحْلَة ،
أحرق كتبه بإشارة ابن الجوزي ، وأعطى مدرسة الحنبلي .

فحمل الركن عليه وقال : لابن القصاب الشيعي : أين أنت من
ابن الجوزي؟! فإنه ناصبيٌّ ، ومن أولاد أبي بكر!

فجاءه من شتمه وأهانته ، وختم على داره ، وشتت عياله .

ثم أخذ في سفينة إلى واسط ، فحبس بها في بيت ، وبقي يغسل ثوبه
ويطبخ ، ودام على ذلك خمس سنين ، وما دخل فيها حَمَاماً ! » . .

أما الخصومات الفكرية فقد كان بعضها يصل إلى درجة الهجوم عليه ،
مثل وصف ابن الأثير له - في مقدمة كتابه الباب - بالتدليس ، في صدد
دفاعه عن السمعاني ، وكان بعضها هيناً إلى درجة النقد الخفيف ، من أنه

كان يقع السهو في تصانيفه ، وأنه كان يتم الكتاب فلا يراجعه ، وأن معظم ما كتبه ليس من ممارسة العلماء .

كتبه

كان ابن الجوزي من المكثرين من الكتابة الموقنين في التأليف ، حتى شاعت له شهرة في ذلك ، وأحاطت المبالغة بعدد كتبه .

فهذا ابن العماد الحنبلي يذكر أن ابن الجوزي سئل عن عدد تصانيفه فقال : « زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا ، منها ما هو عشرون مجلدًا وأقل » .

ويقول الذهبي : « ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا

الرجل » .

ويقول ابن خلكان : « وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعدّ ، وكتب

بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يُغالون في ذلك » .

وفي الحق أن هذا الرجل كان عميق الثقافة ، مُتسع المدارك ، خالياً من

الشواغل والآفات ، فأكثر من الكتابة والتصنيف .

ولكن هذا العدد الذي يُذكر لكتبه ، محوط بالتهويل والمبالغة .

ولعلمهم كانوا يعدون الأجزاء من الكتاب الواحد كُتباً متعددة !

والذي يذكر من كُتبه في التراجم ، لا يكاد يبلغ المائة .

والمؤسف أن القدر الذي بقي من كُتبه لا يزال أكثره في طوايا

النسيان ، لا يجد من يعتنى به أو يصونه ، مع أن هذا التراث لرجل واحد ،

كان خليقاً بأن تقوم عليه جامعة إسلامية ، تنفض عنه غبار الدهر وتدفع عنه

يد البلي ، وقد كان الأزهر الشريف ، أحق بذلك فيستيقظ لرسالته ، وينتبه لأعيانه ، ويمارس في عالم الواقع ، ما يُرجى له !

إن ابن الجوزي يجد من يهتم بكتيبه وآثاره من الأوربيين المستشرقين أكثر من العرب المسلمين ، والدليل على ذلك أن أكثر كُتبه المخطوطة في المكتبات والجامعات الأوربية ، ولا أنسى أنني أخرجت كتابه «ذم الهوى» عن نسخة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ونسخة مكتبة باريس الأهلية ، على حين أنني لم أجد نسخة يعول عليها في مكتباتنا العربية .

إنني أدعو من هذا إلى صيانة آثار ابن الجوزي وتبع كتبه المقتودة أو القائية عنا واستردادها - عن طريق نشرها - من أيدي الأوربيين والمستشرقين الذين عنوا بترائنا على غفلة منا واستهانة .

ولا بأس هنا أن نذكر بعض ما عرف من كتب ابن الجوزي في الفنون المختلفة ، ونشير إلى المطبوع منها :

(١) في علوم القرآن وتفسيره :

- ١- المعنى في علوم القرآن .
- ٢- فنون الأفتان في مجائب علوم القرآن .
- ٣- زاد المسير في علم التفسير . طبع في دمشق .
- ٤- المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن . ٥- التفسير الكبير في عشرين مجلداً .
- ٦- إخبار أهل الرسوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ طبع سنة ١٣٢٢

(ب) علوم الحديث :

- ١- الكشف في أحاديث الصالحين .
- ٢- تهذيب المسند - عشرون مجلداً .

- ٣- المختار من أخبار المختار . ٤- مشكل الصحاح- أربع مجلدات .
- ٥- جامع المسانيد- سبع مجلدات . ٦- الموضوعات .
- ٧- الواهيات . ٨- الضعفاء .
- ٩- تليقح فهوم أهل الأثر [مطبوع بالهند] .

(د) الوعظ :

- ١ - بستان الواعظين . طبعه محمود صبيح مرتين .
- ٢ - نتيجة الإحياء [اختصر به إحياء علوم الدين] .
- ٣ - تبصرة الأخيار . ٤ - روح الأرواح [طبع] .
- ٥ - الثبات عند المات . ٦ - المورد العذب .
- ٧ - لفية الكبد إلى نصيحة لولد [طبع] . ٨ - القصاص والمذكرون .
- ٩ - منهاج المريدين . ١٠ - التبصرة . ١١ - المدهش [طبع] .
- ١٢ - رءوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير- طبع
بالجمالية سنة ١٣٣٢

- ١٣ - تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم الغمر . ١٤ - الياقوتة في الوعظ .

(د) التاريخ والتراجم :

- ١ - المنتظم [طبع جانب منه] . ٢ - مختصر المنتظم .
- ٣ - مناقب عمر بن عبد العزيز [طبع] .
- ٤ - شذوذ العقود في تاريخ اليهود .
- ٥ - صفوة الصفوة [طبع بالهند] .
- ٦ - مناقب أحمد بن حنبل . طبعه محمد أمين الخالجي .
- ٧ - الذهب السبوك في سير الملوك . ٨ - فضائل القدس .
- ٩ - أخبار الأخيار . ١٠ - أخبار النساء .

- ١١ - مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن .
- ١٢ - مناقب عمر بن الخطاب [طبع] .
- ١٣ - الوفا في فضائل المصطفى [وهو الذي بين أيدينا] .

(هـ) علم الكلام :

- ١ - التحقيق في مسائل الخلاف . بدأ بتحقيقه المرحوم الشيخ أحمد شاكر ولم يطبعه .
- ٢ - الانتصاف في مسائل الخلاف .
- ٣ - دفع شبهة التشبيه والرد على المجسّمة [طبع] في دمشق على نفقة حسام الدين القدسي .
- ٤ - تجريد التوحيد المفيد .

(و) اللغة والأدب :

- ١ - تقويم اللسان .
- ٢ - المقيم المقعد في دقائق العربية .
- ٣ - تذكرة الأريب .
- ٤ - الوجوه والنظائر في اللغة .
- ٥ - الأذكياء [طبع] .
- ٦ - المغفلون . طبعة حسام الدين القدسي بعنوان (الحمقى والمغفلون) .
- ٧ - ذم الهوى [طبع بتحقيق] .
- ٨ - لقط المنافع في الطب ، والفراسة عند العرب .
- ٩ - المقامات .

(ز) النقد الديني والاجتماعي :

- ١ - صيد الخاطر [طبع] .
- ٢ - تلبيس إبليس [طبع] .

وهكذا نرى القليل من كتب هذا الإمام العظيم قد عرف طريقه إلى
النور ، فطبع طبعة رديئة ، وأكثرها تعرف اسمه ، ولا نهتدى إلى مكانه !
ويا لخسارة أمتنا الإسلامية حين تُحرم تراث رجل من رجالها الأفاضل ،
وحين ينفى مصباح من مصابيحها دون أن يهتدى بنوره أحد !

هذا الكتاب

وكتابتنا هذا أحد كتب ابن الجوزي التي تعبر عن جانب من اتجاهاته
العلمية وتشق عن لون من أفكاره وثقافته .

فهو في موضوعه يعرض سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بدايتها
إلى نهايتها ، وفي خلال ذلك يُدرج المؤلف دلائل نبوة الرسول وشواهد
صدقه في دعوته ، كما يوضح خصائصه ويجمع شمائله وهديه ، وما يتعلق
بنواحي حياته ونظام معيشته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِذَاتِ السُّرُورِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِذَاتِ السُّرُورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي قدّم نبينا صلى الله عليه وسلم على كل نبي أرسله ،
وفضّل كتابنا على كل كتاب أنزله ، وجعل أمتنا الأخيرة الأولة ،
فله الشكر من معتقدي أنه به وله .

اعلموا رحمكم الله (١) أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة (٢)
الوجود ، وواسطة العقود ، لا يداني باحة مجده بشر ولا ملك ، ولا يطارق
ساحة جدّه مخلوق إذا سلك .

نوه بذكره قبل خلق آدم ، وأمر الأنبياء أن يُعلموا بوجوده العالم ،
ولم يبعث نبي قبله إلى غير أمته ، وشرف هو على الكل بعموم دعوته ،
ونسخ كثيرًا من شرائع الأنبياء بشريعته .

ولم يأت رأيت خلقًا من أمتنا لا يحيطون علما بحقيقة فضيلته .
فأحببت أن أجمع كتابا أشير فيه إلى مرتبته ، وأشرح حاله من بدايته
إلى نهايته ، وأدرج في ذلك الأدلة على صحة رسالته ، وتقدّمه على جميع
الأنبياء في رتبته .

(١) ز : اعلم رحمك الله . .

(٢) ز : خلاصة .

فإذا انتهى الأمر إلى مدفنه في تربته ، ذكرت فضل الصلاة عليه
وعرّض أعمال أمته ، وكيفية بعثته ، وموقع شفاعته ، وأخبرت بقربه
من الخالق يوم القيامة ومنزلته .

ولا أطرق الأحاديث خوفاً على السامع من ملامته ، ولا أخلط الصحيح
بالكذب (١) كما يفعل من يقصد تكثير روايته ، مثل حديث هامة بين
المهم ، وزريب بن برثملى وما جاء في مجانسته .

إذ في الصحيح ، غنية (٢) لمن قضى الله بهدايته .

وقد زادت أبواب هذا الكتاب على خمسمائة باب والله الوفق برحمته .

(١) لئنه راعى هذا الوعد الذى قطعه على نفسه ، فلقد خلط الصحيح
بالكذب فى بعض اللواضع ! (٢) غنية : استغناء واكتفاء .

ذكر تراجم الأبواب

أبواب بداية نبينا صلى الله عليه وسلم

- الباب الأول : في ذكر التَّنويه بذكر نبينا صلى الله عليه وسلم من زمن آدم صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثاني : في ذكر العطينة التي خلق منها صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث : في دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع : في بيان ذكره في التوراة والإنجيل ، و ذكر أمته واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك .
- الباب الخامس : في إعلام كعب بن لؤي بن غالب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان يسمع من أهل الكتاب .
- الباب السادس : في ذكر منام رآه نصر بن ربيعة اللخمي يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب السابع : في ذكر نَسَب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثامن : في ذكر طهارة آبائه وشرفهم .
- الباب التاسع : في بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب العاشر : في قوله : « وُلدت من فساح لا من سفاح » .
- الباب الحادي عشر : في ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- الباب الثاني عشر : في ذكر منام رآه خالد بن سعيد بن العاص يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث عشر : في ذكر منام رآه عمرو بن مُمرة يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع عشر : في ذكر تزويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بنى زُهرة .
- الباب الخامس عشر : في ذكر أبي نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس عشر : في ذكر تزويج عبد الله آمنة بنت وهب .
- الباب السابع عشر : في ذكر ما جرى لآمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثامن عشر : في ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب .
- الباب التاسع عشر : في ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب العشرون : في قصة الفيل .
- الباب الحادي والعشرون : في ذكر ما جرى عند وضع آمنة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثاني والعشرون : في ذكر ولادته محتونا مسروراً .
- الباب الثالث والعشرون : في ذكر الحوادث التي كانت ليلة ولادته .
- الباب الرابع والعشرون : في ذكر أمهات الحوادث .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس والعشرون : في ذكر كنيته عليه السلام .
- الباب السابع والعشرون : في ذكر أول من أرضعته .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر حليلة وهي التي أرضعته بعد ثويبة .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر شرح صدره في صغره .

- الباب الثلاثون : في ذكر ماجرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد تمام خمس سنين من مولده .
- الباب الحادى والثلاثون : في ذكر وفاة آمنة .
- الباب الثانى والثلاثون : في ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم .
- الباب الثالث والثلاثون : في ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله
عليه وسلم يستسقون عند غمام رقيقة .
- الباب الرابع والثلاثون : في ذكر خروج عبد المطلب لتمهئة سيف
ابن ذى يزن ، بالملك ، وتبشير سيف عبد المطلب
بأن سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبله .
- الباب الخامس والثلاثون : في ذكر موت عبد المطلب .
- الباب السادس والثلاثون : في ذكر كفالة أبى طالب رسول الله صلى
الله عليه وسلم .
- الباب السابع والثلاثون : في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الشام مع عمه أبى طالب ولقائه بحميرى .
- الباب الثامن والثلاثون : في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرب الفجار .
- الباب التاسع والثلاثون : في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلف الفضول .
- الباب الأربعون : في ذكر ما كان يتعمد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة .

الباب الحادى والأربعون : فى ذكر حادثة جرت لرسول الله صلى الله عليه

وسلم مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة ،

فأخبر بها عمه أبا طالب .

الباب الثانى والأربعون : فى ذكر رعيه الغنم .

الباب الثالث والأربعون : فى ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة .

الباب الرابع والأربعون : فى ذكر خروجه إلى الشام مرة أخرى فى تجارة

لخديجة رضى الله عنها .

الباب الخامس والأربعون : فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة

رضى الله عنها .

الباب السادس والأربعون : فى ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنيان الكعبة ووضع الحجر بيده صلى الله عليه وسلم .

أبواب ذكر نبوته صلى الله عليه وسلم

- الباب الأول : في ذكر المواقف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثاني : في ذكر إعلام الوحش بنبوته صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث : في ذكر أمارات النبوة التي رآها قبل بعثته .
- الباب الرابع : في ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه .
- الباب الخامس : في ذكر بدء الوحي إليه صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس : في ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة .
- الباب السابع : في ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام وعلى .
- الباب الثامن : في صفة نزول الوحي عليه .
- الباب التاسع : في ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة .
- الباب العاشر : في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يريه آية تقوى ما عنده .
- الباب الحادى عشر : في ذكر رمى الشياطين بالشهب حين بعث صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثانى عشر : في ذكر ما وقع من التغيير في أحوال كسرى المسمى بأبرويز عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث عشر : في ذكر دعاية (دعوة) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام .

- الباب الرابع عشر : في ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المواسم .
- الباب الخامس عشر : في ذكر إنذاره عشيرته .
- الباب السادس عشر : في ذكر عموم رسالته .
- الباب السابع عشر : في ذكر إرساله إلى الجن .
- الباب الثامن عشر : في كونه خاتم النبيين .
- الباب التاسع عشر : في ذكر ملاقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أذى الكفار وهو صابر .
- الباب العشرون : في ذكر ما روى من إيمان أكرم بن صيفي
برسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروجه .
- الباب الحادي والعشرون : في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
بالخروج إلى أرض الحبشة .
- الباب الثاني والعشرون : في ذكر ما كتبه المشركون من التبرّي من
بنى هاشم وبنى عبد المطلب .
- الباب الثالث والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع ضماد الأزدي الوافد .
- الباب الرابع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع عتبة بن ربيعة .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر ما أشار به الوليد بن المغيرة على قريش
في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الطفيل بن عمرو .

الباب السابع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب عند موته .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند موت أبي طالب وخديجة .

الباب التاسع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى الطائف .

الباب الثلاثون : في ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لما رجع من الطائف بجوار .

الباب الحادي والثلاثون : في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل في المواسم .

الباب الثاني والثلاثون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصار في سنة إحدى عشرة من النبوة .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع والثلاثون : في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة .

الباب الخامس والثلاثون : في علم قريش بما جرى للأنصار وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك .

أبواب هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

- الباب الأول : في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار .
- الباب الثاني : في ذكر ما جرى في الغار .
- الباب الثالث : في ذكر ما جرى له في طريقه إلى المدينة .
- الباب الرابع : في ذكر حديث أم مقبل .
- الباب الخامس : في تورية أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم إلى المدينة .
- الباب السادس : في لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة بريدة الأسلمى وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه .
- الباب السابع : في ذكر تلقى أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إياها .
- الباب الثامن : في ذكر اليوم الذي قدم فيه المدينة .
- الباب التاسع : في ذكر المكان الذي نزل به حين دخل المدينة .
- الباب العاشر : في ذكر فرح أهل المدينة بقدمه صلى الله عليه وسلم .
- الباب الحادى عشر : في لقاء عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة .
- الباب الثاني عشر : في فضل المدينة .
- الباب الثالث عشر : في ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع عشر : في فضل مسجده صلى الله عليه وسلم .

- الباب الخامس عشر : في ذكر ما بين بيته ومنبره .
- الباب السادس عشر : في ذكر بيوته صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه .
- الباب السابع عشر : في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبب إلى أصحابه المدينة .
- الباب الثامن عشر : في صلته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة .
- الباب التاسع عشر : في ذكر الوقت الذي حوِّلت فيه .
- الباب العشرون : في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحْرَس في المدينة .

أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|--------------------------------------------------------|
| الباب الأول | : في ذكر معجزة القرآن العزيز . |
| الباب الثاني | : في معجزته بشق القمر . |
| الباب الثالث | : في إظهار معجزته في تكثير الطعام . |
| الباب الرابع | : في معجزته في تكثير السمن . |
| الباب الخامس | : في معجزته في تكثير التمر . |
| الباب السادس | : في معجزته في تكثير الماء . |
| الباب السابع | : في نبع الماء من بين أصابعه . |
| الباب الثامن | : في معجزته في تكثير اللبن . |
| الباب التاسع | : في ظهور معجزته بمجيء الشجرة إليه . |
| الباب العاشر | : في تحريك الجبل لأجله وسكونه بأمره . |
| الباب الحادي عشر | : في ذكر شكوى البهائم إليه ، ودُلُّ المستصعب منها له . |
| الباب الثاني عشر | : في ذكر معجزته [التي ظهرت] في المركوب . |
| الباب الثالث عشر | : في رميه وجوه المشركين بكف من تراب فملاً أعينهم . |
| الباب الرابع عشر | : في إشارته إلى الأصنام فوقعت . |
| الباب الخامس عشر | : في إخباره صلى الله عليه وسلم بالفائبات . |
| الباب السادس عشر | : في إلانة الصخر له . |
| الباب السابع عشر | : في حنين الجذع إليه . |
| الباب الثامن عشر | : في تسبيح الحصى في يده . |
| الباب التاسع عشر | : في ستره عن أعين من قصد أذاه من المشركين . |

- الباب العشرون : في دفع من أراد أذاه من الإنس .
الباب الحادى والعشرون : في كيفية هلاك بعض من آذاه .
الباب الثانى والعشرون : في دفع من قصد أذاه من الشياطين .
الباب الثالث والعشرون : في دفع أذى الهوام عنه .
الباب الرابع والعشرون : في إعادته عينَ بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت .
الباب الخامس والعشرون : في كلام الجدار بحضرتة .
الباب السادس والعشرون : في تكليم الظبية له .
الباب السابع والعشرون : في كلام الضب له .
الباب الثامن والعشرون : في إجابته اليهود عن مسائل لا يعلمهن إلا نبي .
الباب التاسع والعشرون : في رؤيته الأشياء من وراء ظهره .
الباب الثلاثون : في أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء .
الباب الحادى والثلاثون : في إجابة دعائه .

أبواب فضله على الأنبياء عليهم السلام وخصائصه ، ومثل ما بعث به
ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس

- | | |
|------------------------------------------------------|------------------|
| : في ذكر فضله على الأنبياء عليهم السلام . | الباب الأول |
| : في ذكر خصائصه . | الباب الثاني |
| : في ذكر إنفاذ قطيفة له من الجنة . | الباب الثالث |
| : في رفع ذكره عليه السلام . | الباب الرابع |
| : في ذكر مثله ومثل النبيين عليهم السلام . | الباب الخامس |
| : في ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به . | الباب السادس |
| : في فضل أمته على الأمم . | الباب السابع |
| : في ذكر مَثَله ومثل أمته . | الباب الثامن |
| : في ذكر مثل من قَبِل ما جاء به ومثل من
لم يقبل . | الباب التاسع |
| : في وجوب طاعته عليه السلام . | الباب العاشر |
| : في وجوب تقديم محبته على الوالد والولد
والنفس . | الباب الحادي عشر |

أبواب صفات جسده صلى الله عليه وسلم

- | | |
|-----------------------|------------------------------------------------|
| الباب الأول | : في صفة رأسه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني | : في صفة جبينه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في صفة حاجبيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع | : في صفة عينه وأهدابه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الخامس | : في صفة خديه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس | : في صفة أنفه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع | : في صفة فمه وأسنانه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن | : في صفة نكته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب التاسع | : في صفة وجهه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب العاشر | : في صفة اللحية الكريمة . |
| الباب الحادي عشر | : في صفة شعره صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني عشر | : في صفة عنقه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث عشر | : في بُعد ما بين منكبَيْه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع عشر | : في غلظه الكثير صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الخامس عشر | : في صفة صدره صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس عشر | : في صفة بطنه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع عشر | : في صفة مَسْرُوبته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن عشر | : في صفة أصابعه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب التاسع عشر | : في صفة كفيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب العشرون | : في صفة زنديه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الحادي والعشرون | : في صفة ساقيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني والعشرون | : في ذكر عقبه صلى الله عليه وسلم . |

- الباب الثالث والعشرون : في ذكر قدميه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : في ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : في ذكر اعتدال خلقه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : في ذكر طوله صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع والعشرون : في رقة بشرته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن والعشرون : في صفة لونه صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع والعشرون : في ذكر حسنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثلاثون : في ذكر عرقه .
الباب الحادي والثلاثون : في ذكر خاتم النبوة .

أبواب صفاته المعنوية

- | | |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------|
| : في حسن خُلُقته صلى الله عليه وسلم . | الباب الأول |
| : في ذكر حلمه ووصفه صلى الله عليه وسلم . | الباب الثاني |
| : في نهيه أن يُبَلِّغَ مالا يصلح . | الباب الثالث |
| : في ذكر شفقتة ومداراته صلى الله عليه وسلم . | الباب الرابع |
| : في ذكر حياته صلى الله عليه وسلم . | الباب الخامس |
| : في ذكر تواضعه صلى الله عليه وسلم . | الباب السادس |
| : في أنه بُعِثَ رَحْمَةً صلى الله عليه وسلم . | الباب السابع |
| : في ذكر اشتراطه على ربه [أن يجعل] سَبَّه
لمن سَبَّه من المسلمين أجراً صلى الله عليه وسلم . | الباب الثامن |
| : في ذكر كرمه وجوده صلى الله عليه وسلم . | الباب التاسع |
| : في ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم . | الباب العاشر |
| : في ذكر مزاحه ومداعبته صلى الله عليه وسلم . | الباب الحادي عشر |
| : في ذكر وفائه بالمهد صلى الله عليه وسلم . | الباب الثاني عشر |

أبواب آدابه وسمته صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|---------------------------------------------------------------------|
| الباب الأول | : في جملة يده اليمنى للظهور واليسرى لدفع الأذى صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني | : في فعله عند عطسه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في محبته التياؤن في أفعاله صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع | : في ذكر جلسته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الخامس | : في ذكر احتبائه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس | : في ذكر اتكائه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع | : في ذكر استلقائه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن | : في صفة منطقه وألفاظه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب التاسع | : في حركة يده حين يتكلم صلى الله عليه وسلم . |
| الباب العاشر | : في ذكر منبره صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر فصاحته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثانى عشر | : في تكلمه بالفارسية . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر ما تمثل به من الشعر . |
| الباب الرابع عشر | : في ذكر ما سمع من الشعر . |
| الباب الخامس عشر | : في صفة مشيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس عشر | : في ذكر ضحكه وتبسمه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع عشر | : في محبته للقال والحسن من القول . |
| الباب الثامن عشر | : في تغييره الاسم التبييح بالحسن . |

- الباب التاسع عشر : في قبوله الهدية وإثابته عليها .
الباب العشرون : في كثرة مشاورته لأصحابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادى والعشرون : في ذكر فعله ، في أول مطر يقع .
الباب الثانى والعشرون : في احتياطه في نفي التهمة عنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث والعشرون : في علامة رضاه وسخطه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : في مخالطته الناس صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : في يمينه إذا حلف صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه صلى الله عليه وسلم .

أبواب زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- الباب الأول : في إعراضه عن الدنيا صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى : في اقتناعه باليسير من الدنيا .
الباب الثالث : في أنه كان لا يدخر شيئاً صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع : فيما روى أنه كان يدخر .
الباب الخامس : في ذكر نفقته صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس : في صفة عيشه في الدنيا صلى الله عليه وسلم .

أبواب تعبدته صلى الله عليه وسلم

أبواب طهارته

- | | |
|---------------|----------------------------------------|
| الباب الأول | : في ذكر ما كان يقوله إذا دخل الكنيف . |
| اللباب الثاني | : في ما كان يقوله إذا خرج منه . |
| اللباب الثالث | : في ابتلاع الأرض لحدته . |
| اللباب الرابع | : في ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم . |
| اللباب الخامس | : في أنه كان يتوضأ لكل صلاة . |
| اللباب السادس | : في جمعه الصلوات بوضوء واحد . |
| اللباب السابع | : في مسحه على الخفين . |
| اللباب الثامن | : في ذكر سواكه عليه السلام . |
| اللباب التاسع | : في صفة غُسله عليه السلام . |

أبواب صلاته

- | | |
|-----------------------------------------------|------------------|
| : في صفة صلاته عليه السلام . | الباب الأول |
| : في مقدار ما كان يقرأ في الصلوات المفروضات . | الباب الثاني |
| : في ما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة . | الباب الثالث |
| : في تنقله بالنهار صلى الله عليه وسلم . | الباب الرابع |
| : في ما كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة . | الباب الخامس |
| : في ملازمته للمسجد بعد صلاة الفجر . | الباب السادس |
| : في صلاته الضحى صلى الله عليه وسلم . | الباب السابع |
| : في ذكر صلاته بالليل صلى الله عليه وسلم . | الباب الثامن |
| : في طول قيامه بالليل . | الباب التاسع |
| : في قيامه طول الليل بآية . | الباب العاشر |
| : في صفة قراءته . | الباب الحادي عشر |
| : في حسن صوته صلى الله عليه وسلم . | الباب الثاني عشر |
| : في ذكر الزمان الذي كان يحتم فيه . | الباب الثالث عشر |
| : في دعائه قائماً ، إذا حتم . | الباب الرابع عشر |
| : في ذكر وتره صلى الله عليه وسلم . | الباب الخامس عشر |
| : في ما كان يصنع إذا فاتته ورؤده من الليل . | الباب السادس عشر |
| : في صلاة التراويح وعددها . | الباب السابع عشر |
| : في قطعه إياها خوف أن تفرض عليهم . | الباب الثامن عشر |
| : في سجوده الشكر . | الباب التاسع عشر |

أبواب صومه

- | | |
|----------------------------------------------|------------------|
| : في ذكر صومه من الشهر وفطره . | الباب الأول |
| : في صومه ثلاثة أيام من كل شهر . | الباب الثاني |
| : في صومه الاثنين والخميس . | الباب الثالث |
| : في صومه في شعبان . | الباب الرابع |
| : في مواصلته للصيام . | الباب الخامس |
| : في ما كان يفطر عليه . | الباب السادس |
| : في ما كان يقوله إذا أفطر عند قرم . | الباب السابع |
| : في جده واجتهاده في العشر الأخير من رمضان . | الباب الثامن |
| : في ذكر اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان . | الباب التاسع |
| : في أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج . | الباب العاشر |
| : في حمل الحربة بين يديه يوم العيد . | الباب الحادى عشر |
| : في عدد تكبيراته في صلاة العيد . | الباب الثانى عشر |
| : في مخالفته الطريق يوم العيد . | الباب الثالث عشر |

أبواب حجه وعمرته

في ذكر إحرامه عليه السلام .	الباب الأول
في ذكر تكبئته عليه السلام .	الباب الثاني
في دعائه يوم عرفة عليه السلام .	الباب الثالث
في ذبح أضحيته بيده صلى الله عليه وسلم .	الباب الرابع
في طوافه واستلامه الحجر .	الباب الخامس
في استلامه الركن اليماني .	الباب السادس
في سعيه بين الصفا والمروة .	الباب السابع
في رميه الجمره عليه السلام .	الباب الثامن
في دخوله الكعبة عليه السلام .	الباب التاسع
في خطبته في حجة الوداع .	الباب العاشر
في سياق حجه جملة .	الباب الحادي عشر
في عدد عمره عليه السلام .	الباب الثاني عشر

أبواب خوفه وتضرعه وحرته وفكره وبكائه وورعه وقصر أمله واستغفاره وتوبته

الباب الأول	: في ذكر خوفه وتضرعه عليه السلام .
الباب الثاني	: في انزعاجه من الغيم والريح .
الباب الثالث	: فيما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق .
الباب الرابع	: في ذكر حزنه وفكره عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر بكائه عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر ورعه عليه السلام .
الباب السابع	: في قصر أمله عليه السلام .
الباب الثامن	: في استغفاره وتوبته عليه السلام .

أبواب دعائه

الباب الأول	: في بسط يديه عند الدعاء .
الباب الثاني	: في دعائه عند الصباح والمساء .
الباب الثالث	: في دعائه عليه السلام عند الكرب .
الباب الرابع	: في دعائه مطلقا عليه السلام .

أبواب آلات بيته

- | | |
|-------------------------------------|--------------|
| : في ذكر سريره صلى الله عليه وسلم . | الباب الأول |
| : في ذكر حصيره عليه السلام . | الباب الثاني |
| : في ذكر كرسيه عليه السلام . | الباب الثالث |
| : في ذكر فراشه عليه السلام . | الباب الرابع |
| : في ذكر لحافه عليه السلام . | الباب الخامس |
| : في ذكر وسادته عليه السلام . | الباب السادس |
| : في ذكر اتكائه على الوسادة . | الباب السابع |
| : في ذكر قطيفته عليه السلام . | الباب الثامن |
| : في ذكر قننته عليه السلام . | الباب التاسع |

أبواب لبسه

- | | |
|-------------------------------------|------------------|
| : في ذكر قيصه عليه السلام . | الباب الأول |
| : في ذكر جبهته عليه السلام . | الباب الثاني |
| : في ذكر إزاره وكسائه عليه السلام . | الباب الثالث |
| : في ذكر حلته عليه السلام . | الباب الرابع |
| : في ذكر بردته عليه السلام . | الباب الخامس |
| : في ذكر عمامته عليه السلام . | الباب السادس |
| : في ذكر قلنسوته عليه السلام . | الباب السابع |
| : في ذكر رداءه عليه السلام . | الباب الثامن |
| : في ذكر سراويله عليه السلام . | الباب التاسع |
| : في لبسه الصوف . | الباب العاشر |
| : في لبسه ما يتفق من اللباس . | الباب الحادي عشر |
| : في لبسه الثوب المستجد . | الباب الثاني عشر |
| : فيما كان يقوله عند اللبس . | الباب الثالث عشر |
| : في ذكر خفه . | الباب الرابع عشر |
| : في ذكر نعله عليه السلام . | الباب الخامس عشر |

أبواب ذكر مراقبه

الباب الأول	: في ذكر خيله صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني	: في ذكر ناقته عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر بغلته عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذكر حماره عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر سرجه عليه السلام .
الباب السادس	: فيما كان يقوله إذا ركب .

أبواب ذكر مواليه وخدمه عليه السلام

الباب الأول	: في ذكر مواليه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر موالياته عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر من خدمه من الأحرار صلى الله عليه وسلم .

أبواب زينته

: في ذكر خاتمه عليه السلام .	الباب الأول
: في ذكر خضابه صلى الله عليه وسلم .	الباب الثاني
: في استعماله المشط .	الباب الثالث
: في فرق رأسه صلى الله عليه وسلم .	الباب الرابع
: في استعماله الدهن عليه السلام .	الباب الخامس
: في ذكر المرأة .	الباب السادس
: في أخذه من اللحية .	الباب السابع
: في جز شاربه .	الباب الثامن
: في استعماله النورة .	الباب التاسع
: في محبته للطيب وتطيبه .	الباب العاشر

أبواب أكله وماكولاته

: في ذكر مائدته وسفرته .	الباب الأول
: في ذكر قصعته .	الباب الثاني
: في صفة خبزه عليه السلام .	الباب الثالث
: في اختياره البقل .	الباب الرابع
: في ائتماده بالخل .	الباب الخامس
: في أكله القناء .	الباب السادس
: في أكله الدباء .	الباب السابع
: في أكله السمن والأقط .	الباب الثامن
: في أكله الحيس .	الباب التاسع
: في أكله الثريد .	الباب العاشر
: في أكله وجمعه بين طعامين .	الباب الحادى عشر
: في أكله اللحم وما يختاره من الأعضاء .	الباب الثانى عشر
: في أكله القديد .	الباب الثالث عشر
: في أكله الشواء .	الباب الرابع عشر
: في أكله لحم الدجاج .	الباب الخامس عشر
: في أكله لحم الحبارى .	الباب السادس عشر
: في تركه أكل ما يمافه .	الباب السابع عشر
: في اجتنابه ما يؤذى ريحه .	الباب الثامن عشر
: في أكله الجار .	الباب التاسع عشر
: في حبه الحلواء والعسل .	الباب العشرون
: في أكله التمر .	الباب الحادى والعشرون

- الباب الثاني والعشرون : في أكله العنب .
الباب الثالث والعشرون : في أكله الرطب .
الباب الرابع والعشرون : فيما كان يفعل بأول الثمر .
الباب الخامس والعشرون : في أكله الخبيص .
الباب السادس والعشرون : في أكله بثلاث أصابع ولعقها .
الباب السابع والعشرون : في أكله مما يليه .
الباب الثامن والعشرون : في أكله مُقْعِيًّا من الجوع .
الباب التاسع والعشرون : في أنه لم يأكل مَتَّكِنًا .
الباب الثلاثون : في أنه لم يذمَّ طعاما .
الباب الحادي والثلاثون : في أنه كان لا يأكل الصدقة .
الباب الثاني والثلاثون : في حده لله عند فراغه من الطعام وغسل يديه
صلى الله عليه وسلم .

أبواب شربه ومشروباته

: في أنه كان يُستعذب له الماء .	الباب الأول
: في اختياره الماء البائت .	الباب الثاني
: في إيثاره الماء البارد .	الباب الثالث
: في ذكر الآنية التي كان يشرب منها .	الباب الرابع
: في شربه اللبن صلى الله عليه وسلم .	الباب الخامس
: في شربه النبيذ وصفة ذلك النبيذ .	الباب السادس
: في شربه السّويق .	الباب السابع
: في كيفية شربه عليه السلام .	الباب الثامن
: في تنفسه في الإناء ثلاثاً .	الباب التاسع
: في شربه قائماً وقاعداً .	الباب العاشر
: في شربه وأصحابه إذا مقام .	الباب الحادي عشر
: في مناولته من عن يمينه .	الباب الثاني عشر

أبواب نومه

- | | |
|--------------------------------------------|--------------|
| : في مسامرتة أزواجه بالليل . | الباب الأول |
| : في نزوله وصعوده ليلة الجمعة . | الباب الثاني |
| : في وضوئه قبل النوم . | الباب الثالث |
| : في اكتحاله عند النوم عليه السلام . | الباب الرابع |
| : في صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل . | الباب الخامس |
| : فيما كان يصنع إذا أتى الفراش . | الباب السادس |
| : في كيفية نومه وما كان يقوله عند النوم . | الباب السابع |
| : فيما كان يقوله إذا استيقظ . | الباب الثامن |
| : في أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه . | الباب التاسع |
| : في ذكر بعض مناماته صلى الله عليه وسلم . | الباب العاشر |

أبواب طبه

- | | |
|-----------------------------------|--------------|
| : في كثرة أمراضه . | الباب الأول |
| : في ذكر حجامة . | الباب الثاني |
| : في تداويه بالحناء عليه السلام . | الباب الثالث |

أبواب نكاحه

- | | |
|-----------------------------------------|------------------|
| : في تحبيب النساء إليه عليه السلام . | الباب الأول |
| : في ذكر أزواجه وعددهن . | الباب الثاني |
| : في ذكر سراريه صلى الله عليه وسلم . | الباب الثالث |
| : في ذكر قوته على الجماع . | الباب الرابع |
| : في استتاره وغيض بصره عند الجماع . | الباب الخامس |
| : في ذكر طوافه على نسائه في ساعة . | الباب السادس |
| : في أنه كان يطوف على نسائه بغسل واحد . | الباب السابع |
| : في اغتساله في كل وطء . | الباب الثامن |
| : في ذكر مداراته لنسائه . | الباب التاسع |
| : في تأديب أزواجه بالهجر . | الباب العاشر |
| : في ذكر أولاده وعدددهم . | الباب الحادي عشر |

أبواب سفره

- | | |
|-----------------------------------------------------------|--------------|
| : في ذكر اليوم الذي كان يسافر فيه . | الباب الأول |
| : في ذكر ما كان يقوله إذا خرج للسفر . | الباب الثاني |
| : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يودّع المسافر . | الباب الثالث |
| : كيف كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في السفر . | الباب الرابع |
| : فيما كان يقوله إذا نزل من الليل منزلاً . | الباب الخامس |
| : فيما كان يقوله في السفر . | الباب السادس |
| : في ذكر تنفله على الراحلة . | الباب السابع |
| : فيما كان يقوله إذا رجع من السفر . | الباب الثامن |
| : فيما كان يصنع إذا قدم من السفر . | الباب التاسع |
| : في أنه كان لا يطرق أهله ليلاً . | الباب العاشر |

أبواب آلات حربيه

: في ذكر سيفه .	الباب الأول
: في ذكر درعه .	الباب الثاني
: في ذكر مِغْفَرَه .	الباب الثالث
: في ذكر قوسه .	الباب الرابع
: في ذكر رمحه .	الباب الخامس
: في ذكر حربيه .	الباب السادس
: في ذكر رايته ولوائه .	الباب السابع
: في ذكر قضيبه .	الباب الثامن
: في ذكر عصاته صلى الله عليه وسلم .	الباب التاسع

أبواب غزواته

- | | |
|-----------------------|------------------------------------------|
| الباب الأول | : في ذكر ما كان يقوله إذا غزا . |
| الباب الثاني | : في ذكر غزوة الأبراء . |
| الباب الثالث | : في ذكر غزوة بواط . |
| الباب الرابع | : في ذكر غزوة طلب كرز بن جابر . |
| الباب الخامس | : في ذكر غزاة ذى العشيرة . |
| الباب السادس | : في ذكر غزاة بدر . |
| الباب السابع | : في ذكر إلقاء رموس المشركين في القليب . |
| الباب الثامن | : في ذكر غزاة بنى قينقاع . |
| الباب التاسع | : في ذكر غزاة السويق . |
| الباب العاشر | : في ذكر غزاة قرقرة الكدر . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر غزاة غطفان . |
| الباب الثانى عشر | : في ذكر غزاة بنى سليم . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر غزاة أحد . |
| الباب الرابع عشر | : في ذكر غزاة حمراء الأسد . |
| الباب الخامس عشر | : في ذكر غزاة بنى النضير . |
| الباب السادس عشر | : في ذكر غزاة بدر الموعد . |
| الباب السابع عشر | : في ذكر غزاة ذات الرقاع . |
| الباب الثامن عشر | : في ذكر غزاة دومة الجندل . |
| الباب التاسع عشر | : في ذكر غزاة المريسيع . |
| الباب العشرون | : في ذكر غزاة الخندق . |
| الباب الحادى والعشرون | : في ذكر غزاة بنى قريظة . |

- الباب الثاني والعشرون : في ذكر غزاة بني لحيان .
- الباب الثالث والعشرون : في ذكر غزاة الغابة .
- الباب الرابع والعشرون : في ذكر غزاة خيبر .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر غزاة الفتح .
- الباب السادس والعشرون : في ذكر غزاة حنين وهي غزاة هوازن .
- الباب السابع والعشرون : في ذكر غزاة الطائف .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر غزاة تبوك .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر شعاره في حروبه .

أبواب سراياه

- الباب الأول : في عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفه
عن السرايا .
- الباب الثاني : في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث : في وصايا السرايا .
- الباب الرابع : في إنكاره ما لا يصلح من فعل أمير السرايا .

أبواب مكاتبته الملوك

- الباب الأول : في إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه .
- الباب الثاني : في إرساله إلى قيصر .
- الباب الثالث : في ذكر إرساله إلى كسرى وكتابه إليه .
- الباب الرابع : في ذكر إرساله إلى النجاشي وكتابه إليه .
- الباب الخامس : في ذكر إرساله إلى الحارث بن أبي شمر
الفساني .
- الباب السادس : في ذكر إرساله إلى هوذة بن علي الجعفي
وكتابه إليه .
- الباب السابع : في إرساله إلى جبلة بن الأيهم وكتابه إليه .
- الباب الثامن : في ذكر إرساله إلى ذى الكلاع .
- الباب التاسع : في كتابه إلى فروة الجذامي .
- الباب العاشر : في ذكر كتابه إلى جيفر وعبد بن الجندى .
- الباب الحادى عشر : في إرساله إلى المنذر .
- الباب الثانى عشر : في ذكر كتابه إلى ملوك حير .

أبواب ذكر الوفود عليه

الباب الأول	: في ذكر وفد سعد بن بكر .
الباب الثاني	: في ذكر وفد مزينة .
الباب الثالث	: في ذكر وفد فزارة .
الباب الرابع	: في ذكر وفد تجيب .
الباب الخامس	: في ذكر وفد سعد هذيم وهم أهل اليمن .
الباب السادس	: في ذكر وفد محارب .
الباب السابع	: في ذكر وفد بحيلة .
الباب الثامن	: في ذكر وفد نهدي .
الباب التاسع	: في ذكر وفد عامر بن صعصعة .
الباب العاشر	: في ذكر وفد عبد القيس .
الباب الحادي عشر	: في ذكر وفد بني حنيفة .

أبواب ما جرى بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حجة الوداع

الباب الأول	: في استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع .
الباب الثاني	: في تأميره أسامة بن زيد .
الباب الثالث	: في مجيء الخبر بظهور مُسلمة .
الباب الرابع	: في ظهور الأسود العنسي .
الباب الخامس	: في ظهور طليحة بن خويلد .

أبواب مرضه ووفاته

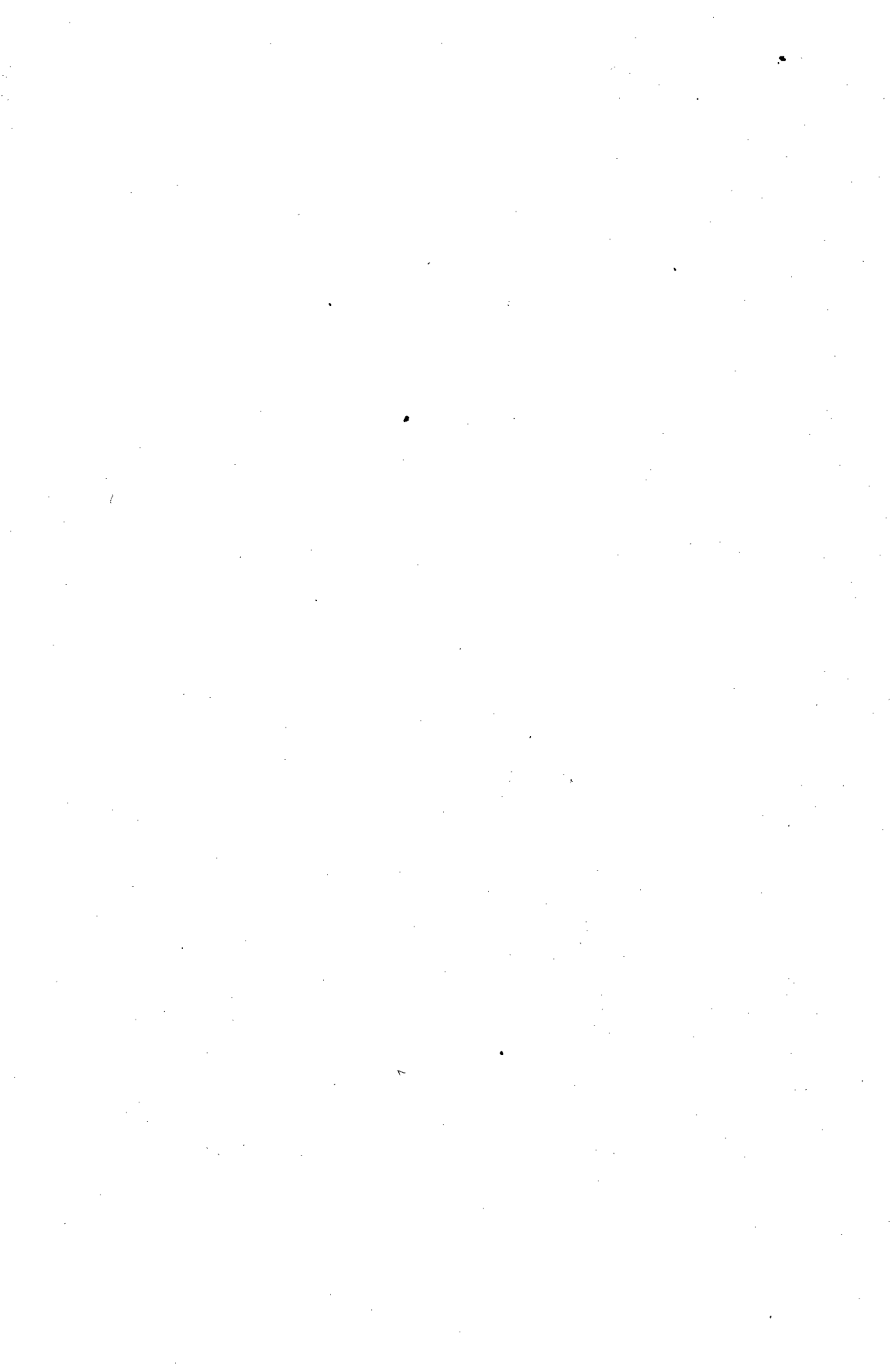
- | | |
|------------------|-----------------------------------------------------------------------------|
| الباب الأول | : في أنه سُمِّىَ صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثانى | : في تقريب أجله له . |
| الباب الثالث | : في مرضه القرآن على جبريل قبل وفاته . |
| الباب الرابع | : في ذكر ابتداء المرض به . |
| الباب الخامس | : في سؤال أبى بكر أن يمرضه . |
| الباب السادس | : في أنه كان يدور على بيوت أزواجه في مرضه . |
| الباب السابع | : في اشتداد الوجع عليه . |
| الباب الثامن | : في أمره أن يُصَبَّ عليه الماء لتتموى نفسه
فيعهد . |
| الباب التاسع | : فيما روى أنه أقصَّ من نفسه . |
| الباب العاشر | : في مدة مرضه وأمره أبى بكر أن يصلى بالناس . |
| الباب الحادى عشر | : في كونه أراد أن يكتب كتابا لأبى بكر
ثم لم يكتب . |
| الباب الثانى عشر | : في إخراجه شيئاً من المال كان عنده . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر عتقه عبيده عند الموت . |
| الباب الرابع عشر | : في إعلامه الناس أنه قد خيَّرَ بين البقاء
والموت . |
| الباب الخامس عشر | : في إعلامه فاطمة ابنته بموته . |
| الباب السادس عشر | : في تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام
برسالة من الله يسأله عن حاله . |
| الباب السابع عشر | : في ذكر استعماله السواك قبل موته . |

- الباب الثامن عشر : في تحذيره أن يُتخذ قبره مسجداً .
- الباب التاسع عشر : في ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت .
- الباب العشرون : في جمعه أصحابه وإيصالهم .
- الباب الحادى والعشرون : في بيان أنه ما أوصى بشيء من الدنيا .
- الباب الثانى والعشرون : في وصيته بالصلاة عند موته .
- الباب الثالث والعشرون : في صفة خروج روحه الطاهرة .
- الباب الرابع والعشرون : في صفة الثياب التى توفى فيها .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر وقت موته .
- الباب السادس والعشرون : في أن الناس شكوا في موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب السابع والعشرون : في ذكر سِنِّه .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر ما خُفَّ وحكمه .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر غسله .
- الباب الثلاثون : في ذكر كفنه .
- الباب الحادى والثلاثون : في ذكر الصلاة عليه صلاة الجنازة .
- الباب الثانى والثلاثون : في ذكر موضع قبره .
- الباب الثالث والثلاثون : في ذكر لحدّه .
- الباب الرابع والثلاثون : في ذكر وقت دفنه .
- الباب الخامس والثلاثون : في ذكر الذين نزلوا في قبره .
- الباب السادس والثلاثون : في ذكر ما نزل من قبره .
- الباب السابع والثلاثون : في صفة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه .

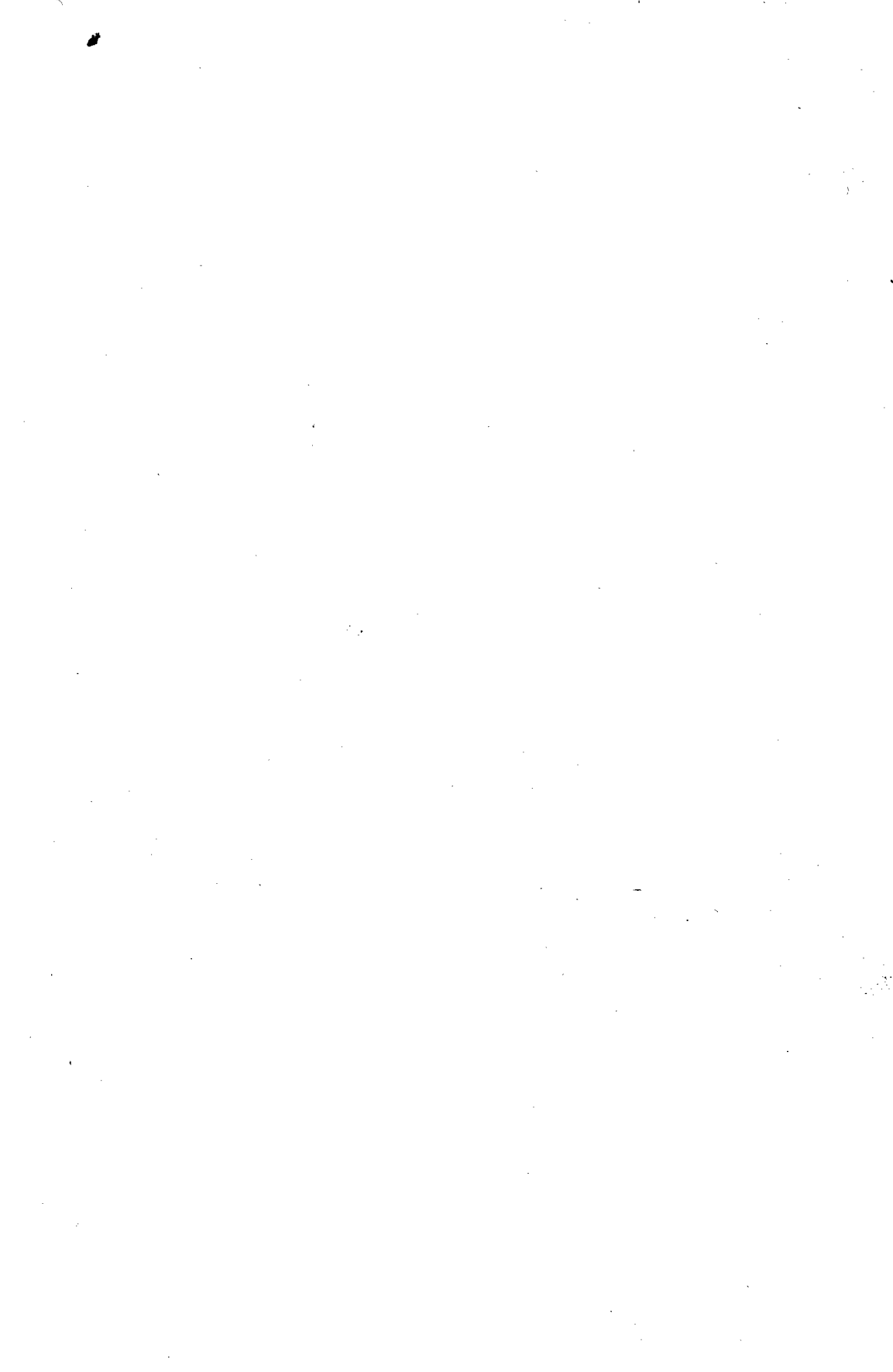
- الباب الثامن والثلاثون : في فضل زيارة قبره .
الباب التاسع والثلاثون : في ذكر الاستسقاء بقبره .
الباب الأربعون : في ذكر نذب فاطمة عليها السلام .
الباب الحادي والأربعون : في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني والأربعون : في كيفية الصلاة عليه .
الباب الثالث والأربعون : في ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والأربعون : في ذكر ما سمع من التعزية برسول الله صلى الله عليه وسلم من الهواتف .
الباب الخامس والأربعون : في أنه لا يبلى .
الباب السادس والأربعون : في تبليغ الملائكة إليه الصلاة والتسليم .
الباب السابع والأربعون : في بلوغ سلام أمته إليه ورده على من يسلم عليه .
الباب الثامن والأربعون : في رؤيته في المنام .
الباب التاسع والأربعون : في عرض أعمال أمته عليه صلى الله عليه وسلم .

أبواب بعثه وحشره وما يجرى به

- | | |
|------------------|-------------------------------------------------------------|
| الباب الأول | : في أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة . |
| الباب الثاني | : في حشر عيسى بن مريم مع نبينا صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في كيفية حشره عليه السلام . |
| الباب الرابع | : في ذكر لوائه عليه السلام . |
| الباب الخامس | : في أنه أكثر الأنبياء تبعاً . |
| الباب السادس | : في ذكر حوضه عليه السلام . |
| الباب السابع | : في ذكر شفاعته . |
| الباب الثامن | : في ذكر المقام المحمود . |
| الباب التاسع | : في تخليصه المؤمنين على الصراط . |
| الباب العاشر | : في أنه أول من يدخل الجنة . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر علو منزلته على الخلق في الجنة صلى الله عليه وسلم . |



أَبْوَابُ بَدَايَةِ نَبِيِّنَا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



الباب الأول

في ذكر التنويه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
من زمن آدم عليه السلام^(١)

- عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني عند الله لخاتمُ النبيين ، وإن آدم لمنجدلٌ في طينته » (٢).
- عن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟
قال : « وآدم بينَ الروح والجسد » .
- عن ميسرة قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟
قال : « لما خلق الله تعالى الأرض ، واستوى إلى السماء فسواهن
سبع سموات وخلق العرش ، كُتِبَ على ساق العرش (محمد رسول الله ،
خاتم الأنبياء) .
- وخلق الله تعالى الجنة التي أسكنها آدم وحواء ، فكتب اسمي
على الأبواب ، والأوراق ، والقباب والحيام ، وآدم بين الروح والجسد .
فلما أحياه الله تعالى ، نظر إلى العرش ، فرأى اسمي .
فأخبره الله تعالى ، أنه سيّد ولدك .
فلما غرّهما الشيطان ، تابا واستشفعا باسمي إليه » .

(١) يراد بهذا إظهار عظمة الرسول وإشهار كرامته عند الله .

(٢) دلائل النبوة ١٧

● عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصاب آدمُ الخطيئة ، رفع رأسه فقال : رب بحقِّ محمد إلا غفرتَ ليته .

فأوحى الله تعالى إليه : وما محمد ؟ ومن محمد ؟
قال : رب ، إنك لما أتممتَ خلقي ، رفعتُ رأسي إلى عرشك ، فإذا عليه مكتوب « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .
فعلت أنه أكرمُ خلقك عليك ، إذ قرنتَ اسمه مع اسمك .
قال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو آخر الأنبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك » .

● وقال سعيد بن جبير : اختصم ولد آدم : أي الخلق أكرمُ على الله تعالى ؟

فقال بعضهم : آدمُ ، خلقه الله بيده ، وأشجده له ملائكته .
وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يمصوا الله .
فذكروا ذلك لآدم ، فقال آدم : لئلا نفضخ في الروح ، لم تبلغ قديمي ، فاستويت جالسا ، فبرق لي العرش ، فنظرت فيه « محمد رسول الله » فذاك أكرمُ الخلق على الله عز وجل .

● عن وهب قال : أوحى الله تعالى إلى آدم : أنا الله ، ذوبكته (١) ، أهلها خيرتي ، وزوارها وفدي ، وفي كنفني (٢) ، [وفيها بيتي] أعمره بأهل السماء وأهل الأرض ، يأتونه أفواجا ، شُعفا غُبرا (٣) ، يمجون (٤)

(١) أى : صاحب مكة .

(٢) كنفني . أى : في حظي وستري . كما يستفاد من القاموس .

(٣) أى مغبرة زءوسهم . (٤) يمجون : أى يرفنون أصواتهم .

بالتسكير عجيباً ، ويزجون بالتلبية^(١) زجيحاً ، ويشجون^(٢) بالبكاء ثجيحاً .
فمن اعتمده لا يريد غيره فقد زارني وضافني ، ووفد إلىّ ونزل بي ،
وحقّ لي أن أتحمفه بكرامتي .

أجعل ذلك البيت ، وذِكْره ، وشرفه ومجده ، وسنائه^(٣) ، لنبيّ
من ولدك يقال له إبراهيم .

أرفع له قواعده ، وأقضى على يديه عمارته ، وأنبِط^(٤) له سقايته ،
وأريه حِلّه وحرمه ، وأعلّمه مشاعره .

ثم تَعَمَّره الأمم والقرون حتى ينتهي إلى نبي من ولدك ، يقال له
محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم النبيين ، أجعله من سكانه ،
وولاته ، وحجابه ، وسقائه .

فمن سأل عنى يومئذ فأنا مع الشُّعَثِ الغُبرِ ، المُوفِّينِ بنذرهم ، المُقبِلين
إلى ربهم .

• عن ابن عباس : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام :
لولا محمد ما خلقت آدم ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فكثبت عليه
« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » فسَكَن .

(١) يزجون بالتلبية هذا مجاز عن إتيانهم بالتلبية كثيراً كما يفهم من أساس
البلاغة للزمخشري .

(٢) يشجون : أى : يكثر من البكاء ، شبه كثرة الدموع السائلة على خدودهم
بانصباب الماء من الأماكن المرتفعة .

(٣) سنائه ، أى : رفته وشرفه كما يستفاد من الصحاح .

(٤) أى أخرج له الماء . والمراد : ماء زمزم .

الباب الثاني

في ذكر الطينة التي خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم

• عن كعب الأبحار قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم ، أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه .
فأتاه بالقبضة البيضاء ، التي هي موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمجنبت بماء التَّنْشِيمِ ، ثم غسست في أنهار الجنة ، وطيفَ بها في السموات والأرض .

فعرفت الملائكة محمداً وفضله ، قبل أن تعرف آدم .

ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم يُرى في غُرَّةِ جبهة آدم .

وقيل له : يا آدم ، هذا سيد ولدك من الأنبياء والمرسلين .

فلما حملت حواء بر « شيث » انتقل عن آدم إلى حواء ، وكانت

تلد في بطن ولدين إلا شِيثاً ، فإنها ولدت وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم (١) .

ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر ، إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ، أين كنت وآدم

في الجنة ؟

(١) ومن أين لكعب هذا العلم الذي يخالف سنة الله في خلقه ، والذي يمارض

الواقع ، ولا يؤيده شاهد آخر صحيح ؟ !

قال : « كنت في صُلبه ، وأهبط إلى الأرض ، وأنا في صلبه ، وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار ، في صلب أبي إبراهيم . لم يلتق لي أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا تشعب شعيتان إلا كنت في خيرهما . أخذ الله لي بالنبوة ميثاقاً ، وفي التوراة بشرى ، وفي الإنجيل شهر اسمي . تشرق الأرض لوجهي ، والسماء لرؤيتي . »

وقال العباس : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك . فقال له : قل : لا يفضض الله فاك . فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِهَا طُبِّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخَصَفُ الْوَرَقُ
تَمْ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشْرٌ أَنْ تَ وَلَا مُضِنَّةٌ وَلَا عَلْقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرَكِبُ السَّفِينِ وَقَدْ الْجَمَّ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْعَرَقُ
وَرَدَّتْ نَارَ الْخَلِيلِ مُكْتَمًا تَجُولُ فِيهَا وَلَسْتَ تَخْتَرِقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبِيقُ
حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيَّبِينَ مِنْ خِنْدِفٍ (١) عَلَيَاءَ تَعْتَمَهَا النُّطْقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وَرَدْتَ (٢) أَشْرَقْتَ الْأَزْ ضُ وَضَاءَتِ بُنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ (٣)

(١) خندف : اسم امرأة الياس بن مضر واسمها ليلى بنت عمران بن قضاة .

اه من هامش تهذيب الصحاح .

(٢) البدء والتاريخ : لما ولدت .

(٣) من المعجب أن المؤلف نفسه حكم على هذا الحديث بالوضع ، وقال : إنه

من وضع القصاص . انظر اللآلئ للصنوعة للسيوطي .

الباب الثالث

في دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم

• لما بنى الخليل عليه السلام الكعبة دعا لأهل مكة فقال :
رَبَّنَا وَابْتِئْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ (١) .

قال السدي عن أشياخه : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

• عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني عند الله ، نلّاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم
بأول ذلك :

أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ،
وكذلك أمهات النبيين يرين » .

ورواه ليث عن معاوية فقال : وإن أمه رأت — حين وضعته — نورا
أضاءت منه قصور الشام .

(١) البقرة الآية ١٢٩ وبقيتها (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَ الْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

الباب الرابع

في بيان ذكره في التوراة والانجيل
وذكر أمته ، واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك^(١)

قال الله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (٢) » والمراد : أنهم
يجدون نعمته .

« يَا مُرُومُ بِالْمَعْرُوفِ » وهو مكارم الأخلاق ، وصلة الأرحام .

« وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » وهو الشرك .

« وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ » وهو ما كانت العرب تستطيبه .

وقيل : هي الشحوم التي حرمت على بني إسرائيل ، والبحيرة ،
والسائبة ، والوصيلة ، والحامى .

« وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » وهي ما كانت العرب تستخبثه ،

وما كانوا يستحلون من الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير .

(١) قال أبو نعيم في دلائل النبوة : « ونموته وصفاته في الكتب المنزلة وعند
الرهابة والأساقفة والأخبار من أهل الكتابين ، مستفيضة .

وكانوا يرجعون في أمر بعثته وإرساله إلى علم متيقن كالضروري ، لتبشير الأنبياء
صلوات الله عليهم به وإرساله ، وإبصائهم أمتهم بتصديقه إن أدركته ، وما كان
في أيديهم من الكتب واليهود للتقدمة المتواترة عن آبائهم وأسلافهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧

« وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ » وهي الأثقال التي كانت على بني إسرائيل ، من تحريم السبت ، والشحوم ، والعروق .

« وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » قال أبو إسحاق الزجاج : ذكر الأغلال تمثيلاً . وكان عليهم أن لا يُقبل في القتل دية ، وأن لا يعملوا في السبت ، وأن يُقرضوا ما أصابهم من أموال .

• عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في قوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ (١) » الآية . قال : لم يبعث الله تعالى نبياً ، آدم ومن بعده ، إلا أخذ عليه العهد ، في محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بعث وهو حيٌّ ليؤمنن به ، ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ العهد على قومه .

• عن قتادة : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ » .

قال : هذا ميثاقٌ أخذَه اللهُ تعالى على النبيين ، أن يصدق بعضهم بعضاً .

وأخذ موثيق أهل الكتاب فيما بلغتهم رسلهم ، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدقوه .

• عن عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة .

قال : أجل . والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٢) » ، وحرزاً

للأمتين .

أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب
فى الأسواق ، ولا تجزى بالسينة السيئة ، ولكن تجزى وتعفو .
ولن يقبضه الله ، حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا « لا إله
إلا الله » ، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صماً وقلوباً غُلْفاً » .
انفرد بإخراجه البخارى .

• عن عبد الله بن سلام قال : صفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى التوراة : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين ،
ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسينة السيئة ،
ولكن يعفو ويصفح ، ولن أتوفاه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به
آذاناً صماً وقلوباً غُلْفاً وأعينا عمياً ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله .
• عن ابن عباس أنه سأل كعباً كيف تجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى التوراة ؟

قال : نجده : محمد رسول الله ، مولده بمكة ، ومهاجره إلى طابة (١) ،
ويكون ملكه بالشام .

ليس بفحاش ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يكافئ بالسينة
السينة ، ولكن يعفو .

وقال كعب : نجده مكتوباً : محمد رسول الله ، لافظ ولا غليظ ،
ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسينة السيئة ، ولكن يعفو ويففر .
وأمتة : الحمادون ، يكبرون الله على كل نجد (٢) ، ويمحمدونه
فى كل منزلة .

(١) يعنى : المدينة النورة . (٢) أى مرتفع من الارض .

يأتزون على أنصافهم ، ويتوضئون على أطرافهم ، بهم ينادى
في جو السماء .

صنهم في القتال ، وصفهم في الصلاة ، سواء ، لهم بالليل دوى
كدوى النحل ، مولده بمكة ، ومهاجره بطابة .

• عن كعب قال في الشطر الأول : محمد رسول الله ، عبدى المختار ،
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ،
ولكن ينفو ويففر ، مولده بمكة ، وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام .

في الشطر الثانى : محمد رسول الله ، أمته الحمادون ، يحمدون الله
في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبرونه على كل
شرف (١) .

رعاة الشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ، ولو كانوا على رأس
كناسة ، ويأتزون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم .
وأصواتهم بالليل [في] جو السماء ، أصوات النحل .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إن موسى لما نزلت التوراة وقرأها ، وجد فيها ذكر
هذه الأمة » .

قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون ،
المشفوع لهم ، فاجعلها أمتى » .
قال : تلك أمة محمد .

(١) أى مرتفع من الارض .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة ، هم المستجيون المستجاب لهم ،
فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم ، يقرءونه
ظاهراً ، فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم
يؤجرون عليها . فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدم بيئته ولم يعملها
لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب إني أجد في الألواح أمة يُؤثنون^(١) العلم الأول والعلم
الآخر ، يقتلون قرن الضلالة ، المسيح الدجال ، فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب : فاجلني من أمة أحمد ، فأعطى عند ذلك خصلتين .

قال : يا موسى ، إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين^(٢) .

(٢) الأعراف آية ١٤٤ .

(١) أي : يعطيهم الله العلم .

قال : قد رضيت رب (١) .

• وروى أن كعب الأحبار رأى حبرا من اليهود يبكي .

فقال له : ما يبكيك ؟

قال ذكرت بعض الأمر .

فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتكم ما أبكاك لتصدقني ؟

قال : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد في كتاب الله المنزل ، أن موسى عليه

السلام نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد أمة خير أمة أخرجت للناس ،

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالكتاب الأول ،

والكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعداء الدجال ،

فاجعلهم أمتي ؟

قال : تلك أمة أحد .

قال الخبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد في كتاب الله المنزل : أن موسى نظر

في التوراة فقال « رب إني أجد أمة هم الحمادون ، رعاة الشمس المحكمون ،

إذا أرادوا أمرا قالوا : نفعه إن شاء الله . فاجعلهم أمتي ؟

قال : هم أمة أحد ؟

قال الخبر : نعم .

(١) ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة ٣١ وقال عنه : وهذا الحديث من غرائب

حديث سهيل ، لا أعلم أحدا رواه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، تفرد به الربيع

ابن النعمان ، وبشيره من الأحاديث ، عن سهيل ، وفيه لين .

قال : فأشرك الله ، هل تجد في كتاب الله المنزل ، أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني أجد أمة إذا أشرف (١) أحدم على شرف كبر الله ، وإذا هبط واديا حمد الله ، الصعيد لهم طهور ، والأرض لهم مسجد ، حيث ما كانوا ، مطهرون من الجنابة ، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غرَّ محجلون من آثار الوضوء ، فاجعلهم أمتي ، قال : هم أمة أحد يا موسى ؟

قال الجبر : نعم .

قال : أشرك الله ، هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء ، يرثون الكتاب ، الذين اصطفتهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوماً ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحد يا موسى .

قال الجبر : نعم .

قال : أشرك الله ، هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني أجد في التوراة أمة مصاحفهم في صدورهم ، يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة ، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل ، لا يدخل النار منهم أحد ، إلا من برئ من الحسنات ، مثل ما برئ الحجر من الشجر ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحد يا موسى ؟

قال الجبر : نعم .

(١) قوله : إذا أشرف أحدم على شرف الخ يعني إذا صعد مرتفعاً من الأرض .

فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمدا ، وأمته ، قال : ليتنى
من أصحاب محمد : فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن :

« يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ
مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِحِ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ (١) » الآية .

وقال تعالى : « وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ
يَعْتَدُونَ (٢) » .

فرضى موسى ، كل الرضا .

• عن كعب أنه سمع رجلا يقول : إني رأيت في المنام كأن الناس
جمعوا للحساب ، فدعى الأنبياء ، فجاء مع كل نبي أمته ، ورأى لكل
نبي نورين ، ولكل من اتبعه نوراً يمشى به .

فدعى محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ،
ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما .

فقال كعب ، وهو لا يشعر أنها رؤيا : من حدثك هذا ؟ قال :
أنا ، والله الذي لا إله إلا هو ، رأيتُ هذا المنام .

فقال : بالله الذي لا إله إلا هو ، لقد رأيتَ هذا في منامك ؟
قال : نعم :

قال : والذي نفس كعب بيده ، أو ، والذي نفس محمد صلى الله
عليه وسلم بيده ، إنها لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، وصفة الأنبياء
وأمتها في كتاب الله ، لكأنما قرأه من التوراة .

• وقال ابن نملة : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويُعلمون الولدان بصفته واسمه ، ومُهاجرة (١) المدينة ، فلما ظهر ، حسدوا وبغوا وأنكروا (٢) .

• وقال أبو سعيد الخدرى : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوماً لأحدث فيهم ، ونحن - يومئذ - فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظلل خروجُ نبي يقال له أحمد : يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلئى ، كالمستهزئ به .

ما صفته ؟

قال : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشَّملة ، ويركب الحمار ، وهذا البلد مُهاجرة .

قال : فرجعت إلى قومي - بنى خدرة - وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ ! كل يهود يثرب (٣) تقول هذا .

قال أبى مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأخذوا جميعاً فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذه مُهاجرة .

قال أبو سعيد : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبى هذا الخبر .

(١) موضع هجرته .

(٢) دلائل النبوة ٤٠ .

(٣) يثرب : اسم للمدينة المنورة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود ، لأسلمت يهود كلها ، إنما هم له تبع .

وقال محمد بن مسلمة : لم يكن في نبي عبد الأشهل إلا يهودى واحد ، يقال له يوشع ، فسمعه يقول وأنا غلام : قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت - ثم أشار بيده إلى بيت الله تعالى - فن أدركه فليصدقه .

قُبِث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا ، وهو بين أظهرنا ولم يُسَلِّمْ ، حسداً وبغياً .

● عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصفَ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبي عامر الراهب ، كان يألف اليهود ويسألهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذه دار هجرته .

ثم خرج إلى يهود تيماء ، فأخبروه بمثل ذلك .

ثم خرج إلى الشام ، فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن مهاجرة يثرب .

فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا دينٌ على دين الحنيفية .

وأقام مترهباً ، ولبس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام ، وأنه ينتظر خروج النبي صلى الله عليه وسلم .

فما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، لم يخرج إليه ، وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، حسد وبغى ، وناقق .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، بم بعثت ؟
قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالحنيفية ، دين إبراهيم .
[قال : فأنا عليها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست عليها] (١) .
فقال : أنت تخلطها بغيرها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيتُ بها بيضاء نقية ، أين ما كان
يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟

فقال : لست بالذى وصفوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبت .

فقال : ما كذبتُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكاذبُ أمانة الله وحيداً طريداً .
فقال : آمين .

ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم ، وترك ما كان عليه .
وفي رواية أخرى : فلما أسلم أهلُ الطائف ، لحق بالشام فات بها
طريداً وحيداً غريباً .

● وقال ابن عباس : إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس
والخزرج ، برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعَثِهِ .

فلما بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه .

(١) من دلائل النبوة .

فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، قد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإنا أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه (١) لنا بصفته .

فقال سلام بن مشكم : ما هو بالذي كنا نذكر لكم ، ما جاءنا بشيء نعرفه .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَقْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ » (٢) .

يقول : يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب .

يعني بذلك : أهل الكتاب .

فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، ورأوه من غيرهم ، كفروا به ، وحسدوه .

عن قتادة « وكانوا يستفتحون على الذين كفروا » قال :

كانت يهود ، تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب ، كانوا يقولون : اللهم ابعث النبي الذي نجدُه في التوراة ، نعتبهم ونقتلهم .

فلما بعث من غيرهم ، كفروا به ، حسداً للعرب .

● وقال المغيرة بن شعبة : إنه دخل على المقوقس ، وإنه قال له :

إن محمداً نبي مُرسل ، ولو أصاب القبط والروم اتبعوه .

(٢) سورة البقرة ٨٩ .

(١) الأصل : وتصفوه .

قال المغيرة : فأقت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسألت أساقفتها ، من قبطها ، ورومها ، عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أسقف من القبط هو رأسُ كنيسة أبي يحنس (١) ، كانوا يأتونه بمراضهم فيدعو لهم ، لم أر أحداً قط يصلي الصلوات الخمس أشدَّ اجتهاداً منه .

قلت : أخبرني ، هل بقي أحدٌ من الأنبياء ؟

قال : نعم ، وهو آخر الأنبياء ، ليس بينه وبين عيسى بن مريم أحدٌ ، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبي الأُمِّيُّ العربي ، اسمه أحمد .

ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه مُحرمة .

وليس بالأبيض ولا بالآدم .

يُغنى (٢) شعره ، ويلبس ما غلظ من الثياب ويحتزى (٣) . بالقليل من

الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يُبالي من لاقى ، يباشر القتال بنفسه .

ومعه أصحابه يقدونه بأنفسهم ، هم له أشدُّ حُباً من أولادهم وآبائهم .

يُخرج (٤) من أرض القرظ (٥) ومن حرم يأتي إلى حرم .

ويهاجر إلى أرض ذات سباخ ونخل ، يدين بدين إبراهيم عليه السلام .

قال المغيرة بن شعبة : زدني في صفته .

قال : يأتزر على وسطه ، ويفسل أطرافه ، ويخصُّ بمالا يُخصُّ

به الأنبياء قبله .

(١) دلائل النبوة : أبي غني . أو أبي غنيم .

(٢) أي لا يخلق شعره . (٣) أي يكتفى .

(٤) بالأصل محرقة : فخرج . (٥) القرظ : ورق شجر السلم .

كان النبي يبعث إلى قومه ، وبعث (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة .
وجُعِلت له الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركته الصلاة تيمم ويصلي .
من كان قبله مشدداً عليه ، لا يُصلون إلا في الكفائس والبيع .
ثم إن المغيرة جاء فأسلم ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع ذلك ، فأعجبه (١) أن يسمعه أصحابه .

قال : فكنت أحدثهم ذلك ، في اليومين والثلاثة (٢) .

• ورؤي أن ورقة بن نوفل ، وزيد بن سعيده خرجا يلتهمسان الدين ،
حتى اتبها إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد : من أين أقبلت ؟

قال : من بيت إبراهيم .

قال : وما تلتمس ؟

قال : ألتمس الدين .

قال : ارجع ، فإنه يوشك أن يظهر الذي تطالب في أرضك .

فرجع وهو يقول :

لَيْتِكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعْبُدًا وَرِقًّا .

• عن خليفة بن عبدة المنقري قال : سألت محمد بن عدى : كيف
سمَّك أبوك محمداً .

قال : أما إني سألت أبي عما سألتني عنه ، فقال :

(١) أى : أحب النبي أن يسمع أصحابه كلام المغيرة .

(٢) كذا في دلائل النبوة . وقد حُرِف في الأصل : قلت أحدثهم بذلك .
هذا وقد ذكر أبو نعيم هذا الخبر مفصلاً في دلائل النبوة ، واختصره ابن الجوزي .

خرجتُ رابع أربعة من بني تميم ، أنا أحدهم ، وسفيان بن مجاشع
ابن دارم ، ويزيد بن عمرو بن ربيعة ، وأسامة بن مالك بن جندب ،
يزيد ابن جفنة الغسائي .

فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقُرْبُه دَيْرٌ ، وفيه
ديراني ، فأشرف علينا وقال : إن هذه اللغة ما هي لأهل هذا البلد .

قلنا : نعم نحن قومٌ من مُضَر .

قال : من أيّ المضرين .

قلنا : من خُندف .

قال أما إنه سيبعث فيكم وشيكا^(١) نبيٌّ فسارعوا إليه ، وخذوا
يحظكم منه تَرشُدوا ، فإنه خاتم النبيين ، واسمه محمد .

فلما انصرفنا من عند ابن جفنة وصرنا إلى أهلنا ، ولد لكل رجل
منا غلام ، فسماه محمداً .

● عن سلمة بن سلامة بن وقش قال : كان لنا جارٌّ من يهود
في بني عبد الأشهل .

قال : فخرج علينا يوماً من بيته ، قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
بيسير ، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل .

قال سلمة : وأنا يومئذ ، أحدث^(٢) من فيه سنّاً ، على بُرْدَة مضطجع
فيها بفناء أهلي .

فذكر البعث والقيامة والحساب ، والميزان ، والجنة ، والنار .

(٢) أي : أصغر .

(١) أي : قريناً .

فقال ذلك لقومٍ أهل شرك ، أصحاب أوثان ، لا يروُن أن بعثاً
كائن بعد الموت .

فقالوا : ويحك يا فلان ! ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون
بعد موتهم إلى دارٍ ، فيها جنة ونار ، يحزون فيها بأعمالهم ؟ .

قال : نعم ، والذي يحلف به ، لو دَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم
تَنُور يُحْمونه في الدار ، ثم يدخلونه إياه فيطبِقونه عليه ، وأن ينجو
من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك ! وما آية ذلك ؟

قال : نبى يبعث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده نحو مكة ، واليمن .

قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إلى وأنا من أحدثهم سناً ، قال : إن يستنفذ هذا الغلام
عُمره يُدركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله
عليه وسلم وهو حىٌّ بين أظهرنا ، فأَمَنَّا به ، وكفر به حسداً وبغياً .

فقلنا له : ويلك يا فلان ! أَلست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ !

قال : بلى ، وليس به .

• عن ابن مسعود : أن الله تعالى ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ،
وذلك أنه دخل الكنيسة فإذا هو يهود . وإذا يهودى يقرأ عليهم
التوراة .

فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا ، وفي ناحيتها
رجل مريض .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مالكم أمسكتم ؟
قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا . حتى جاء المريض
يحبو ، حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم .
قال : هذه صفتيك ، وصفة أمتك ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك
رسول الله . ثم مات (١) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ادفنوا أخاكم .
• عن أبي بن كعب قال : لما قدم تبع المدينة ونزل بقناة (٢) بمث
إلى أحبار يهود ، فقال : إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية ويرجع
الأمر إلى دين العرب .

فقال له ساموك اليهودي ، وهو أعلمهم يومئذ :
أيها الملك : إن هذا بلدٌ يكون إليه مهاجرٌ نبي من ولد اسماعيل ،
مولده مكة ، اسمه أحمد ، وهذه دار هجرته ، وإن منزلك هذا الذي أنت
به ، يكون به من القتل والجراح ، أمرٌ كثيرٌ في أصحابه ، وفي عدوم .

قال تبع : ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما يزعمون ؟

قال : يسير إليه قومه فيقتتلون هاهنا .

قال : فأين قبره ؟

قال : بهذا البلد .

قال : فإذا قوتل لمن تكون الدائرة ؟

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة ، ورواه ابن كثير باختلاف .

(٢) في أعلام النبوة للماوردي : ونزل بسفح أحد .

قال : تكون له مرة وعليه مرة ، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه ، ويُقتل به أصحابه قتلا لم يقتلوه في موطن ، ثم تكون له العاقبة ، ثم يظهر ، فلا ينازعه هذا الأمر أحد .

قال : وما صفته ؟

قال : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل ، في عينيه حمرة ، يركب البعير ويلبس الشَّملة ، سيفه على عاتقه ، لا يبالي بمن لاقاه ، من أخ ، أو ابن عم ، أو عم حتى يظهر أمره .

قال تبع : مالى إلى هذه البلدة من سبيل ، وما كان ليكون خرابها على يدي .

فخرج تُبَعُّ منصوراً إلى اليمن .

قال عبد الله بن سلام : لم يمت تُبَعُّ حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم إماماً كان يهود يثرب يخبرونه ، وإن تبعاً مات مُسْتَمِماً .

• عن الزبير بن باطا ، وكان أعلم اليهود قال : إني وجدت سفراً كان أبي يختمه علىّ ، فيه ذكر أحمد ، نبي يخرج بأرض القرظ ، صفته كذا وكذا .

فيحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لم يبعث .
فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة عمد إلى ذلك السفر فحاه ، وكنتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقال : ليس به .

• عن ابن عباس قال : كانت يهود « قريظة » و « النضير » و « فدك »

و « خير » يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة .

فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة : هذا الكوكب قد طلع .

فلما تنبأ قالوا : تنبأ أحمد ، قد طلع الكوكب .

كانوا يعرفون ذلك ويُقرّون به ويصفونه ، إلا الحسد والبغى !! .

• وعن عائشة رضی الله عنها قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بـ« منى » تجارات ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه .

قال : انظروا يا معاشر قريش ، أحصوا ما أقول لكم : ولد الليلة ، نبي هذه الأمة « أحمد » ، وبه شامة بين كتفيه ، فيها شعرات .

فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه ، فلما صاروا في منازلهم ، ذكروا ذلك لأهلهم .

فقيل لبعضهم : ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام ، وسماه محمداً .

وأتوا اليهودى في منزله ، فقالوا : علمنا أنه ولد فينا مولود .

قال : أبعث خبرى ، أم قبله ؟ قالوا : قبله ، واسمه « أحمد » .

قال : فاذهبوا بنا إليه .

فخرجوا معه حتى دخلوا على أمّنة رضی الله عنها ، فأخرجته إليهم ، فرأى الشامة بظهره ، ففشى على اليهودى . ثم أفاق . قالوا : مالك وملك ؟

قال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، وهذا مكتوب ، أنه يقتلهم ، ويُبيد أخبارهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطونَّ بكم سطوة ، يخرج نبؤها من المشرق والمغرب .

• عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس^(١) فقال : **أَخْرِجُوا إِلَيَّ أَعْمَـكُم** .
فقالوا : عبد الله بن سوريا .

فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشده بدينه ، وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى ، وظلهم من الغمام ، أتعلم أنى رسول الله ؟

قال : اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك وعتك كَمَيِّنٍ فِي التَّوْرَةِ ، ولكن حسدوك .
قال : فما يمنك أنت ؟

قال : أكره خلاف قومي ، عسى أن يتبعوك ويسلموا ، فأسلم .
• وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كنت آتى اليهود عدد دراستهم التوراة ، فأعجب من موافقة التوراة القرآن .

فقالوا : يا عمر ، ما أحدٌ أحب إلينا منك ، لأنك تفشانانا .
قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً .
فبينما أنا عندهم ذات يوم ، إذ مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذا صاحبك .

(١) بيت المدارس : البيت الذى يدرس فيه اليهود .

قلت : أنشدكم الله ، وما أنزل عليكم من الكتاب ، أتعملون أنه رسول الله ؟

قال سيدهم : نشدكم الله فأخبروه .

فقالوا : أنت سيدنا ، فأخبره .

فقال : إنا نعلم أنه رسول الله .

قلت : فما (١) أهلككم ، إن كنتم تعملون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه .

قالوا : إن لنا عدوا من الملائكة ، وسلمنا من الملائكة .

عدونا جبريل ، وهو ملك النفاضة والغلظة .

وسلمنا ، ميكائيل ، وهو ملك الرأفة واللين .

قلت : فإني أشهد ، ما يحل لجبريل أن يعادى سلم ميكائيل ، ولا لميكائيل أن يسلم عدو جبريل !

ثم قتت ، فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ألا أقرأتك آيات نزلت علىّ قبلُ ؟

فتلا : « قُلْ : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) » .

قلت : والذي بعثك بالحق ، ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود ،

فإذا اللطيف الخبير قد سبقني !

قال عمر : فلقد رأيتني في دين الله أصلب من الحجر .

(١) الاصل : فإني أهلككم .

(٢) سورة البقرة ٩٧ .

• عن أبي سفيان بن حرب قال : خرجت أنا وأمّية بن أبي الصلت تجاراً إلى الشام ، فكنا كلما نزلنا منزلاً أخرج من رحله سفراً يقرؤه علينا .

فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى ، فأوه وعرفوه ، وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، ثم رجع في وسط النهار ، فطرح ثوبه ، واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ، ثم قال : يا أبا سفيان ، هل لك في عالم من علماء النصارى ، إليه تناهى علم الكتب ، تسأله عما بدا لك ؟ قلت : لا .

فضى هو وحده ، وجاءنا بعد هدأة من الليل ، فطرح ثوبه ثم انجدل على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح .

وأصبح كئيباً حزينا ، ما يكلمنا ولا نكلمه .

فسرنا ليلتين ، على ما به من المم .

فقلت له : ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك .

قال : لِمُنْقَلَبِي .

قلت : وهل لك من مُنْقَلَب ؟

قال : إى والله ، لأموتن ولأُحاسبن .

قلت : فهل أنت قابلٌ أماني ؟

قال : عَلَى ماذا ؟ قلت : على أنك لا تُبْعَث ولا تُحَاسَب .

فضحك وقال : بلى والله ، لَنُبْعَثَنَّ وَلَنُحَاسَبَنَّ ، وَلَيَدْخُلَنَّ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ

وفريق في النار .

قلت : ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟

قال : لا علم لصاحبي بذلك فيّ ، ولا في نفسه .

فكنا في ذلك ليلتنا ، يعجب منا ونضحك منه ، حتى قدمنا غوطة دمشق ، فبعنا متاعنا وأقنا شهرين .

ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، حتى جاءنا مع نصف النهار .

فلبس ثوبيه الأسودين فذهب ، حتى جاءنا بعد هدأة من الليل ، فطرح ثوبيه ، ثم رمى بنفسه على فراشه .

فوالله ما نام ولا قام ، فأصبح مبثوثاً حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه .

فرحلنا فسرنا ليالى ، ثم قال : يا صخر ، حدثني عن عُتبة بن ربيعة :
أيحْتَبِ المَحرَم والمَظالم ؟

قلت : إى والله .

قال : وَيَصِلُ الرَحم وَيأمرُ بِصَلتها ؟

قلت : نعم .

قال : وكرِيم^(١) الطرفين ، وسط في العشرة ؟ قلت : نعم .

قال : فهل تعلم قُرْشياً أشرف منه ؟

قلت : لا والله .

قال : أُنْحُوْجٌ هو ؟

قلت : لا ، بل ذو مال كثير .

(١) بالأصل محرقة : ذكرتم الطرفين .

قال : كم أتى له من السنين ؟ قلت : هو ابن سبعين قد قاربها .

قال : فالسن والشرف ، أزرًا به ؟

قلت : لا والله ، بل زاداه خيرًا . قال : هو ذلك .

ثم إن الذي رأيتَ بي أنى جئتَ هذا العالم ، فسألته عن الذي يُنتظر .

فقال : هو رجل من العرب ، من أهل بيت تحجّه العرب .

فقلت : فينا بيت تحجّه العرب ؟

قال : هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش .

فأصابني شيء ، ما أصابني مثله ، إذ خرج من يدي فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون أنا هو .

قلت : فصِّفه لي .

قال : رجل شابٌّ حين دخل في الكهولة .

بده أمره ، أنه يجتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ، ويأمر بصلتها .

وهو مُحوج ، كريم الطرفين ، متوسط في العشرة ، أكثر جنده

من الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟

قال : قد رجفت الشام - منذ رفع عيسى بن مريم - ثمانين رجفة ، كلها

فيها مصيبة ، وبقية رجفة عامة ، فيها مصيبة ، يخرج على أثرها .

فقلت : هذا هو الباطل ، لئن بعث الله رسولا ، لا يأخذه إلا مُسِنًا

شريفًا .

قال أمية : والذي يحلف به ، إنه لهكذا .

نفرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان ، أدركنا راكب
من خلفنا ، فإذا هو يقول : أصابت الشام بعدكم رجفة ، دُمِّر أهلها فيها ،
وأصابتهم مصائب عظيمة .

قال أمية : كيف ترى يا أبا سفيان ؟

قلت : والله ما أظن صاحبك إلا صادقا .

وقدمنا مكة ، ثم انطلقتُ حتى جئت أرض الحبشة تاجرا ، فكنتُ
فيها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فجاء الناس يسألون عليَّ وفي آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهندُ
تلاعب صبيانها ، فسلم عليَّ ورحَّب بي ، وسألني عن سقرى ومقدمي ،
ثم انطلق . قلت : والله إن هذا الفتى لمجرب ! ما جاءني أحد من قريش
له معي بضاعة إلا سألتني عنها ، وما بلغت . ووالله إن له معي لبضاعة ما هو
بأغنام عنها ، ثم ما سألتني عنها .

قالت : أو ما علمتَ بشأنه ؟

قلت وفزعته : وما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله !
فذكرتُ قول النصارى ووجتُ (١) .

ثم قدمتُ الطائفَ فنزلتُ على أمية ، قلت : هل تذكر حديث
النصارى ؟ قال : نعم .

قلت : قد كان .

قال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فتصنَّب عرقا ، وقال : إن ظَهَرَ وأنا حيٌّ لأبليَن الله (٢) في نصره ، عنرا .

(١) وجت . أى: سكتُ . (٢) لأبليَن الله : أى لابنلن ما أستطيع في نصرته .

فعدت من اليمين ، فنزلت على أمية ، فقلت : قد كان من أمر الرجل ما بلغك ، فأين أنت منه ؟

قال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً ! !

• عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا (١) إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لَنَا كَمَا نَسْمَعُ من يهود .

كنا أهل شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور .

فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن ، تتبعه فقتلكم معه ، قتل عاد وإرم .

فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم : فلما بعث الله رسوله ، أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به .

فبادرنا إليه ، فأمننا به وكفروا .

فقينا وفيهم نزلت هذه الآيات : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢) » .

قال عاصم : وقال لي شيخ من بني قريظة : هل تدرّون عما كان إسلام ثعلبة وأسد ، ابني سمية ، وأسد بن عبيد ، نفر من بني ذهل ، إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الإسلام ؟ قلت : لا أدري .

(١) الأصل : عن رجل من قوم قتادة قال : وهو تحريف . والتصويب من ابن هشام . (٢) البقرة ٨٩ .

قال : فإن رجلا من يهود أهل الشام يقال له ابن الهيثيان ، قدم علينا قبل الإسلام ، فخلّ بين أظهرنا .

فأرأينا رجلا لا يصلح الحس ، أفضل منه ، وكان إذا فحط المطر ، استسقى لنا ، فنُسِّقَى .

فلما حضرته الوفاة قال : يا معشر يهود ، ما ترون أخرجني إلى أرض الجوع والبؤس ؟

قلنا : أنت أعلم .

قال : فإني قدمت هذه البلدة ، أتوكفُّ خروج نبي قد أظلَّ زمانه ، هذه البلدة مهاجرة ، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلم زمانه ، فلا تُسَبِّقَنَّ إليه .

يا معشر اليهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبِّ الذراري والنساء من خالفه فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبانا أحداثا : يا بني قريظة ، والله إنه النبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهيثيان .

قالوا : ليس به .

قالوا : بلى والله ، إنه لهو . فنزلوا فأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم .

• عن سلمان الفارسي رضى الله عنه أنه صحب الرهبان في طلب الدين ، إلى أن قال له آخر من صحبه : أى بنى : والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس بمكان تأتيه ، ولكنه قد أظلم زمان نبي

مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة .

● وقال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بصرى ، فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم : هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟

قال طلحة : قلت : نعم ، أنا .

قال لي : ظهر بمكة بعدُ أحدُ ؟

قلت : ومن أحد ؟

قال : ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، ومخرجه من الحرم ، ومهاجرة إلى نخل ، وحرّة ، وسبخ .

قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال الراهب .

فخرجت حتى قدمت مكة ، قلت : هل كان من حديث ؟

قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين ، تنبأ ، وتابمه ابن أبي قحافة .

فخرجت حتى أتيت أبا بكر ، فأخبرته وقلت له : اتبعت هذا الرجل ؟

قال : نعم ، انطلق فتابعه ، فإنه يدعو إلى الحق . وذهب أبو بكر معه .

قال طلحة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبر الراهب

وما قال لي .

● عن جُبَيْر بن مُطْعَم : لما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ،

فظهر أمره بمكة خرجتُ إلى الشام .

فلما كنت ببصرى ، أتاني جماعة من النصارى ، قالوا لي :

أمن أهل الحرم أنت ؟

قلت : نعم .

قالوا : فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟

قلت : نعم .

فأخذوا بيدي ، وأدخلوني ديراً لهم ، فيه تماثيل وصور .

قالوا : انظر ، هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم ؟

فنظرت ، فلم أر صورته .

قلت : لا أرى صورته .

فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر

بما في ذلك الدير .

فقالوا لي : انظر ، هل ترى صورته ؟

فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته .

وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته ، آخذٌ بعقب رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

فقالوا لي : هل ترى صفته ؟

قلت : نعم .

قلت : لا أخبرهم ، حتى أعرف ما يقولون .

قالوا : هل هو هذا ؟

قلت : نعم .

فأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : اللهم نعم ،

أشهد أنه هو .

قالوا : تعرف هذا الذي آخذ بعقبه ؟

قلت : نعم .

قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده (١) .

• عن جبير بن مطعم قال : كنت أكره أذى قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ظننت أنهم سيقتلونني ، خرجت حتى لحقت بدير من الديات ، فذهب أهل الدير إلى رئيسهم فأخبروه ، فقال : أقيموا له حقه الذي ينبغي له ثلاثاً .

فلما مرت ثلاث أحضروه الصورة .

قال : قلت ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من هذه الصورة .

قال : فتخاف أن يقتلوه ؟

قلت : أظنهم قد فرغوا منه .

قال : والله لا يقتلونه ، وليقتلن من يريد قتله ، وإنه لنبي ، وليظهرنه الله تعالى .

• عن صفية بنت حيي قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء ، غدا عليه أبي : حيي بن أخطب ، وعي أبو ياسر ابن أخطب مغلسين .

قالت : فلم يرجعا ، حتى كان غروب الشمس .

فأتيا كالبين كسلانين ساقطين ، يمشان الهويناء .

فَهَشَّتْ إِلَيْهِمَا ، فَمَا التَفَّتْ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمَا ، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْهَمِّ .

فَسَمِعَتْ عُمَى أَبَا يَاسِرٍ يَقُولُ لِأَبِي : أَهْوَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ .

قَالَ : أَتَثَبْتَهُ وَتَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟ قَالَ عِدَاوَتُهُ وَاللَّهِ ، مَا بَقِيَتْ أَبَدًا (١) .

• وَمِنْ حَدِيثِ مُخَيَّرِيقٍ وَكَانَ حَبْرًا عَالِمًا كَثِيرَ الْمَالِ مِنَ النَّخْلِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِفَتِهِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ إِلْفُ دِينِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكَانَ يَوْمَ السَّبْتِ .

فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لِحَقٍّ .

قَالُوا : فَإِنَّ الْيَوْمَ ، يَوْمَ السَّبْتِ .

قَالَ : لَا سَبْتَ .

ثُمَّ أَخَذَ سِلَاحَهُ وَخَرَجَ ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِـ « أَحَدٍ » ، وَكَانَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَعَهْدَ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ : إِنْ قُتِلْتُ هَذَا الْيَوْمَ فَالِي لِحَمْدٍ ، يَصْنَعُ فِيهِ مَا أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى .

فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ .

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِلَغْنَى يَقُولُ : مُخَيَّرِيقٌ ،

خَيْرُ يَهُودٍ .

وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَالَهُ .

فَعَامَةَ صِدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا .

● عن ابن عباس : أن قريشاً اجتمعوا ، فيهم الوليد بن المغيرة ،
والعاص بن وائل ، وأبو جهل ، وأمية ، وأبي ، ابنا خلف ، والأسود
ابن المطلب ، وسائر قريش .

فبعثوا منهم خمسة رهط ، منهم عقية بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث
إلى المدينة ، يسألون اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
صفته ومبعثه .

وقالوا : يزعم أنه نبي ، واتمه محمد ، وهو يتيم فقير .

وإنما نزع أنه يتعلم من مسيلمة الكذاب .

فقالوا : نجد نعمته وصفته في التوراة ، وخاتم النبوة بين كتفيه .

قالوا : إن كان كما وصفتم ، فهو نبي مرسل ، وأمره حق ، فاتبعوه .

ولكن سلوه عن ثلاث خصال ، فإنه يخبركم بمحصلتين ، ولا يخبركم

بالثالثة ، إن كان نبياً .

فإننا قد سألنا مسيلمة عن هؤلاء الثلاث خصال ، فلم يدر ما هي .

وقد زعتم أنه يتعلم من مسيلمة .

فرجعت الرسل إلى قريش بالخبر من اليهود .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن

خصال ثلاث .

أخبرنا عن ذى القرنين ، وعن الروح ، وعن أصحاب الكهف .

فقال : أخبركم بذلك غداً . ولم يقل إن شاء الله .

فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لترك الاستثناء ، فشق ذلك عليه .

فجاء جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبطأت عليّ فقال : لتركك الاستثناء : « وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (١) » .

ثم أخبره بنجر ذي القرنين ، وأصحاب الكهف .

وقال : « الروح من أمر ربي ، لا علم لي به » .

فقالوا : سحران تظاهرا . يعنون التوراة والفرقان .

• عن عمرو بن عبسة : رَغِبْتُ (٢) عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت

أنها الباطل ، يعبدون الحجارة ، وهي لا تضر ولا تنفع .

فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال :

يخرج رجل من مكة ، ويرغب عن آلهة قومه ، ويأتي بأفضل الدين ،

فإذا سمعت به ، فَاتَّبِعْهُ .

فلم يكن لي همٌ إلا مكة آتيتها ، فأسأل : هل حدث فيها أمر ؟

فيقولون : لا .

فأنصرف إلى أهلي ، وأعرض الركبان ، فأسألم ، فيقولون : لا .

فإني لقاعد ، إذ مرّ بي راكب فقلت : من أين جئت ؟

قال : من مكة .

قلت : هل حدث فيها حدث ؟

قال : نعم ، رجل رغب عن آلهة قومه ، ودعا إلى غيرها .

قلت : هذا صاحبي الذي أريد .

(٢) أي : أعرضت .

(١) سورة الكهف : ٢٣ و ٢٤

فشددت راحتي وجئت فأسلمت (١) .

• عن ابن عباس قال : إن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم السيد ، والعاقب ، فأنزل الله تعالى فيهم : « قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ » (٢) الآية .

قالوا : فَأَخَّرْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

فذهبوا إلى بنى قريظة ، والنضير ، وبنى قينقاع ، فاستشاروهم . فأشاروا عليهم ، أن يصلحوه ، ولا يلاعنوه ، فهو النبي الذي نجاه في التوراة ، والإنجيل .

فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألف حلة في صَفَرٍ ، وألف حلة في رجب ، ودرهم .

• عن عكرمة أن أناسا من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، فلما بعث ، كفروا به . فذلك قوله تعالى : « وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » (٣) .

• عن سهل مولى عثيمة قال : إنه كان نصرانيا ، وكان يتما في حجر أبيه وعمه ، وكان يقرأ الإنجيل .

قال : فأخذت مصحفا لعيسى ، فقرأته ، حتى مرت بي ورقة ، فأنكرت كتابتها ، فإذا هي ملصقة .

(١) الخبر مفصل في دلائل النبوة ٢١١ — ٢١٢ .

(٢) سورة آل عمران ٦١ .

(٣) سورة آل عمران ١٠٦ .

ففتقتها ، فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم : أنه لا قصير ، ولا طويل ، أبيض ، بين كَتِفَيْهِ خاتم النبوة ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصا مرقوعا ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد .

قال : فجاء عمي ، فرأى الورقة ف ضربني ، وقال : مالك وفتح هذه الورقة ؟

فقلت : فيها نعت النبي أحمد . قال : إنه لم يأت بعد .

• عن عمر بن حفص ، وكان من خيار الناس ، قال :

كان عند أبي ، أو عند جدى ، ورقة يتوارثونها قبل الإسلام بزمان ، فيها « بسم الله ، وقوله الحق ، وقول الظالمين في تباب .

هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ، يأتزون على أوساطهم ، ويفسلون أطرافهم ، ويخوضون البحار على أعدائهم .

فيهم صلاة ، لو كانت في قوم نوح ، ما أهلكوا بالطوفان ، أو في نوح ، ما أهلكوا بالصيحة » .

فأخبرني أنهم جاءوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأوها عليه ، وأخبروه خبرها ، فأمرهم أن يضعوها في أضعاف المصحف .

• عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فيما أوحى إليه : أن صدق بمحمد ، ومُرُّ أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فكتبت عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فسكن .

• وقال وهب بن منبه : أوحى الله تعالى إلى أشعياء (١) : إني مبتعث نبيًا أميا ، أفتح به آذاننا صما ، وقلوبا غلغا .

أجمل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعبق والمعرف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته . وأحمد : اسمه .
أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، [وأغنى به بعد العيلة (٢)] وأجمع به بعد الفرقة ، وأولف به بين قلوب وأهواء متشتتة ، وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب .

• وقال أشعياء لإبائاه ، وهي قرية بيت المقدس ، واسمها أورشليم :

أبشرى أورشليم ، يأتيك الآن راكب الحمار ، يعنى عيسى .
ويأتيك بعده راكب البعير ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

• وروى أن رجلا من أهل الشام من النصارى ، قدم مكة ، فأتى على نسوة قد اجتمعن في يوم عيد من أعيادهم ، وقد غاب أزواجهن في بعض أمورهن .

فقال : يا نساء قزيش (٣) : إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد .

فأيتما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشا ، فلتفعل .

(١) ويقال فيه سعياء ، قال في القاموس : وسعياء بن أمصيا نبي من أنبياء

بنى إسرائيل ، بعث بعد موسى ، بشر بعيسى .

قال ابن عباد : هو آخر نبي من بنى إسرائيل . والشين لغة فيه .

(٢) من دلائل النبوة . (٣) محرفة بالأصل وما أثبتته من أعلام النبوة .

ومضى الرجل فحفظت خديجة حديثه .

• ومن أعلام نبينا صلى الله عليه وسلم الموجودة في كتيب الله القديمة قول الله تعالى في السفر الأول من التوراة لإبراهيم عليه السلام :
« قد أجبت دعائك في إسماعيل وباركت عليه ، وكثرته ، وعظّمته جداً جداً ، وسيلد اثني عشر عظيماً ، وأجعله لأمة عظيمة » .

ثم أخبر موسى بمثل ذلك في السفر وزاد شيئاً .

يقال : فلما (١) خرجت هاجر من سارة ، تراءى لها ملك الله ، وقال :

يا هاجر : أمة سارة ، ارجعي إلى سيدتك ، واخضعي لها ،
فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصوا كثرة ، وها أنت تحبلين
وتلدين ابناً ، وتسمينه إسماعيل ، لأن الله تعالى قد سمع خشوعك ، وتكون
يده فوق يد الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع .

قال ابن قتيبة : فتدبر هذا القول ؛ فإن فيه دليلاً بيناً على أن المراد به

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق ، ولا كانت يد إسحاق
مبسوطة إليه بالخضوع .

وكيف يكون ذلك والملك والنبوة ، في ولد إسرائيل والعيمس ،
وهما ابنا إسحاق .

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتقلت النبوة إلى
ولد إسماعيل .

(١) بالأصل محرّفة : فما .

فدانت له الملوك ، وخضعت له الأمم ، ونسخ الله به كل شريعة ، وختم به النبيين ، وجعل لهم الخلافة والملك في آخر الزمان .

فصارت أيديهم فوق أيدي الجميع ، وأيدي الجميع ، بالرغبة إليهم ، مبسوطة بالخضوع .

● ومن أعلامه في التوراة قال : « جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » (١) .

وليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجيء الله من سيناء إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء ، هكذا هو عند أهل الكتاب ، وعندنا .

وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير إنزاله على المسيح الإنجيل . وكان المسيح يسكن ساعير ، بأرض الخليل بقرية تدعى « ناصرة » ، وباسمها ، مُسمى من اتبعه : « نصارى » .

وكما يجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، بإنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، في جبال فاران ، وهي جبال مكة .

وليس بين المسلمين وأهل الكتاب ، خلاف في أن فاران ، هي مكة .

(١) ذكر في البدء والتاريخ بعض هذه الأخبار وغيرها بالعبرية والعربية ، ثم قال :

« وكم في التوراة والإنجيل من الدلائل عليه وعلى أصحابه ، وعلى مهاجرتهم وبوادئهم ، حتى ذكروا أصواتهم وقرآتهم وهيأتهم في صلاتهم وقاتلهم ، ولكن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

انظر البدء والتاريخ ٥/٢٧ — ٣٣٣ .

فإن ادعوا أنها غير مكة - وليس بنكيز من تحريفهم وإفكهم - قلنا :
أليس في التوراة ، إن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ؟
وقلنا : دلونا على الموضع الذي (١) استعلن الله منه ، واسمه فاران ،
والنبي الذي أنزل (٢) عليه كتاباً بعد المسيح .

أوليس « استعلن » و « علن » بمعنى واحد ، وهما : ظهر وانكشف ؟
فهل تعلمون ديناً ظهر ظهورَ الإسلام ، وفشا في مشارق الأرض
ومغاربها فشوة ؟

• ومن أعلامه في التوراة : قال الله تعالى لموسى في السفر الخامس :
إني أقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامي على فمه .
فمن [من] إخوة بني إسرائيل إلا هو [ابن] إسماعيل ؟ كما تقول :
بكرٌ وتغلب أبناء وائل ، ثم تقول : تغلب أخو بكر ، وبنو تغلب إخوة
بني بكر .

يُرْجَع فِي ذَلِكَ إِلَى أُخُوَّةِ الْأَبوين .

فإن قالوا : هذا النبي الذي وعد الله أن يقيمه لهم هو أيضاً من
بني إسرائيل ، لأن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، أكذبهم التوراة ،
وأكذبهم النظر ؟

لأن في التوراة أنه لم يقم في بني إسرائيل ، مثل موسى .
وأما النظر : فإنه لو أراد أني أقيم لهم نبياً من بني إسرائيل مثل
موسى ، لقال أقيم لهم من أنفسهم مثل موسى . ولم يقل من إخوتهم .

(٢) الاصل : أنزلت .

(١) الاصل : التي .

كما لو أن رجلا قال لرسوله : ائتني برجل من بني تغلب بن وائل .
فلا يجب أن يأتيه برجل من بني بكر .

قال ابن قتبية : ومن قول حبقون النبيء في زمان دانيال قال
حبقون (١) : جاء الله من التيمن والقديس من جبال فاران (٢) ، فامتلات
الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملاك الأرض بيمينه ورقاب الأمم .

قال : وقال أيضاً : تضيء لنوره الأرض وتُحْمَلُ خِيْلُهُ في البحر .

وزاد في بعض أهل الكتاب : أنه قيل في كلام حبقون : وستترع
في قسيك إتراعاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ، ارتواءً .
وهذا إفصاح باسمه وصفاته .

فإن ادَّعوا أنه غير نبينا - وليس ذلك بُنْكَرٍ من جخدم وتحريفهم - :
فمنَ أحمدُ الذي امتلات الأرض من تحميده ، والذي جاء من جبال فاران
فلَكَ الأرض ورقاب الأمم ؟

قال ابن قتبية : ومن ذكر شَعْيَالَهُ عن الله عز وجل : « عبدى الذى
سُرَّتْ به نفسى » .

وترجمه آخر ، فقال : عبدى ، خيرتى ، رضا نفسى ، أفيض عليه
روحى .

وترجمه آخر فقال : أنزل عليه وحي فَيُظْهِرُ في الأمم عدلَهُ ، ويوصى
الأممَ بالوصايا ، لا يضحك ولا يُسْمَعُ صوته في الأسواق .

(١) للشهور والمفوظ « حبقوق » بالقف في آخره .

(٢) الذى في ت : جاء الله من القديس والتيمن من جبال فاران .

يفتح العيون العمى ، ويُسمع الآذان الصمّ ، ويحيى القلوب العُفّ ،
وما أعطيته لا أعطى أحداً غيره .

أحمدُ ، يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتي من أقصى الأرض ، يُفرحُ البرّيةَ
وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية (١) :

وزاد آخر في الترجمة : لا يَضُف ولا يُغَلَب ، ولا يميل إلى الهوى ،
ولا يُسَمَع في الأسواق صوتهُ .

ولا يُذِلُّ الصالحين الذين هم كالتصبة الضعيفة ، بل يقوّى الصّديقين .

وهو ركنُ المتواضعين ، وهو نور الله الذي لا يُطفأ ولا ينحصر ، حتى
يُنْبِت في الأرض حُجَّتِي ، وينقطع به العذر ، وإلى توراته تنقاد الجن .

وهذا إفصاح باسمه وبصفاته .

فإن قالوا : أي توراة له ؟

قلنا : أراد أنه يأتي بكتاب يقوم مقام التوراة لكم .

• ومنه قول كعب : شكا بيت المقدس إلى الله تعالى الخراب ،

فقيل له :

لأُبدِلَنَّك توراةً مُحدثةً ، وُعمّالاً مُحدّثين ، يزفون (٢) بالليل زفيفَ
النسور ويتحننون عليك كما تتحنن الحمامة على بيضها ، ويملاًونك خدوداً
سُجّداً .

(١) أي : مرتفع من الأرض .

(٢) قوله : « يزفون » أي : يسرعون إلى عبادة الله . متجايفين مضاجمهم ،
صافين أقدامهم ، قياماً في صلاتهم ، باسطين أيديهم على الأرض في سجودهم كما تبسط
النسور أجنحتها .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر « شعيا » له قال : « أنا الله ، عظمتك بالحق ، وجعلتك نور الأمم ، وعهد الصيغون^(١) ؛ لتفتح أعين العميان ، وتُنقذ الأسرى من الظلمات إلى النور » .

قال : وقال في الفصل الخامس : « إيلياهو^(٢) من سلطانه على كتفه » .

يريد : علامة نبوته على كتفه ، هذا في التفسير السرياني .

فأما في العبراني ؛ فإنه يقول : على كتفه علامة النبوة .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر داود له في الزبور : « سَبَّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحًا حديثا ؛ سبحوا الذي هيكله الصالحون ؛ ليفرح إسرائيل بحالقه وبيوت صهيون ؛ من أجل أن الله اصطفى له أمته وأعطاه النصر ؛ وشدّد الصالحين منه بالكرامة ؛ يسبحونه على مضاجعهم ؛ ويكبرون الله بأصوات مرتفعة .

بأيديهم سيوف ذات شفرتين ؛ لينتقموا [لله] من الأمم الذين لا يعبدونه ؛ يوثقون ملوكهم بالقيود ؛ وأشرفهم بالأغلال » .

قال ابن قتيبة : فمن هذه الأمة ؛ التي سيوفها ذات شفرتين ؛ من غير العرب ؟

ومن المنتقم بها من الأمم الذين لا يعبدونه ؟ .

ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء ؛ غير نبينا صلى الله عليه وسلم ؟

قال ابن قتيبة : وفي مزمور آخر : « تقلد أيها الجبار السيف^(٣) فإن ناموسك وشرائعك ؛ مقرونة بهيبة يمينك ؛ وسهامك مسنونة ؛ والأمم يخزؤون تحتك » .

(١) صيغون : العرب . والمبارة محرفة بالأصل : وعهد التسمون .

(٢) الأصل : الياين . وهو تحريف .

(٣) كان السيف في يده رحمة بالجهير ، وقصاصا من الظالمين .

فَمَنْ مِتَّ قَدْ السَّيْفُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرُ نَبِينَا ؟
ومن خَرَّتْ الْأُمَمُ تَحْتَهُ ؛ غَيْرِهِ ؟
ومن قُرِنَتْ شِرَائِعُهُ بِالْهَيْبَةِ ؛ فَمَا الْقَبُولُ أَوْ الْجَزِيَّةُ أَوْ السَّيْفُ ؟
ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم : « وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ » .
قال : وفي مزمور آخر : « إِنْ اللَّهُ أَظْهَرَ مِنْ صَيْفُونَ (١) إِكْلِيلًا
محموداً » .

ضرب الإكليل مثلاً للرياسة والإمامة .
و « محمود » هو : محمد صلى الله عليه وسلم .
قال : وفي مزمور آخر : « إِنْهُ يَحُوزُ مِنَ الْبَحْرِ [إِلَى النِّهْرِ] (٢) »
ومن لدن الأنهار [إِلَى الْأَنْهَارِ] (٣) إِلَى مَنْقَطِعِ الْأَرْضِ .
وأنه تخر أهل الجزائر بين يديه على رُكَبِهِمْ ؛ ويلحس أعداؤه التراب .
تأتيه الملوك بالقرابين ؛ وتسجد له ؛ وتدين له الأمم بالطاعة والانتقاد .
لأنه يخلص المضطهد البائس (٣) ممن هو أقوى منه ؛ وينقذ الضعيف
الذي لا ناصر له ؛ ويرأف بالضعفاء والمساكين .
وأنه يُعْطَى مِنْ ذَهَبِ بِلَادِ سَبَأَ ؛ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ؛ وَيُبَارَكُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ ؛ وَيَدُومُ ذِكْرُهُ إِلَى الْأَبَدِ » .

(١) الأصل : صهيون . وما أثبتته من أعلام النبوة . قال : وصيفون :
العرب ، والإكليل : النبوة .
(٢) من أعلام النبوة .
(٣) الأصل : الياص ، وما أثبتته من أعلام النبوة .

قال ابن قتيبة : فمن هذا الذى ملك ما بين البحر والنهر ؛ وما بين
دجلة والفرات إلى منقطع الأرض ؟

ومن ذا الذى يُصَلَّى عليه ويُبارك فى كل وقت من الأنبياء غيره ؟!

قال : وفى موضع آخر من الزبور ؛ قال داود : اللهم ابث حامل (١)
السنة ؛ حتى يعلم الناس أنه بشر .

وهذا إخبار عن المسيح ؛ ومحمد صلى الله عليه وسلم قبلهما بأحقاب .

يريد : أبث محمدا حتى يعلم الناس أن المسيح بشر .

يعلم داود أنهم سيدعون للمسيح ما ادعوا .

قال : وفى شعيا : « قيل لى : قم نظارا فانظر ما ترى ؛ فغبر به .

قلت : أرى راكبين مُقبلين ؛ أحدهما على حمار ؛ والآخر على جمل .

يقول أحدهما للآخر : سقطت بابل وأصنامها المنجزة » .

قال : فصاحب الحمار عندنا وعند النصارى ؛ هو المسيح .

فإذا كان صاحب الحمار المسيح ؛ فلم لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم

صاحب الجمل ؟!

أو ليس سقوط بابل والأصنام المنجزة به وعلى يديه ؛ لا بالمسيح ؟!

ولم يزل فى إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان ؛ من لدن إبراهيم

عليه السلام .

أو ليس هو بركوب الجمل ؛ أشهر من المسيح بركوب الحمار ؟!

* * *

قال ابن قتيبة : فأما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل :

قال المسيح للحواريين : « أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط ؛ روح الحق ؛ الذي لا يتكلم من قبل نفسه ؛ إنما هو كما يقال له ؛ وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون ؛ لأنكم مع من قبل الناس ؛ وكل شيء أعده الله لكم ؛ يخبركم به . » .

قال : وفي حكاية يوحنا عن المسيح أنه قال : الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ؛ فإذا جاء ونح العالم على الخطيئة ؛ ولا يقول من تلقاء نفسه ؛ ولكنه مما يسمع به يكلمكم ؛ ويسوسكم بالحق ؛ ويخبركم بالغيوب والحوادث . » .

قال : حكاية أخرى : « إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي ؛ وهو يعلمكم كل شيء . » .

وقال : « إني سأئلب أبي ؛ أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر ؛ يكون معكم إلى الأبد ؛ يعلمكم كل شيء . » .

وفي حكاية أخرى : إن البشير ذاهب ؛ والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ؛ ويفسر لكم كل شيء ؛ وهو يشهد لي كما شهدت له ؛ فإني أجيئكم بالأمثال ؛ وهو يأتيكم بالتأويل . » .

قال ابن قتيبة : وهذه الأشياء - على اختلافها - متقاربة .

وإنما اختلفت لأن من نقل الإنجيل عن المسيح عدّة .

فمن هذا الذي هو روح الحق ؛ لا يتكلم إلا بما يوحى إليه ؛ ومن العاقب للمسيح ؛ والشاهد له بأنه قد بلغ ؟

ومن الذي أخبر بالحوادث في الأزمنة ؛ مثل خروج الدجال ؛ وظهور

الدابة ؛ وطلوع الشمس من مغربها وأشباه هذا ؟

وبالغيوب من أمر القيامة والحساب ؛ والجنة ؛ والنار وأشباه ذلك ؛
مما لم يُذكر في التوراة والإنجيل ؛ غير نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ !

قال ابن قتيبة : وفي إنجيل متى : أنه لما حبس يحيى بن زكريا
لِيُقْتَلَ ؛ بعث تلاميذه إلى المسيح وقال : قولوا له ؛ أنت هو الآتى ؛
أَوْ تَتَوَقَّعُ غيرك ؟

فأجابه المسيح وقال : « الحق اليقين أقول لكم ؛ إنه لم تُقم النساء
عن أفضل من يحيى بن زكريا ؛ وإن التوراة ؛ وكتب الأنبياء ؛ يتلو بعضها
بعضاً بالنبوة والوحي ؛ حتى جاء يحيى .

فأما الآن فإن شتمم فاقبلوا ؛ فإن إيليا هو ، مُزمع أن يأتى .

فمن كانت له أذن سامعة فليسمع . » .

قال ابن قتيبة : وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال :

إما أن يكون قال : « إن أحمد مُزمع أن يأتى » فغيروا الاسم ؛
كما قال الله تعالى : « يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (١) » جعلوه إيليا .

وإما أن يكون قال : « إن إيل مُزمع أن يأتى و « إيل » هو
الله عز وجل .

ويجىء الله ؛ هو مجىء رسوله بكتابه ؛ كما قال في التوراة : « جاء الله
من سيناء » أراد « جاء موسى من سيناء بكتاب الله » .

ولم يأت كتابٌ بعد المسيح ؛ إلا القرآن .

وإما يكون أراد النبي المسمى بهذا الاسم .

وهذا لا يجوز عندهم ؛ لأنهم مجمعون على أنه لا نبيَّ بعد المسيح .

* * *

قال ابن قتيبة : ذكر مكة والحرم والبيت ؛ في الكتب المتقدمة :

في كتاب شعيا : « إنه ستملاً البادية والمدن ؛ قصورُ آل قيذار ؛ يستبحون ؛ ومن رهوس الجبال ينادون ؛ هم الذين يعملون لله الكرامة ؛ ويُبثون (١) تسبيحه في البر والبحر » .

وقال : « أرفع علماً لجميع الأمم من بعيد فيصفر بهم من أقاصى الأرض فإذا هم سراع يأتون » .

قال ابن قتيبة : و « بنو قيذار » هم العرب ؛ لأن قيذار هو ابن إسماعيل بإجماع الناس .

والعلم الذي يُرفع ؛ هو النبوة .

والصغير بهم : دعاؤهم من أقاصى الأرض للحج ؛ فإذا هم سراع يأتون .

وهو نحو قول الله تعالى : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكَّرِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » (٢) .

وفي موضع آخر من كتاب شعيا : « سبعت من الصبا قوماً فيأتون من المشرق مجيبين أفواجا ، كالصعيد كثرة ؛ ومثل الطيآن الذي يدوس برجليه الطين » .

والصبا يأتي من مطلع الشمس ؛ يبعث الله من هناك قوماً من أهل خراسان وما ضاهاها .

(١) ز : ويثتون . ومعنى « يثون » ينشرون ويذيعون .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

فمن الذي هو نازل بمهبِّ الصُّبا ؛ فيأتون مجيبين بالتلبية أفواجاً
كالتراب كثرة ؟

ومن مثل الطيان الذي يدوس برجليه الطين ؟ !

يريد : أن منهم رجلاً كاللِّين .

وقد يجوز أن يكون أراد المزولة ؛ إذا طافوا بالبيت .

قال ابن قتيبة : وقال في ذكر الحجر المستلم : قال شعيب :

« قال الرب السيد : هاأناذا مؤسس بصهيون ؛ وهو بيت الله حجراً

في زاوية مكرّمة » .

والحجر في زاوية البيت ؛ والكرامة أن يُسْتَلَمَ وَيُلْتَمَّ .

وقال شعيب في ذكر مكة :

« سيري واهترى ؛ أيتها العاقر لم تلد ؛ وانطقي بالتسبيح ؛ وافرحي

إذ لم تحبلي ؛ فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي » .

يعني بأهله ، أهل بيت المقدس من بني إسرائيل .

أراد أن أهل مكة يكونون بمن يأتيهم من الحجاج والعُمَّار ؛ أكثر

من أهل بيت المقدس .

فشبه مكة بامرأة عاقر لم تلد ؛ لأنه لم يكن فيها قبل رسول الله صلى الله

عليه وسلم ؛ إلا إسماعيل وحده ؛ ولم ينزل بها كتاب .

ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيت المقدس ؛ لأنه بيت الأنبياء

ومهيبط الوحي ؛ ولا يشبه بالعاقر من النساء .

وفي شعيب أيضاً من ذكر مكة :

« قد أقسمتُ بنفسي كعسى أيام نوح ألا أغرق الأرض بالطوفان ؛

كذلك أقسمتُ أن لا أسخط عليك ولا أرفضك ؛ فإن الجبال تزول ؛
والقلاع تنحط ؛ ونعمتي عليك لا تزول . «

ثم قال : « يا مسكينة يا مضطهدة ؛ ها أنا ذا ؛ بان بالحسن حجارتك ؛
ومزيتك بالجواهر ؛ ومكلك باللؤلؤ سقفاك ؛ وبالزبرجد أبوابك .

وتبعدين من الظلم ؛ فلا تخافى ؛ ومن الضعف ؛ فلا تضعفى .

وكل سلاح يصنعه صانع ؛ فلا يعمل فيك ؛ وكل لسان وكل لغة تقوم
معك بالخصومة ، تفلحين معها . «

ثم قال : « وسيسميك الله اسماً جديداً » .

يريد : أنه سمي المسجد الحرام ؛ وكان قبل ذلك يسمى الكعبة .

« قفوى فأشرفى ؛ فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك » .

« انظري بعينك حولك ؛ فإنهم مجتمعون ؛ بأتيك بنوك وبناتك
غدواً ، فحينئذ تسررين وتزهرين ؛ ويخاف عدوك ويشبع قلبك ؛ وكل غم
قيدار مجتمعاً إليك ؛ وسادات بناوت يخدمونك » .

وبناوت ؛ هو ابن إسماعيل .

وقيدار هو أبو النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أخو بناوت .

ثم قال : « وتفتح أبوابك دائماً الليل والنهار ؛ لا تغلق ؛ ويتخذونك
قبلةً ؛ وتُدعينَ بمد ذلك مدينةَ الرَّبِّ » .

أى : بيت الله عز وجل .

وفى موضع آخر من شعيا :

« ارفعى بصرك إلى ما حولك تستبهجين وتفرحين ؛ من أجل أنه يصل
إليك ذخائر البحر ؛ ويحج إليك عساكر الأمم ؛ حتى تعمرك قطر الإبل

المؤبلة^(١) ، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، وبأتيك أهل سبأ وتسير إليك بأغنام قيدار ، ويخدمك رجالات بناوت .

يعنى سدنة البيت ، إنما هم^(٢) من ولد بناوت بن إسماعيل .

* * *

قال ابن قتيبة : ذكر طريق مكة في شعيا :

وفي شعيا عن الله تعالى :

« إني أعطى البادية كرامة لبنان ، وبها الكرمال . »

والكرمال ولبنان : الشام وبيت المقدس .

يريد أجعل الكرامة التي كانت بالوحي هناك ، وظهور الأنبياء ،

للبادية ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم :

« وتشق في البادية مياه وسواقٍ في أرض القلاة ، وتكون الفيافي

والأماكن العطاش ، ينابيع ومياها ، ويصير هناك محجة ، وطريق الحرم

لا يمر به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يصل هناك ، ولا يكون به سباع

ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين . »

وفي كتاب « حزقيل » أنه ذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم^(٣)

بكرمة عداها فقال :

« ما تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض ،

وأحرقت السمام^(٤) ثمارها .

(١) الإبل المؤبلة . أى : للقتية . كافي الصحاح . (٢) ت : أنهم .

(٣) ت : وشبهها . وما هنا أصح . (٤) السمام : الرياح الحارة . ٥١ . الصحاح .

فمئذ ذلك غرس غرس في البدو ، في الأرض المهملة العطشى ، وخرجت
من أغصانها العاضلة ، ناراً أكلت ثمار تلك ، حتى لم توجد فيها عصاً قوية ،
ولا قضيب .

* * *

قال ابن قتيبة : ذكر الحرم في كتاب شعيا :

قال : « إن الذئب والحمل فيه يرعيان معاً » .

وكذلك جميع السباع لا تؤذى ولا تفسد في كل حرمي .

ثم ترى تلك الوحوش إذا خرجت من الحرم عاودت الذعر وهربت
من السباع .

وكان السبع في الطلب ، والحرص في الصيد ، كما كان قبل
دخوله الحرم .

قال ابن قتيبة : ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر يوم بدر :

قال شعيا : وذكر قصة العرب يوم بدر : « يدوسون الأمم ، كدياس

البيادر ، وينزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون » .

ثم قال : « ينهزمون بين يدي سيوف مسلولة ، وقسي موتورة ،

من شدة الملحمة » .

* * *

قال ابن قتيبة : فهذا ما في كتب الله المتقدمة الباقية في أيدي أهل

الكتاب ، يتلونه ، ولا يحجدون ظاهره ، خلا اسم نبينا عليه السلام ،

فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً ، ولن يعبأ^(١) ذلك عنهم ، لأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية عندهم « مشقح » .

ف « مشقح » هو محمد صلى الله عليه وسلم بغير شك .
واعتباره أنهم يقولون « شقحا لإلهنا » إذا أرادوا أن يقولوا « الحمد لله » فإذا كان الحمد شقحا ف « مشقح » محمد صلى الله عليه وسلم .
ولأن الصفات التي أقرروا بها ، هي وفاقاً لأحواله وزمانه ، ومخرجه ، ومبعثه ، وشريعته .

فليدُلونا على من له هذه الصفات ، ومن خَرَّتْ الأُم بين يديه ، وانقادت لطاعته ، واستجابت لدعوته .

ومن صاحبُ الجبل الذي هلكت بابل وأصنامها به .
وأين هذه الأمة من ولد قيذار بن إسماعيل ، الذين بناهون من رموس الجبال بالتلبية والأذان ، والذين بثوا تسبيحه في البر والبحر ؟ !
هيهات أن يمدوا ذلك ، إلا في محمد وأُمَّته .

* * *

قال ابن قتيبة : ولو لم تكن هذه الأخبار في كتبهم ، لم يكن فيما أودع في القرآن من ذكر ما في كتبهم دليل .

كقوله تعالى : « الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (٢) » . وقوله : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٣) » .

(١) سياق الكلام يقتضى أن يقال « ولن يفتب » .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧ (٣) سورة آل عمران ٧٠ .

وقال : « يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ (١) » .

وقال : « وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٢) » .

فكيف جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم ، بما ليس عندهم ويقول : من علامة نبوتى ، أنكم تجدوننى مكتوباً عندكم . وهم لا يجدونه ، وقد كان غنياً أن يدعوهم بما يفهم ؟

ولما يتقن بالحال ، عبدُ الله بن سلام ومن أسلم ، أسلموا :

* * *

قلت : وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفاته ، ويقرّون به ، ويعيدون بظهوره ، ويوصون أهاليهم بالإيمان به .

فلما ظهر ، آمن عقلاؤهم ، وحمل الحسدُ آخرين على العناد كحجّى ابن أخطب ، وأبى عامر الراهب ، وأمّية بن أبى الصلت :

وقد أسلم جماعة من علماء متأخرى أهل الكتاب ، وصنفوا كتباً يذكرون فيها صفاته التى فى التوراة والإنجيل .

فالمجبُّ ممن يتيقن وجود الحق ، ثم يجمله الحسد على الرضا بالخلود فى النار !!

الباب الخامس

في إعلام كعب بن لؤي بن كعب بن غالب ببعثة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان يسمع من أهل الكتاب

• عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك يجمع قومه يوم الجمعة ، وكانت قريش تسمى الجمعة عروبة ،
فيخطبهم فيقول :

أما بعد ، فاسمعوا وتعلموا ، وافهموا واعلموا ، ليلٌ ساجٍ (١) ونهار
ضاحٍ (٢) ، والأرض مهادٌ (٣) والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم
أعلام (٤) والأولون كالأخريين ، والأنتى والذَّكر والزوج وما يهيج ،
إلى بلى (٥) صائرون (٦) .

فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ، واحفظوا أصهاركم ، وثمرُوا أموالكم .
فهل رأيتم من هالك رَجَع ، أو ميت نُشِر ؟

(١) قال في الصباح : سجا الليل يسجو : ستر بظلمته ومنه : سجيت الميت
بالتفيل : إذا غطيته بثوب ونحوه فيكون المعنى « وليل سائر الدنيا بظلمته » وفي
الصحاح . وليفة ساجية وساكنة وساكرة بمعنى واحد ، وفي اللسان « وليفة ساجية »
إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب ، غير مظلمة . وفي التنزيل « والليل إذا
سجا » أي سكن واشتدت ظلمته وغطى السكون بظلامه .

(٢) أي عم الأرض بنوره . (٣) أي فراش للاستقرار عليها .

(٤) أي علامات يهتدون بها في رحلاتهم البرية والبحرية .

(٥) أي إلى فناء .

(٦) في دلائل النبوة : صائرين . والصاراة معرفة بالنسخ .

الدار أمامكم ، والظنُّ غير ما تقولون :

حرمكم زينوه وعظموه ، وتمسكوا به ، فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم : ثم يقول :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ كُلُّ أَوْبٍ بِمَجَادِثِ (١) سَوَاءٌ عَلَيْنَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
يُؤُوبَانِ (٢) بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَأُوبَا وَبِالنَّعْمِ الضَّافِي هَلَيْنَا سُتُورُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ بَاتَى النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقٌ خَيْرُهَا
ثم يقول : والله لو كنتُ فيها ذا سمع وبصر ، ويد ورجلٍ ، لتنصبتُ (٣)
فيها تنصَّبَ الجمل ، ولأرقلتُ (٤) فيها إرقال الفحل .

يَا لَيْتَنِي شَاهِدُ فَحَوَاءُ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةِ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا
وكان بين موت كعب بن لؤى ، وبين مبث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة ، وستون سنة .

(١) قال في القاموس : الأوب : الرجوع . والمراد : كلما تجدد الليل والنهار تتجدد الحوادث .

(٢) يؤوبان الخ . المعنى : الليل والنهار يرجعان إلينا بالحوادث المتجددة ، كلما رجعا .

(٣) لتنصبت إليه . أى : لسرت إليه طول يومى كما يسير الجمل . كما يستفاد من القاموس .

(٤) أرقلت . أى : أسرعت . قاموس . وفى الصحاح (الإرقال ضرب من الحبيب وهو الإسراع فى المدو) كما يستفاد من القاموس والصحاح .

الباب السادس

في ذكر منام رآه نصر بن ربيعة اللخمي
يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم

قال أهل السِّير (١) :

رأى نصر بن ربيعة رؤيا هالته (٢) ، فلم يدع كاهنا ولا منجبا إلا جمعه
إليه ، وقال لهم : إني رأيت رؤيا هالتي ، فأخبروني بتأويلها .
فقالوا : اقضها علينا .

قال : إنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها .
قالوا : فإن كنت تريد ذلك فابعث إلى سطيح وشق . وهما اسم
كاهنين .

فبعث إليهما ، فقدم سطيح فقال [له] : إني رأيت رؤيا هالتي فإن
أصبتها أصبت تأويلها .

قال : رأيت مُحَمَّة (٣) خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهممة (٤)
فاكلت منها كل ذات مُججمة .

-
- (١) يتساهل الرواة في قبول هذه الأساطير لما لها من دلالة رمزية .
وإلا فعي من ناحية الوزن العلمي ، مردودة .
(٢) أي : أفزعته .
(٣) الحمة : الفحمة المشتعلة .
(٤) تهممة : منخفضة ، ومنه سميت تهممة .

قال الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك فيها ؟
قال : أحلف بما بين الحزرتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ،
فليملكن ما بين أيّين إلى جرش (١) .

قال له الملك : وأبيك إن هذا لنا لغائظ موجه ، فمتى هو ؟
أفي زمانى أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بحين ، الحين من ستين إلى سبعين .

قال : فهل يدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع لبضع وتسعين يمضين من السنين ، ثم يخرجون
منها هارين .

قال : ومن بلى ذلك ؟

قال : إرم ذى وزن (٢) ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك ؟

قال : لا بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه .

قال : نبي زكى ، يأتيه الوحي من [قبيل] العليّ .

قال : ومن هذا النبي ؟

(١) أيّين وجرش : مخالفان من مخاليف اليمن .

(٢) الثمور فيه : سيف بن ذى وزن ، ولكنه عدل إلى إرم ، لتشبيهه بإرم

عادي عظم الحلق والتموة .

قال : رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون
الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر؟

قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون
ويشقى به السيئون .

قال : أحق ما تخبرني به؟

قال : نعم والشفق والنسق والفلق ، إن ما أنبأتك به لحق .

فلما فرغ قدم شقاً فقال له : إني رأيت رؤيا فأخبرني بها . فأخبره
كما قال سطيح ، وأخبره بتقلب الممالك على نحو ما قال سطيح ، إلى أن قال :
ثم يأتي رسولٌ يأتي بالحق والعدل ، يكون الملك في قومه إلى
يوم الفصل .

قال : وما يوم الفصل؟

قال : يوم تجزي فيه الولاة ، ويجمع الناس للبيقات .

الباب السابع

في ذكر نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

هو محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ،
ابن قُصي ، بن كلاب ، بن مُرّة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن فهر ، بن مالك
ابن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مُدركة ، بن إلياس ، بن مُضر ،
ابن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

ولا يختلف النسابون إلى عدنان .

ثم يختلفون فيما بعده ، فبعضهم يقول : عدنان بن أد ، بن الهميسع ،
ابن حل بن قيثار بن إسماعيل بن إبراهيم .

وبعضهم يقول : عدنان ، من غير ذكر أد بن أدد .

وفي حديث أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عدنان
ابن أدد بن لؤي بن أعراف الثري » .

قالت أم سلمة : « زيد » هو الهميسع : ويرى هو نبت . وأعراف الثري
هو إسماعيل : كذلك حكى الزبير بن بكار :

وحكى أيضاً أن أعراف الثري إبراهيم ، لأنهم لما رأوه لم يحترق
بالنار . قالوا : ما هو إلا أعراف الثري .

وهكذا ضبط لنا زيد . وقد حدثنا عن أبي أحمد المسكري أنه قال :
إنما هو زيد مثل اسم أبي دلامة .

• عن عروة قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان .

وقال ابن أبي خيثمة : ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف
ما وراء معد بن عدنان بثبت .

الباب الثامن

في ذكر طهارة آبائه وشرفهم

• عن وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم » .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن عائشة رضی الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قال جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد نبياً أفضل من بنى هاشم » (١) .

• عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقراً ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله إن قريشاً جاسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوك مثل نخلة تنبت في كبوة من الأرض .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يوم خلق الخلق جعلني من خيرهم ، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين ، ثم حين

(١) أخرجه البيهقي والطبراني في الأوسط وابن عساكر . وفي الخصائص :

جعل القبائل جعلنى فى خير قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً » .

• وقال ربيعة : إن ناساً من الأنصار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع من قومك حين يقول القائل منهم : إنما مثل محمد مثل نخلة تنبت فى كِبا » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله خلق خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلنى من خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » .

« الكبا » مقصور . وهو الكناسة . قال الأصمى : فإذا مدَّ فهو البحر . قال شمر : ولم يسمع الكبوة .

الباب التاسع

في بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ، فنزلت : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (١) » أي إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم .

• وقال الشعبي : أكثر الناس علينا في هذه الآية « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » أي إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم ، فكتبت إلى ابن عباس .

فكتب ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط النسب في قريش ، لم يكن حتى من أحياء قريش إلا وقد ولدوه ، فقال الله تعالى :

« قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » .

أي : تودوا قرابتي منكم ، وتحفظوني في ذلك .

عن ابن عباس في قوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (١) » .

قال : ليس من العرب قبيلة ، إلا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، مَضْرِيَّهَا وَرَبِيعِيَّتْهَا ، وِيَمَانِيَّهَا .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(١) سورة الشورى ٢٣ .

الباب العاشر

في قوله عليه السلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

• عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء . »

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله يفتلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصنيَّ مُهذبًا ، ولا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما . »

الباب الحادي عشر

في ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على وجود
رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عبد المطلب : بينما أنا نائم في الحجر رأيت رؤيا هالتي ، ففرغت
منها فرعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قريش ، وعلى مطرف خزٍ وجمتي (١)
تضرب منكبي .

فلما نظرت إليّ عرفت في وجهي التغير ، وأنا يومئذ سيد قومي .
فقلت : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان
الدهر شي (٢) ؟

فقلت لها : بلى .

وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ، ثم يضع يدها
على أم رأسه ، ثم يبدو بحاجته ، ولم أفعل ، لأنني كنت كبير قومي .
فجاست فقلت : إني رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت ، قد نال
رأسها السماء ، فضربت بأغصانها المشرق والمغرب .

وما رأيت نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس بتسعين ضعفاً .
ورأيت العرب والعجم ، ساجدين لها ، وهي تزداد كل ساعة عظماً
ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تحفي ، وساعة تزهر .

(١) الجملة : شعر الرأس الكثيف .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم : هل رأيت من حدثان الدهر شيئاً ؟

ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها .

فإذا دنوا منها ، أخرم شاب ، لم أرقط أحسن منه وجها ولا أطيب منه ريحا ، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم .

فرفعت يدي لأتناول منها قسما فقال لي : لا نصيب لك فيها .

فقلت : ومن له نصيب ؟ فقال : النصيب لها ، وللذين تعلقوا بها وسبقوك إليها .

فانتهت فزعا مرعوبا .

فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، وتدين له الناس .

ثم قالت لأبي طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود .

فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة - والله أعلم - أبا القاسم الأمين .

فيقال له : ألا تؤمن به ؟ فيقول : السُّبَّةُ والعمار !

الباب الثاني عشر

في ذكر منام^(١) وآه خالد بن سعيد بن العاص

يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن خالد بن سعيد : قال كنت ذات ليلة نائماً قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة ، حتى لا يبصر امرؤ كفه .

فبينما هو كذلك إذ خرج نور [من زمزم^(٢)] ، ثم علا في السماء فأضاء في البيت ، ثم أضاءت مكة كلها .

ثم إلى مغل يثرب فأضاء بها حتى كأنني أنظر البُسر في النخل .

فاستيقظت ، فقصصتها على أخي ، عمرو بن سعيد ، وكان جَزَل الرأى .

فقال : يا أخي ، إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب .

ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم .

قال خالد : فإنه لما هداني الله [به] للإسلام .

قالت أم خالد : فأول من أسلم ابني . وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال : « يا خالد ، أنا والله ذلك النور ، وأنا رسول

الله » . فقص عليه ما بعثه الله به ، فأسلم خالد وأسلم عمرو بعده^(٣) .

(١) لا يستغرب أن تكثر الرؤى الصادقة ، بين يدي حدث عظيم كالإسلام .

والنفوس المصقولة من أي دين ربما أمكنها أن تستشف الشيوب .

(٢) من الخصائص .

(٣) خبر خالد ابن سعيد ، أخرجه ابن سعد ، والبيهقي . والزيادة من الخصائص .

الباب الثالث عشر

في ذكر منام رآه عمرو بن مرة يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال :

خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في المنام ، وأنا بمكة ، نوراً ساطعاً خرج من الكعبة ، حتى أضاء لي من الكعبة إلى جبل يثرب وأشعر جهينة (١) .

فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : انقشعت الظلماء (٢) وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء .

ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن (٣) .

فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن في هذا الحى من قریش حدث . وأخبرتهم بما رأيت .

فلما انتهينا إلى بلادنا ، جاءنا الخبر أن رجلا يقال له أحمد ، قد بُعث .

(١) الأشعر : هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه .

(٢) الأصل : امتنت الظلم وهو تحريف . وما أثبتته من الخصائص ٦٧

(٣) أيضا المدائن : قصر كسرى .

فخرجت حتى أتيتها ، فأخبرته بما رأيت فقال لي :
يا عمرو بن مرة ، أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أَدْعُوهم إلى الإسلام ،
وأمرهم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج
البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً .
فمن أجاب ، دَخَلَ الجنة ، ومن عصى فله النار ، فأمن بالله يا عمرو
ابن مرة ، يؤمنك الله من هول جهنم » .

فقلت : يا رسول الله ، آمنتُ بكل ما جئت به من حلال وحرام ،
وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام .
ثم أنشدته أبياتاً قلتها ، حين سمعت به .
وكان لنا صنم ، وكان أبي سادنا له ، فقامت إليه فكسرتة ، ثم لحقت
بالنبي صلى الله عليه وسلم :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنْنِي لِأَلَمَةِ الْأَخْجَارِ أَوْلُ تَارِكِ
وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِرَارِ مُهَاجِرًا أَجُوبُ إِلَيْكَ الدَّعْثَ بَعْدَ اللَّهِ كَادِكِ (١)
لِأُصْحَبِ خَيْرِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا رَسُولَ مَلِكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ (٢)
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مرحباً بك يا عمرو بن مرة .

فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، ابعث بي إلى قومي ، لعل الله
عز وجل يمن عليهم بي ، كما من بك علي .

(١) الدعث : الأرض المستوية . والدكادك : أرض فيها غلظ .
(٢) يريد بقوله هذا ، الله تعالى . الذي فوق السموات . قال في المختار من
الصحاح « الحباك والحبيكة : الطريقة في الرمل ونحوه ، وجمع الحباك حُبُك ،
وجمع الحبيكة حباكك . وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ) قالوا : طرائق
النجوم . ١ . المراد منه .

فبعثني إليهم وقال : عليك بالرفق والقول السديد ، ولا تك فظا ،
ولا متكبرا ، ولا حسودا .

فأتيت قومي فقلت : يا بني رفاعة ، بل يا معاشر جهينة ، إني رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ،
وأمركم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج
البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً ، فمن أجاز ، فله
الجنة ومن عصى فله النار .

يا معاشر جهينة إن الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أتم منه ،
وبفض إليكم في الجاهلية ، ما حيب إلى غيركم من العرب .
كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلف الرجل على امرأة أبيه ، والغزاة
في الشهر الحرام .

فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب ، تناولوا شرف
الدنيا وكرامة الآخرة ، وسارعوا في ذلك ، تكن لكم فضيلة عند
الله عز وجل .

فأجابوا إلا رجلا منهم ، فقام فقال :

يا عمرو بن مرة أمر الله عيشك ! أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ، ونفرك
جماعتنا ، ونخالف دين آبائنا ، إلى ما يدعو إليه هذا القرشي من أهل
تهامة ؟ لا حياء ولا كرامة .

ثم أنشأ الخبيث يقول :

هَذَا ابْنُ مَرَّةٍ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ لَيْسَتْ مَقَالَةً مَنْ يُرِيدُ صَلَاحًا
إِنِّي لِأَحْسَبُ قَوْلَهُ وَقِفَالَهُ يَوْمًا ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيَاحًا

أُنْسَفَهُ (١) الْأَشْيَاخَ فِيمَنْ قَدْ مَضَى مِنْ رَامٍ (٢) ذَاكَ فَلَا أَصَابَ فَلَا حَا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب يفتني وبينك ، أمر الله عيشه ، وأبكم لسانه وأكبه أسنانه .

قال عمرو : فوالله ما مات حتى سقط فوه ، فكان لا يجد طعم الطعام ، وعي وخرس .

فخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه معه ، حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحب بهم وحيّاهم ، وكتب لهم كتابا هذه نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب أمان من الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهني : أجهينة بن زيد ، إن لكم بطون الأرض وظهورها ، وتلاع (٣) الأودية وسهولها ، ترعون نباته وتشربون صافيه ، على أن تقرؤوا بالخمس وتصلوا صلاة الخمس ، وفي التبعية (٤) والصريمة (٥) شاتان إذا اجتمعا ،

(١) أي : زيف ونحطى .

(٢) قوله (من رام) إلى آخر البيت جملة دعائية أي : من أراد تخطئة الآباء والأجداد ، لا وفقه الله لأن يكون من الفالحين .

(٣) قوله « تلاع » قال في المختار من الصحاح مفردة « تلعة » بوزن « القلعة » ما ارتفع من الأرض وما انهبط وهو من الأضداد عن أبي عبيدة هـ . وفي المصباح التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادي ، والجمع « تلاع » مثل « كلبة » و « كلاب » و « التلعة » أيضا ما انهبط من الأرض . فهي من الأضداد هـ .

(٤) التبعية : ولد البقرة في السنة الأولى كما يستفاد من القاموس ، والصحاح والمصباح .

(٥) الصريمة تصغير صرمة بالكسر ، وهي القطة من الإبل ، ما بين العشرة إلى الأربعين .

وإن افترقا فشاة شاة ، ليس على أهل البيرة (١) صدقة ، والله يشهد على ما بيننا ،
ومن حضر من المسلمين .

فذلك حين يقول عمرو بن مرة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَبَيْنَ بُرْهَانَ الْقُرْآنِ لِعَامِرِ
كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ جَمَعْنَا وَأَخْلَافِنَا (٢) فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
إِلَى خَيْرٍ مَنْ بَمَشِي عَلَى الْأَرْضِ كَلَّمَهَا وَأَفْضَلِهَا عِنْدَ اعْتِكَارِ (٣) الضَّرَائِرِ
أَطَفْنَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ بَطُونُ الْأَعَادِي بِالظُّبَا (٤) وَالْحَوَاصِرِ
فَمَحْنُ قَبِيلٍ قَدْ بَنَى الْمَجْدُ حَوْلَنَا إِذَا اجْتَلَبَتْ فِي الْحَرْبِ هَامُ الْأَكَابِرِ
بَنُو الْحَرْبِ نَفَرِيهَا بِأَيْدِي طَوِيلَةٍ بُوَيْبِيضِ (٥) تَلَالَا فِي أَكْفِ الْمَغَاوِرِ
تَرَى حَوْلَهُ الْأَنْصَارَ يَحْمُونَ سِرْبَهُ (٦) بِسُمْرِ الْعَوَالِي (٧) وَالصَّفَّاحِ (٨) الْبَوَاتِرِ
إِذَا الْحَرْبُ دَارَتْ عِنْدَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَدَارَتْ رَحَاهَا بِاللُّيُوثِ الْهَوَاصِرِ (٩)
تَبْلُجِ (١٠) مِنْهُ اللَّوْنُ وَازْدَادَ وَجْهَهُ كَمَثَلِ ضِيَاءِ الْبَدْرِ بَيْنَ الْهَوَاصِرِ

(١) قوله (ليس على أهل البيرة الخ) يريد أنه لا زكاة على الجمال التي تستعمل

لنقل الطعام من بلد إلى بلد .

(٢) أي : الأجيال الآتية ببلدنا .

(٣) الاعتكار : الإطلام والاختلاط عوفت اعتكار الفراير .

(٤) أي : بمجد السيوف .

(٥) أي : السيوف اللامعة في أيدي الأبطال .

(٦) سربه : أي : نفسه . (٧) سمر العوالي . أي : الرماح .

(٨) الصفاح البواتر . أي : السيف القاطعة . (٩) أي : الأسود الكاسرة .

(١٠) تبلج : وضع وأشرق . والنخبر رواه الطبراني وأبو نعيم .

وذكر ياسر بن سُويد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّه في خيل
أوسريَّة ، وامرأته حامل ، فولد له مولود ، فحملته أمه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، قد ولدت هذا المولود ، وأبوه
في الخليل .

فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرَّ يده عليه وقال :

اللهم أكثِرِ رجالهم ، وأقلِّ نساءهم ، ولا تحوجهم ، ولا تُرِ أحدانهم
خِصاصةً .

ثم قال « سَمِيه مُسْرِعًا ، فهو إِسْرَاعٌ فِي الْإِسْلَامِ » .

الباب الرابع عشر

في ذكر تزويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بني زهرة

عن عبد المطلب : خرجتُ إلى اليمن في « رحلة الشتاء » (١) ، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزَّبُور ، فقال :

يا عبد المطلب ، أتأذن لي أن أنظر إلى بعض جسدك ؟

قلت : نعم ، ما لم يكن عورة .

فنظر في منخري فقال : أجد في أحد منخريك مُلكا ، وفي الآخر

نبوءة ، فهل لك من شاعة ؟

قلت وما الشاعة ؟

قال : الزوجة .

قلت : أما اليوم فلا .

قال : فإذا قدمت مكة فتزوج .

فقدم عبد المطلب ، فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

فولدت له حمزة وصفية .

ثم تزوج عبدُ الله بن عبد المطلب ، آمنه بنت وهب ، فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكانت قريش : تقول فلج (٢) عبد الله على أبيه .

وفي رواية أخرى أنه قال : وفي الآخر نبوة ، وإنا نجد ذلك في بني

زُهرة ، فإذا رجعت فتزوج فيهم .

(١) في دلائل النبوة للبيهق المخطوط « في رحلتى الإيلاف » وفي الخصائص :

« رحلة الشتاء » وهو أصح . ولذلك أئمتناه في المتن .

(٢) فلج : فاز . والخبر أخرجه الحاكم والبيهق ، والطبراني ، وأبو نعيم .

(م ١٠ — الوفا)

الباب الخامس عشر

في ذكر عبد الله أبي نبينا صلى الله عليه وسلم

كان عبد الله ، وأبو طالب ، والزيير ، لأم واحدة ، واسمها فاطمة بنت عمرو .

وكان عبد المطلب قد رأى في المنام قائلا يقول له : « احفر زمزم » .
ونعت له موضعها .

فقام يحفر ، وليس له ولد يومئذ ، إلا الحارث ، فنازعته قريش .
فَنذَرَتْ لثَنَ وَلَدَ لَهُ عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ ، ثُمَّ بَلَّغُوا أَنْ يَمْنُوهَ ، لِيَنْحَرَنَّ أَحَدَهُمْ
لِلَّهِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ .

فلما تموا عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، أخبرهم بنذره ، فأطاعوه
وكتب كلٌّ منهم اسمه في قِدْحٍ ، وجمعها ، وأعطاهم قِيمَ هَيْبَلٍ وَقَالَ :
اضرب بقداح هؤلاء .

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذه وأخذ الشفرة ليذبحه .
فقامت إليه قريش من أنديةها وقالوا : لا تفعل حتى تُعْذَرَ فِيهِ .
فانطلق به إلى عرَافَةَ .

فقال له : كم الدية فيكم ؟

قال : عَشْرَ مِنَ الْإِبِلِ .

قالت: قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ، وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبْلِ ، ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهِ
وَعَلَى [الْإِبْلِ] الْقِدْحَ (١) .

فَإِنْ خَرَجْتَ عَلَى صَاحِبِكَ ، فَزِيدُوا مِنَ الْإِبْلِ حَتَّى يَرْضَى رَبِّكُمْ .

فَإِذَا خَرَجْتَ عَلَى الْإِبْلِ ، فَقَدْ رَضِيَ ، وَنَجَى صَاحِبُكُمْ .

فَقَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا ، فَخَرَجْتَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ .

فَزَادُوا عَشْرًا ، فَخَرَجْتَ عَلَيْهِ ، فَزَادُوا ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ ، حَتَّى

جَعَلُوهَا مِائَةً .

فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبْلِ فَتُحِرَتْ ، ثُمَّ تَرَكْتَ لَا يُصَدُّ عَنْهَا إِنْسَانٌ ،

وَلَا سَبْعٌ .

(١) ابن هشام: ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح .

الباب السادس عشر

في ذكر تروج عبد الله آمنة بنت وهب

لما نحرحت الإبل فداء لـ «عبد الله» مرة مع أبيه على أمّ قتال بنت نوفل
ابن أسد بن عبد المزني ، وهي أخت ورقة .

فقال : يا عبد الله أين تذهب ؟

قال : مع أبي .

فقال : لك عندي مثل الإبل التي نُحِرت عنك ، وقع عليّ .

قال : إني مع أبي ، لا أستطيع فراقه .

فخرج به عبد المطلب ، حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة ،
فزوجّه آمنة ، فدخل عليها ، فوقع عليها مكانه .

فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم خرج من عندها ، حتى أتى المرأة التي كانت عرضت عليه نفسها .

قال لها : مالك لا تعرضين عليّ اليوم ، ما كنت عرضت عليّ بالأمس ؟

فأجابته : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم

حاجة (١) .

(١) أشك كثيراً في صحة هذه الرواية التي لا تشرف أبا النبي صلوات الله عليه
كما يقصد ناقلوها ، وليست النبوة إفراز غدة في الجسم ، بل هي اصطفاء من الله
« الله أعلم حيث يجعل رسالته » ولم يكن من آباء النبي من يتوق إلى الزنا ، وخاصة
فور زواجه .. !

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر ،
وقرأ الكتب .

وكان فيما أدرك ، أنه كائن في هذه الأمة نبي من ولد إسماعيل .

• عن ابن عباس قال : لما خرج عبد المطلب بـ « عبد الله » ، ليزوجه
مرّة به على كاهنة يقال لها فاطمة بنت مر ، من أهل تباله ، قد قرأت الكتب
فقرأت على وجهه نوراً ، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع على ، وأعطيك
مائة من الإبل ؟ فأنشأ يقول :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَبَيْنَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبَغِينَهُ ؟

ثم تركها ومضى .

• عن أبي الفياض قال : مر عبد الله بامرأة من خشم يقال لها فاطمة
بنت مر ، وكانت من أجل النساء ، وأشبههن وأعفهن ، وكانت قد قرأت
الكتب ، وكان شبان قريش يتحدثون إليها .

فقرأت نور النبوة في وجه عبد الله ، فقالت : يا فتى من أنت ؟ فأخبرها .

قالت : فهل لك أن تقع على وأعطيك مائة من الإبل ؟

فنظر إليها وقال :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَبَيْنَهُ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبَغِينَهُ

ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب ، فكان معها .

ثم ذكر الخنعمية وجمالها ، وما عرضت عليه ، فأقبل عليها ، فلم ير منها ،
من الإقبال عليه آخرأ ، كما رآه منها أولاً .

فقال : هل لك فيما قلت ؟

فقلت : « قد كان ذلك مرة ، فاليوم لا » .

فذهبت مثلاً .

وقالت : أى شىء صنعت بعدى ؟

قال : وقعت على زوجتى آمنة بنت وهب .

قالت : إبنى والله ، لست بصاحبة ربية ، ولكننى رأيت نور النبوة
فى وجهك فأردت أن يكون ذلك فى وأبى الله أن يجعله إلا حيث جعله .

وبلغ شباب قريش ، ما عرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأبيه (١) عنها .

فذكروا ذلك لها ، فأنشأت تقول :

إِنِّى رَأَيْتُ مَخِيْلَةً (٢) بَلَغَتْ فَمَلَأَلَاتُ بِحَنَاتِمِ (٣) الْقَطْرِ
فَلَمَّأَتْهَا نُورًا (٤) يُضِيءُ لَهُ مَا حَوْلَهُ كَأِضَاءِ الْفَجْرِ
وَرَأَيْتُهُ شَرَفًا أَبْوَدَ بِهِ مَا كُلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي

وقالت أيضاً :

بِنِّى هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أَخِيكُمْ أَمِيْنَةٌ إِذْ لِلْبَاهِ يَمْتَلِجَانِ

(١) أى : امتناعه . (٢) مخيلة . أى : سحابة .

(٣) أى : سحائب . قال فى الصحاح : « الحناتم » سحائب سود لأن السواد
عندهم خضرة . ومفرد الحناتم « حنم » وهى الجرة الخضراء .

(٤) لمأتها : لمحتها . وروى : فلما بها ، نور . وكذلك : فلماها نور .

كَمَا غَادَرَ الْمِصْبَاحُ بَعْدَ خُبُوهِ (١)
وَمَا كُلُّ مَا يَخْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ (٢)
فَأَجِلْ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ
سَتَكْفِيكَ إِمَّا يَدٌ مُقْفَعَةٌ (٣)
وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا قَضَتْ
فَتَائِلَ قَدْ مِثَّتْ لَهُ (٤) بِدِهَانِ
بِحَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِي (٥)
سَيَكْفِيكَ جَدَّانِ (٦) يَصْطَرِعَانِ
وَإِمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بِبَنَانِ
نَبَأَ (٧) بَصْرِيٍّ عَنْهُ وَكَلَّ (٨) لِسَانِ

(١) أى : بعد خمود لهبه ، والمراد : بعد انطفائه .

(٢) ميثت : دهن .

(٣) قال فى الصحاح : التالذ ، والتلاد ، والإتلاد : اللال القديم الأصل الذى

ولد عندك ، وهو تقيض « الطارف » .

(٤) أى : لضعف وقتور . (٥) جدان : أى : حظان يتنافسان .

(٦) الأصل منلثة وما أثبتته من دلائل النبوة وابن كثير . ومعنى مقفلة :

مشفحة منقبضة .

(٧) قال فى المختار من الصحاح « نبا الشيء عنه : تباعد ، ونبا بصري عن

الشيء أى لم يدركه ، وهو تعبير مجازى كما فى أساس البلاغة لأن معناه الحقيقى إذا

لم يصل السيف فى الضريبة .

(٨) أى : تعب .

الباب السابع عشر

في ذكر ما جرى لأمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

- عن عمة وهب بن ربيعة قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به أمينة بنت وهب كانت تقول :
ما شعرتُ أني حملت به ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء ، إلا أني أنكرت رفع حيضتي .
- فأتاني آت ، وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟
فكأنني أقول : ما أدري .
- فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها . وذلك يوم الاثنين .
- قالت : فكان ذلك مما يقنَّ عندي الحمل ، ثم أمهلني .
- حتى إذا دنت ولادتي ، أتاني ذلك الآتي فقال :
قولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد .
- قالت : كنت أقول ذلك .
- فذكرت ذلك لنسائي ، فقلن تعلق حديداً في عضدك وفي عنقك .
- قالت : ففعلت ، فلم يكن يترك [عليّ] (١) إلا أياماً ، فأجده قد [قطع] (١) فكنت لا أتعلقه .
- ولقد قالت أمينة : لقد علقت به ، فما وجدت مشقة حتى وضعته .
- وأمرت أن تسميه أحمد .

(١) من الخصائص الكبرى للسيوطي .

الباب الثامن عشر

في ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

- ولد عبد الله لأربع وعشرين سنة مضت ، من ملك كسرى أنوشروان ، ثم تزوج آمنه ، فلما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم توفى .
- عن أيوب بن عبد الرحمن قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام ، في غير من غيرات قريش ، يحملون تجارات . ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فرأوا بالمدينة ، وعبدُ الله يومئذ مريض ، فقال : أتخلف عند أخوالي ، بنى عدى بن النجار . فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه ، فقدموا مكة . فسألهم عبد المطلب عن عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله وهو مريض . فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفى ، ودفن في دار النابغة ، وهو رجل من بنى عدى بن النجار . فرجع ، فأخبر عبد المطلب ، فَوَجَدَ (١) عليه وَجْداً شديداً . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، حمل يومئذ : ولعبد الله يوم توفى خمسٌ وعشرون سنة .
 - قال الواقدي : ترك عبد الله « أمّ أيمن » وخمسة أجمال ، وقطعة غنم ، فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 - وقد قيل : إن عبد الله توفى بعد ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح .

(١) أى : حزن عليه حزناً شديداً .

الباب التاسع عشر

في ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول
عام الفيل .

وقيل لليلتين خلنا منه .

وقيل لاثنتي عشرة ليلة .

وقال ابن عباس : ولد يوم الفيل .

وكان قدوم الفيل وهلاك أصحابه يوم الأحد ، ثلاث عشرة ليلة بقيت
من الحرم وكان أول الحرم تلك السنة ، الجمعة ، وذلك لمضي اثنتي وأربعين
سنة من ملك كسرى أنوشروان .

● وقيل : إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تعرف بدار محمد
ابن يوسف الثقفي ، أخى الحجاج .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب ،
فلم تزل في يد عقيل حتى توفي ، فباعها ولده ، من محمد بن يوسف ، فبنى داره
التي يقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك في الدار حتى أخرجته الخيزران
وجعلته مسجداً يصلى فيه .

● عن أبي قتادة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم
يوم الاثنين . فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل عليّ فيه .

انفرد بإخراجه مسلم .

● قال ابن إسحق : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لافنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول .

● وقد روى عن الزهرى أنه قال : ولد بعد الفيل بمئتين سنين ، ولا يصح .

وقال البراء : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول ، يوم العشر من نيسان .

● وقال حسان بن ثابت : إني لغلام يَفْعَة ، ابن سبع سنين أو ثمان سنين ، إذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة : يا معشر يهود .

فلما اجتمعوا قالوا : مالك ويلك ؟ !

قال : قد طلع نجم أحمد ، الذى يولد به هذه الليلة .

قال : فأدركه اليهودى ، فلم يؤمن !

● عن حسان أيضاً قال : إني لعلى فارغ وهو أطم (١) ، فى السَّحَر ، إذ سمعت صوتاً لم أسمع قط صوتاً أنفد منه .

فإذا يهودى على أطم من أطام المدينة معه شعلة من نار .

فاجتمع الناس إليه فقالوا : مالك ويلك !

فقال : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد .

فجعل الناس يضحكون منه ، ويمجبون لما يأتى به .

(١) فارغ . أطم من أطام المدينة ، ينسب إلى حسان بن ثابت .

الباب العشرون

في قصة القيل

قال علماء السير: بنى أبرهة كنيسة لم يرَ مثلها وقال:

لست بمنته، حتى أصرف إليها حجاج العرب.

فلما عرفت العرب ذلك، خرج منهم رجل، فأحدث فيها.

ففضب أبرهة وحلف، ليسيرنَّ إلى البيت فيهدمه.

فخرج ومعه القيل.

فلما انتهى إلى مكة، نهىها وقال لبعض أصحابه: سأل عن سيد أهل

مكة، وقل له: إنا لم نأتِ لحربكم، إنما جئنا لهدم هذا البيت.

فدُلَّ على عبد المطلب، فأخبره ما قال.

فقال: والله ما نريد حربَه، ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله

الحرام، وبيت خليله إبراهيم: وإن يمنعه، فهو بيته. ثم حمل إليه، فأكرمه

وأجله وقال: حاجتك؟

قال: أن تردَّ عليَّ مائتي بعير أصبتها لي.

فقال لرجلانه: قل له: قد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم زهدتُ

فيك حين كلمتني! أتكلمني في مائتي بعير، وتترك بيتاً هو دينك ودين

آبائك، قد جئت لهدمه؟!!

فقال: أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه.

وخرج عبد المطلب إلى قريش ، فأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في
الجال والشعاب ، تخوفاً عليهم من معرة الجيش .

ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة وقال :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ وَأَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ أَمْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا فِتَاكَ
وقال أيضاً :

لَا تُمِّمْ (١) إِنْ أَلْمَزْتَهُ يَمْنَعُ رَحْلَهُ وَجِلَالَهُ (٢) فَأَمْنَعُ حِلَالَكَ
لَا يَفْلِيَنَّ صَالِيَهُمْ وَبِحَالِهِمْ غَدَاً بِحَالِكَ (٣)
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالَكَ (٤)
عَدُّوا (٥) حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ (٦) جَهْلًا وَمَا رَقِبُوا جِلَالَكَ (٧)
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا قَدْ بَدَا لَكَ

ثم إن أبرهة تهباً للدخول وهياً الفيل ، فأقبل نفيل بن حبيب الخنمى
وقال بأذن الفيل : ابرك محمود ، وارجع من حيث جئت ، فإنك في بلد الله
الحرام . فبرك .

(١) لفة في « اللهم » .

(٢) الحلال : جمع حلة ، وهي الطائفة من البيوت وتطلق على المتاع .

(٣) المحال : القوة والشدة . وغدوا : غدا . وهو اليوم الذي يمد يومك ، وقد
استعمل هنا تاماً ، ولا يستعمل كذلك إلا في الشعر . وروى : عدوا ، بالعين المهملة .

(٤) أى : أهل بيتك وهو الكعبة .

(٥) أى : قصدوا بيتك . (٦) أى : سميم ومكرهم الذى دبروه .

(٧) وما رقبوا جلالك . أى : لم يراقبوا فى قلوبهم عظمتك .

ومضى نَفِيلٌ يَشْتَدُّ في الجبل ، فضربوا النَيلَ ليقوم فأبى ، فوجهوه إلى اليمن فهرول ؛ ووجهوه إلى مكة فبرك .

وأرسل الله تعالى طيرًا أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجله ، أمثال الحص والعدس ، لا يصيب أحداً إلا هلك .

فخرجوا هارين بيتدرون الطريق الذي جاءوا منه . فهلكوا في كل سهل وجبل .

وأصيب أبرهة بداء في جسده ، فسقطت أنامله فقدموا [به] صنعاء وهو مثل الفرخ ، فمات حتى انصدع صدره عن قلبه .
وولد في هذا العام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن قتيبة : وقد أجمع الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وقد عاين ذلك حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى وحسان بن ثابت ، وكل هؤلاء عاشوا في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة وقالت الشعراء في ذلك عن عيان الأمر ومشاهدته .

منهم نَفِيلُ بن حبيب ، وهو جاهلي وكانت الحبشة أخذته ، ليدلها على الطريق إلى مكة ، فهرب منهم بحيلة فقال :

أَلَا رُدِّي زَكَائِبِنَا رُدَيْنَا (١) نَعْمْنَا كُمْ عَلَى الْهِجْرَانِ عَيْنَا
فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ وَلَنْ تَرِيهِ (٢) لَدَى جَنْبِ الْحَصْبِ (٣) مَا رَأَيْنَا

(١) ابن هشام والمراجع : ألا حيث عنا ياردينا .

(٢) ابن هشام : ولا تريبه .

(٣) قال في المصباح : الحصب موضع بمكة على طريق «منى» ويسمى البطحاء .

حَدَّثَ اللَّهُ إِذْ عَابَتْ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكَلُّهُمْ يُسْأَلُ (١) عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَى الْحُبْشَانَ دِينَنَا
وقال أمية بن أبي الصلت :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ مَا يُمَارِي (٢) فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حَبَسَ الْفَيْلَ بِالْمَقْمَسِ (٣) حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو (٤) كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

• قالت عائشة رضى الله عنها : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة ،
أعميين مُتَعَدِّينِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ .

قال ابن قتبية : وفي أمر الفيل ، أنه بينة على الإله المسخر للطير ، وإنما
فعل ذلك لنصرة من ارتضاه ، وهلكة من سخط عليه ، لا لنصرة
قريش ، فإنهم كانوا كفارا ، لا كتاب لهم ، والحبشة لهم كتاب .
فلا يخفى أن المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه الداعى
إلى التوحيد .

• عن عائشة أيضاً أنها قالت : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة
أعميين متعدين يستطعمان الناس .

(١) ابن هشام والمراجع : وكل القوم يسأل عن نفيل .

(٢) أى : ما يجادل .

(٣) قال فى القاموس : « والنمس » كـ « معظم » و « محدث » موضع
بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة ويرجم .

(٤) قوله : ظل يحبو الخ . أى استمر يزحف كالطمون وهو يعالج الموت .

الباب الحادي والعشرون

في ذكر ما جرى عند وضع آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

• قالت آمنة: لقد رأيت ليلة وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها .

• وقالت آمنة أيضاً - لما ضربها المخاض - قالت: فجعلت أنظر إلى النجوم تدلّي ، حتى قلت لَتَمَعَنَّ عليّ .

فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار ، حتى جعلت لا ترى إلا نوراً .

وقالت الشفاء ، أم عبد الرحمن : لما ولدت آمنةُ محمداً صلى الله عليه وسلم ووقع على يدي ، استهلّ صارخاً فسمعت قائلاً يقول : رحمك ربك .

قالت الشفاء : فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب ، حتى نظرت إلى بعض قصور الشام .

قالت : ثم اضطجعت فلم أنشب (١) أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ، ثم أسفر لي عن يميني .

فسمعت قائلاً يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبتُ به إلى المغرب .

ثم عاودني الرعب والظلمة والقشعريرة ، ثم أسفر لي عن يساري .

(١) أنشب: ألبث .

فسمعت قائلاً يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبت به إلى المشرق ،
ولن يعود أبداً .

فلم يزل الحديث منى على بال ، حتى ابتمت الله رسوله صلى الله عليه وسلم .
فكنت في أول الناس إسلاماً .

وقالت أمّنة : ولدته جائئاً على ركبتيه ، ينظر إلى السماء .

ثم قبض قبضة من الأرض وأهوى ساجداً ، وولد وقد قطعت سُرته .
وكنت وضعت عليه إناءً ، فوجدت الإناء قد انفلق عنه ، وهو يعمص
إبهامه ، يشخب لبناً .

• وكان بمكة رجل من اليهود حين ولد ، فلما أصبح قال : يا معشر
قريش ، هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلمه .

قال : وُلد الليلة نبي العرب ، له شامة بين منكبيه سوداء ظفراء ،
فيها شعرات .

فرجع القوم فسألوا أهلهم ، هل ولد لعبد المطلب الليلة ولد ؟
قالوا : نعم .

فأخبروا اليهودي فقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل .

• عن أبي أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت أمي
كأنه خرج منها نور ، وأضاءت منه قصور الشام .

• عن عكرمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه وضمته
تحت برمة فاظلمت عنه .

قالت فنظرت إليه ، فإذا هو قد شقَّ بصره ، ينظر إلى السماء .

● وعن عمة وهب بن زَمعة قالت : لما ولدت آمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى عبد المطلب .
فجاءه البشير وهو جالس في الحِجْر معه ولده ، ورجال من قومه .
فأخبروه أن آمنه ولدت غلاماً ، فسُرَّ بذلك عبد المطلب .
وقام هو ومن كان معه ، فدخل عليها ، فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها ، وما أمرت به .
فأخذ عبد المطلب فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله تعالى ، ويشكر ما أعطاه .

قال ابن واقد : فأخبرت أن عبد المطلب قال يومئذ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي التَّمْهِدِ عَلَى الْغُلَمَانِ أُعِيدُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَزْكَانِ
حَتَّى أَرَاهُ بِأَلْبَاحِ الْبُنْيَانِ أُعِيدُهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَتَّانِ (١)

مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرَبِ الْعِيَانِ

● وقال العباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم نحتوناً مسروراً .

فأعجب جده عبد المطلب وقال : ليكون لابني شأن . وكان له شأن .

● عن عبد الرحمن بن عوف قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هتفت الجن على أبي قبيس على الحجون ، الذي بأصله المقبرة ، وكانت قريش تبيل فيه ثيابها فقال :

فَأَقْسِمُ مَا أَنْتِ مِنَ النَّاسِ أَنْجَبْتِ وَلَا وُلِدْتَ أَنْتِ مِنَ النَّاسِ وَالْأَمَّةُ

(١) ذى شتآن ، أى : ذى عداوة .

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَّةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ نَجِيَّةٌ مِنْ لَوْمِ التَّبَائِلِ مَا جِدَهُ
وَقَدْ وَلَدَتْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَحَدًا فَأَكْرَمَ مَوْلُودًا وَأَكْرَمَ وَالِدًا

وقال الذي على أبي قيس :

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ (١) لَا تَغْلَطُوا
إِنَّ بَنِي زُهْرَةَ مِنْ سِرِّكُمْ (٢)
وَاحِدَةٌ مِنْكُمْ فَهَاتُوا لَنَا
وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَهَا

وَمَيِّزُوا الْأَمْرَ بِفِعْلِ مَضَى
فِي غَابِرِ (٣) الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْيَدَى
فَيَمِّنْ مَضَى فِي النَّاسِ أَوْ مَنْ بَقِيَ
جَنِينَهَا مِثْلَ النَّسِيِّ التَّقِي

(١) موضع بمكة على طريق منى .

(٢) قوله « من سركم » تعبير مجازي ، والمراد : من الأشراف نسباً .
قال في أساس البلاغة « أعطيتك سره : خالصه وهو في سر النسب ؛ محضه » .

(٣) قوله : في غابر : أي في الماضي . وقد يطلق على المستقبل فهو من الأضداد .

الباب الثاني والعشرون

في ولادته مسرورا مختونا

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كرامتي ،
أنى وُلِدْتُ مختوناً ، ولم ير أحدٌ سِوَأَنّى » .

فإن قيل : فلمَ لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان ، حتى شُقَّ صدره
وأخرج قلبه ؟

قال ابن عَقِيل : لأن الله سبحانه أخفى أذون التطهيرين الذى جرت
العادة أن تفعله القابلة والطيب ، وأظهر أشرفهما وهو القلب ، فأظهر آثار
التجمل والعناية بالعصمة فى طرقات الوحي .

الباب الثالث والعشرون

في ذكر الحوادث التي كانت ليلة ولادته

عن مخزوم بن هانيء عن أبيه ، وأتت له خمسون ومائة سنة ، قال :
لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس (١)
إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شُرْفَة (٢) وغاضت بحيرة ساوة (٣) ،
وخذت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى الموبدان (٤) إبلاً صعباً
تقود خيلاً عراباً (٥) قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها .
فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى (٦) فصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أن
لا يكتم ذلك وزراه ومرآزبه .

فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه ، فلما اجتمعوا عنده قال :
أندرون فيم بعثت إليكم ؟
قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك .

فبيناهم كذلك ، ورد عليهم كتاب بمخود النيران ، فازداد غمًا إلى غمه
فقال الموبدان : وأنا ، أصلح الله الملك ، قد رأيت في هذه الليلة [رؤيا]
وقص عليه الرؤيا في الإبل .

فقال : أي شيء يكون هذا يا موبدان ؟

(١) قال في الصحاح رجست السماء ترجس إذا رعدت وغمضت وارتجست
مثله اه ، وفي الأساس رجست السماء رجسًا وارتجست : قصفت بالبرعداه والمراد هنا
ارتج إيوان كسرى .

(٢) قوله : شُرْفَة ، أي : سقطت من أعلى الإيوان أربع عشرة شُرْفَة .

(٣) غاضت : أي : ذهب ماؤها في الأرض .

(٤) الموبدان : قاض قضاة المجوس .

(٥) الخيل المراب : الخيل الأصيلة المعدة للسباق والحروب : وهي

خلاف البراذين . (٦) في الاكتفاء : أفزعه ذلك .

قال : حادث يكون من عند العرب (١) .

فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك ، إلى النعمان بن المنذر
أما بعد ، فوجه إلى رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه .

فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقبيلة الغسانی .

فلما قدم عليه قال له : هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟

قال : ليخبرني الملك [عما أحب] فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته

بمن يعلمه .

فأخبره بما رأى فقال : علم ذلك عند خال لي ، يسكن مشارف الشام

يقال له سطيح :

قال فأتته فأسأله عما سألتك عنه ، واثنتي بجوابه .

فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح وقد أشفى (٢) على الموت ،

فسلم عليه وحيّاه فلم يجر (٣) جواباً .

فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصم أم يسمع غطريف (٤) اليعن أم فاد فاز لم به شأو العن (٥)

(١) في الاكتفاء : حدث يكون من ناحية العرب . والزيادات في الاكتفاء .

(٢) أي : قرب من الموت . (٣) أي : لم يجبه على تحيته .

(٤) الغطريف : السيد الشريف ، والسخي السري اه قاموس .

(٥) فاد : مات قال :

رعى خرزات الملك عشرين حجة وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وازم : ذهب مسرعاً . والأصل فيه : ازلام فحذفت همزة تخفيفاً ؛ وقيل أصلها

ازلام ، كاشهب ، فحذفت همزة تخفيفاً أيضاً . وشأو العن : اعتراض الموت على

الخلق . وقيل : ازلم : قبض ، والعن : الموت . أي عرض له الموت فقبضه .

وقد تحجفت الرواية في النهاية . أن فار . انظر النهاية ١٣٩/٢

يَا فَاصِلَ (١) الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَىِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذَيْبِ بْنِ حَجَّانٍ
أَبْيَضَ قَضْمَاضَ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنَ
رَسُولَ قَبِيلِ الْعُجْمِ يَسْمَى (٢) لِلْوَسَنِ
لَا يَرْهَبُ الْوَعْدَ وَلَا رَبَّ الزَّمَنِ
تَجُوبُ فِي الْأَرْضِ عَلَمُنْدَاةُ شَزَنْ
تَرْفَعُنِي وَجَنًّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ (٣)
حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي وَالْقَطْنَ
تَلْفَهُ فِي الرِّيحِ بَوَغَاهُ الدَّمَنِ (٤)

فلما سمع سطيح شعره ، رفع رأسه وقال : عبد المسيح على جل مشيح ،
أتى إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعنك ملكُ بني ساسان ، لارتجاس
الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا اللوبذان ، رأى إبلا صعباً ، تقود خيلاً
عرباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها .

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وبُعث صاحبُ المِراوة ، وفاض
وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليست الشام

(١) الأصل : يا فارس الخطة . وما أئتمته رواية اللسان . و « الاكتفاء » .

(٢) في الاكتفاء : ينمى للوسن . وما بين القوسين ساقط من الأصل .

(٣) المنددة : القوية من النوق . والشزن : التي تمشى من نشاطها على جانب ،
شزن فلان : إذا نشط ، وقيل : الشزن الممي من الحفاء . والوجن بفتح فسكون ،
وبفتحتين : الأرض المليظة الصلبة ، ويروى بالضم جمع وجين .

(٤) الجاجي : جمع جوجو ، وهو عظام الصدر . والقطن بفتح الطاء أسفل
الظهر . وقيل الصواب : القطن بكسر الطاء جمع قطنة ، وهي ما بين الفخذين .
والبوغاه : اتراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه أي تجمع وتكبر . ويشهد له
الرواية الأخرى : تلفه الريح ببوغاه الدمن . النهاية .

وقد وردت هذه القصة في ابن كثير ٢/٢٦٩ . ولسان العرب ٣/٣١٢ ،

والاكتفاء للكلاعي ١/١٢٠ - ١٢٢ (بتحقيق) . باختلاف وزيادة ونقص .

قال الترمذي : وهو حديث حسن غريب .

لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت .

ثم قضى سطيح مكانه .

فتار عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمْرُ فَإِنَّكَ مَاضِي الَّتِي شَمِيرُ لَا يُفْرِغُ عِنْدَكَ تَفْرِيقُ وَتَغْيِيرُ
إِنْ يُنْسِ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارًا دَهَارِيرُ
فَرَبَّمَا رَبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةِ تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرِيحِ مَهْرَامُ وَإِخْوَتُهُ وَالْمَهْرُ مِزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَحْفُورُ وَمَهْجُورُ
وَمَنْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعُ وَالشَّرُّ مَحْدُورُ

فلما قدم عبدُ المسيح على كسرى ، أخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ، قد كانت أمور .

فملك منهم عشرة ، أربع سنين ، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

وكان سطيح لهما على وضم ، لم يكن فيه عظم ولا عصب ، إلا الجمجمة والكتفين ، ويطوى من ترقوته إلى رجليه ، كما يطوى الثوب ، ولم يكن منه شيء يتحرك إلا لسانه ، وكان يُحمل على وضمه .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر أمهات الحوادث في سنه صلى الله عليه وسلم

• كان من أعظم الحوادث في السنة الأولى من مولده ، انشقاقُ الإيوان ، وقصة الفيل ، ويوم جبلة .

قال أبو عبيدة : أعظمُ آيات العرب يوم جبلة ، وكان عام ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لعامرٍ وعَبْسٍ ، على ذبيان وتميم .
وقد قال الرّضّى :

فِـنْ إِبَاءِ الأَذَى حَلَّتْ جَاجِهَا عَلَى مَنَاصِلِهَا عَبْسٌ وَذِبْيَانُ

• وفي سنة سبع من مولده ، أصابه رمد شديد ، فعولج بمكة ، فلم تغن عنه .

فقيل لعبد المطلب : إن في ناحية عكاظ راهباً يعالج العين .

فركب إليه فناده ، وديره مفلق ، فلم يجبه ، فتزلزل به ديره ، حتى خاف أن يسقط عليه ، فخرج مبادراً .

فقال : يا عبد المطلب ، إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ، ولو لم أخرج إليك نَحْرَهُ^(١) عَلَى دَيْرِي ، فارجع به ، واحفظه ، لا يفتاله بعضُ أهل الكتاب .

(١) أى : لسقط وتهدم الدير على .

ثم علجه ، وأعطاه ما يعالج به .

وألقى الله له الحجة في قلوب قومه ، وكل من يراه .

• وفي سنة ثمان من مولده مات عبد المطلب وكفله أبو طالب ، ومات كسرى أنوشروان ووليّ ابنه هُرْمَز .

• وفي سنة عَشْرٍ من مولده صلى الله عليه وسلم كان الفِجَار الأول (١).

فلما أتت له بضعُ عشرة سنة خرج في سَفَرٍ مع عمه الزبير ، فمَرُّوا بِوَادٍ فيه فَجَلٌّ من الإبل يمنع من يَجْتاز ، فأرادوا الانحراف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أكفيكموه ، فدخل أمام الركب ، فلما رآه البعير برك وحك الأرض بكلِّ كتفه ، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه . فلما رجعوا من سَفَرهم مروا بوادٍ مملوء ماء يتدفق ، فوقفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتبعوني . ثم اقتحمه واتبعوه فأيس الله الماء . فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس : إن لهذا الغلام لشأنا (٢) .

وكان يُفرش لعبد المطلب في ظل الكعبة وبنوه يجلسون حوله ، فكان

(١) الفجار بمعنى المفاجرة وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعا ، فسمى حرب الفجار . وكان للعرب أربع فجارات آخرها فجار البراض هذا . وأما الفجار الأول فكان بين كنانة وهوازن ، والفجار الثاني بين قريش وهوازن ، وكان الفجار الثالث بين كنانة وهوازن اه باختصار .

من العقد الفريد والأغانى ج ١٩ ص ٧٤ — ٨٠ طبع بولاق .

(٢) هذا مما يمد من الكرامة أو الإرهاص ، وليس من باب المعجزة ، لأنه لم يكن قد ادعى النبوة بعد ، وعلى كل ، فهذه الأخبار واهية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جَفَر (١) فيجلس في مكانه ،
فيأخذه أعمامه ليؤخروه ، فيقول : دعوا بُنَيَّ فوالله إن له لشأنا .

- وفي سنة أربع عشرة من مولده كان الفجار الآخر .
- وفي سنة خمس عشرة من مولده قامت سوق عكاظ .
- وفي سنة تسع عشرة من مولده ذلك هُرْمُز بن كسرى وولي
ابنه أبرويز .
- وفي سنة عشرين من مولده كان حلف الفضول .
- وفي سنة خمس وثلاثين من مولده هُدِمَت الكعبة وبنيت .
- فلما تمت له أربعون سنة نُبِيَّ ، فجاءه الوحي .
- وبعد عشرين يوما من مبعثه ، رُمِيَتِ الشياطين بالشهب .
- واستقر بالنبوة ثلاث سنين ثم نزل : « فاصدع بما تؤمر » .
- وكانت قریش لا تُنكر عليه حتى سبَّ آلهتهم فأذوه وأذوا
أصحابه .
- فأمر أصحابه في سنة خمس من النبوة بالهجرة إلى الحبشة .
- وكانت وقعة بُعَاث في سنة سبع من النبوة .
- وفي سنة عشر من النبوة ، مات أبو طالب وماتت خديجة بعده
بثلاثة أيام .
- وفي سنة إحدى عشرة ، خرج يعرض نفسه على القبائل .

(١) الجفر : الغلام النليظ .

- وفي سنة ائمتي عشرة ، كان المعراج .
- وفي سنة ثلاث عشرة ، بايعه الأنصار في العقبة .
- وفي السنة الأولى من سني الهجرة ، خرج إلى الفار . وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار .
- وفي سنة ائمتين حُوِّلتُ القبلة إلى الكعبة ، ونزلت فريضة رمضان ، وكانت غزاة بدر .
- وفي السنة الثالثة كانت غزاة أُحُد ، وفي السابعة غزاة خيبر .
- وفي الثامنة كانت غزاة اليمام .
- وفي العاشرة ، حجَّ صلى الله عليه وسلم .
- وفي الحادية عشرة ، تُوفِّيَ صلى الله عليه وسلم .

الباب الحادي عشر والعشرون

في ذكر أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

- عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لي خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي (١) ، وأنا العاقب » .
- وعنه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لي أسماء : « أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر ، الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا الماحي ، الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب ، الذي ليس بعدي نبي » .
- عن أبي موسى قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه ، ومنها ما لم يحفظ قال : « أنا محمد ، وأنا أحمد ، والمقفي ، والحاشر ، ونبى التوبة ، ونبى الملاحم » . وعنه أيضاً قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه فقال :
- « أنا محمد ، وأحمد ، والمقفي ، والحاشر ، ونبى التوبة ، ونبى الملحمة » .
- عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أطمع

(١) أى : يحشرون خلفه .

[أحد] طعاماً على مائدة ولا جلس إليها وفيها اسمي إلا قدس (١) كل يوم مرتين .

• عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم قط في مشورة وفيهم رجل اسمه محمد ، لم يدخلوه في مشورتهم ، إلا لم يبارك لهم فيه (٢) » .

• عن ابن فارس الغوى : أن لتبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين اسماً : محمد ، وأحمد ، والمأحى ، والحاشر ، والعاقب ، والمتقى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم ، والشاهد ، والبشر ، والبدر ، والضحوك ، والقتال (٣) ، والمتوكل ، والفالج ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، والرسول ، والنبي ، والأُمى ، والقُثم .

والحاشر : الذي يحشر الناس على قدميه يقدمهم وهم خلفه .

والمتقى : آخر الأنبياء ، وكذلك العاقب .

والملاحم : الحروب . والضحوك : اسمه في التوراة ، وذلك أنه كان طيب النفس ، فكَبِّهَا .

والقُثم : من القُثم وهو الإعطاء ، وكان أجود الناس .

وفي المأحى إشارة إلى ظهور دينه على الملوك ، ونحوه الكفر ، وكثرة الفتوح .

(١) و (٢) هذان الحديثان موضوعان . والرواية في شرح المواهب ٣٠٣/٥ (إلا وقدسوا كل يوم مرتين) .

(٣) إذا صح هذا الإسم فلا بد أن يفهم على أن الإسلام لم يمسك السيف إلا دفاعاً ورحمة .

قال ابن قتيبة : ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أنه لم يُسمَّ أحد قبله باسمه ، صيانة من الله لهذا الاسم ، كما فعل بيحيى بن زكريا ، إذ لم يجعل له من قبل سميّاً .

وذلك أنه سماه في الكتب المتقدمة ، وبشرت به الأنبياء .

فلو جعل الاسم مشتركاً فيه ، شاعت الدعاوى ووقعت الشبهة .

إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه ، حضر أربعة أنفس عند رهب ، وأخبرهم ، باسمه وقرب زمنه ، فسماوا أولادهم بذلك (١) ، ولا يعرف غيرهم (٢) .

(١) وم : محمد بن عدى ، ومحمد بن يزيد بن عمرو ، ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ، ومحمد بن أسامة بن مالك .

(٢) وقال القاضي عياض في الشفا : « وأما أحمد ، الذي في الكتب وبشرت به الأنبياء ، فنعى الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب ، أو شك .

وكذلك عمده أيضاً ، لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم .

إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده أن نبيّاً يبعث اسمه محمد ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلم حيث يجعل رسالته . ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة ، أو يدعى له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره ، حتى تحققت الشيمتان له ، صلى الله عليه وسلم لم ينازع فيهما « الشفا ص ١٩٠

هذا ، وقد ذكر في شرح المواهب ، أن عدد من سمي محمداً في الجاهلية يصل إلى عشرين .

الباب السادس والعشرون

في ذكر كنيته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم ، يُكْنَى أبا القاسم ، لأنه أول ولد ولدته أمه .
• عن أنس بن مالك قال : لما ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية ، كاد يقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه ، حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم . وقد نهى أن يكنى بكنيته .

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باليمع ، فنادى رجل رجلاً : يا أبا القاسم . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم . فقال الرجل : لم أعنيك يا رسول الله ، إنما عنيت فلاناً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَسَمَّوْا بِاسْمِي ، وَلَا تَكُنُوا بِكُنْيَتِي » .

• عن جابر أن رجلاً من الأنصار ، ولد له غلام ، فأراد أن يسميه محمداً .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال :

« تسموا باسمي ، ولا تكونوا بكنتي » .

• عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسمى باسمي ، فلا يكنى بكنتي ، ومن اكنى بكنتي فلا^(١) يتسم باسمي .

(١) في الأصل « فلا يتسمى باسمي » وهو خطأ مطبعي لأن (لا) ناهية تجزم

الفعل المضارع بحذف حرف العلة .

وقد اختلفت الرواية عن أحمد ، فروى عنه أنه يكره أن يجمع بين اسم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته ، فإن أفرد الكنية عن اسمه ، لم يكره .

وروى عنه ، كراهية في الجملة ، في الجمع ، والإفراد .

وروى عنه نفي الكراهة في الجملة ، لما روى في حديث عائشة أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

إني ولدت غلاماً ، فسميته محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لي أنك تكره ذلك .

فقال : ما الذي أحلَّ اسمي وحرَمَ كُنيتي ؟ ! » .

أو : « ما الذي حرم كُنيتي ، وأحلَّ اسمي » .

قلت : وقد أجاز ذلك لعلي في ولد يأتيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال علي : « يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك ولد ، أسميه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » .

فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي .

قلت : والذي يقتضيه النظر في الأحاديث أنه قد كان يكره أن يكتنى بكنيته ، لأن الخطاب لمثله بالكنية .

فأما بعده ، فلا تكره الكنية ، ولا يجمع بينها وبين الاسم .

الباب السابع والعشرون

في ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم

- أول من أرضعه ثويبة ، مولاة أبي لهب ، أياماً .
- ثم قدمت حليلة .

وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف ، وزوج ابنة عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف في مجلس واحد ، فولد حمزة .

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرضتهما ثويبة ، بلبن ابنتها مسروح أياماً .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد عرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها - : إنها لا تحمل لي ، إنها بنت أخي ، أرضعتني وأبأها ، ثويبة .

وكانت ثويبة تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوج خديجة ، فيكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكرمها خديجة ، وهي يومئذ أمة ، ثم أعتقها أبو لهب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة ، حتى ماتت بعد فتح خيبر ، ولا يعلم أنها أسلمت .

بل قد قال أبو نعيم الأصبهاني : حكى بعض العلماء أنه اختلف في إسلامها .

• عن عروة قال : كانت ثوية مولاة لأبي لهب ، فأعتقها ، فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبو لهب ، رآه بعض أهله في النوم ، فقال :

ماذا لقيت يا أبا لهب ؟

فقال : ما رأيت بعدكم رَوْحاً ، غير أني سقيت في هذه — وأشار إلى النقرة التي فوق الإبهام — بعتق ثوية .

قال : وكانت أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا سلمة .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر حليلة وهي التي أرضعته بعد ثويبة

وهي حليلة بنت أبي ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شحنة .
وزوجها ، الحارث بن عبد العزى بن رفاعة .
واسم إخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضاعة حليلة :
عبد الله ، وأنيسة ، وخدّامة بنو الحارث . وخدامة هي الشّماء ، غلب
ذلك على اسمها ، فلا تعرف إلا به .
ويزعمون أن الشّماء سُدِّيت يوم حنين .
فقلت : اعلموا أنّي أخت نبيكم .
فلما أتيت بها ، عرفها فأغناها .
وكانت حليلة من بني سعد بن بكر .
قالت حليلة : خرجت على أتان لى قمرء (١) قد أذمت (٢) بالرّكب .
قالت : وخرجنا في سنة شهباء ، لم تُثبِق شيئاً ، أنا وزوجي ، الحارث
ابن عبد العزى .
قالت : ومعنا شارف لنا ، والله إن تبيض (٣) بقطرة لبن ، ومعى صبي
لنا ، والله ما ننام ليلتنا من بكائه ، ما في ثديي لبن يُغنيه ، ولا في شارفنا
لبن يفذيّه ، إلا أنا نرجو الفرج .

(٢) أذمت : تأخرت .

(١) القمرء : التي يميل لونها إلى الخضرة .

(٣) تبيض : ترشح . والشارف : الناقة المسنة .

فلما قدمنا مكة لم تتبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه .

ولإنما كنا نرجو الكرامة في رضاعة من نرضع له من أبي المولود .
وكان يتيماً صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : ما عسى أن تصنع بنا أمه !
فكنا نأبى .

حتى لم يبق من صواحبناى امرأة ، إلا أخذت رضيعاً غيرى .
قلت : أرجع ولم آخذ أحداً ؟ فككرهت ذلك ، وقد آخذ صواحبناى .
قلت لزوجى : والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم ، فَلَا خُذَّ نَهْ .
قالت : فأنته فأخذه ، ثم رجعت به إلى رحلى .
فقال لى زوجى : قد أخذتیه ؟ قلت : نعم : وذاك أنى لم أجد غيره .
قال : أصبت ، عسى الله أن يجعل فيه خيراً .

قالت : والله ما هو إلا أن وضعته فى حجرى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء
من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب أخوه حتى روى .
وقام زوجى الحارث إلى شارفنا من الليل ، فإذا هى (١) شجاء فحلب
علينا (٢) ما شئنا ، فشرب حتى روى ، وشربت حتى رويت .
قالت : فكشنا بخير ليلة ، شباعاً رواء .

فقال زوجى ، والله يا حليلة ، ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة ، قد
نام صبياننا ، وقد رويتنا .

(١) رواية ابن هشام « فإذا إنها للحافل » ومعنى « حافل » تمتلئ ، ثديها باللبن ،
كما أن معنى « شجاء » كذلك .
(٢) ت : شغلينا .

قالت : ثم خرجنا .

فوالله لقد خرجت أتانِي (١) أمام الركب ، قد قطعهم ، حتى ما يتملق
بها منهم أحد ، حتى إنهم ليقولون :
ويحك يا بنت الحارث ، كفى علينا النصب (٢) ، أهذه أتانك التي
خرجت عليها ؟

فأقول : بلى والله . فيقولون : إن لها لشأناً .

حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بني سعد بن بكر .

قالت : فقدمنا على أجدب أرض الله .

قالت : فوالذي نفس حليمة بيده ، إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا
أصبحوا ، وأسرح راعي غنيمتي ، وتروح (٣) غنمي حُقلاً بطاناً ، وتروح
أغنامهم جياًعاً هلاكاً ، ما بها من لبن لشربه ، فنشرب ما شئنا من لبن .
وما من الحاضر من أحد يحلب قطرة ولا يجدها .

قالت : فيقولون لرعاتهم : ويلدكم ، ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة .
فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه ، وتروح غنمهم جياًعاً ما بها
من لبن ، وتروح غنمي حُقلاً لبناً .

قالت : وكان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر !

(١) أتانِي ، أي : حماتي .

(٢) أي : التعب ، والمراد : أتعبنا حتى عجزنا عن لحاقك .

(٣) أي ترجع آخر النهار حُقلاً ، أي ممتلئاً ندى كل شاة باللبن وكذا بطونها
بما رَعَت من نبات الأرض .

- ويشب في الشهر ، شباب الصبي في سنة .
قالت : فبلغ سنتين وهو غلام جَفر .
قالت : فقدمتنا به على أمه فقلت لها ، وقال لها زوجي :
دعي ابني ، فلنرجع به ، فإننا نخاف عليه وباء مكة .
قالت : ونحن أضن شيء به لما رأينا من بركته صلى الله عليه وسلم .
فلم نزل بها ، حتى قالت : ارجعي به .
قالت : فكث عندنا شهرين .
قالت : فبينما هو يوماً مع إخوته خلف البيت ، إذ جاء أخوه يشتد (١) ،
فقال لي ولأبيه : أدركا أخي القرشي ، فقد جاءه رجلان فأضجماه فشقا بطنه .
قالت : فخرجت وخرج أبوه ، نشتد نحوه .
فأتهينا إليه ، وهو نائم ممتقع (٢) لونه .
فاعتنقه واعتنقته ، وقال : مالك يا بني ؟
قال : أتاني رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاني وشقا بطني ، فوالله
ما أدري ما صنعا .
قالت : فأختلنناه فرجعنا به .
قالت : يقول زوجي : يا حليلة ، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب .
فانطلق ، فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ، ما نتخوف عليه ،
قالت : فرجعنا به إلى أمه .

(١) أي : يسرع في الجري .
(٢) أي : مصفر اللون .

قالت : ما ردّ كما به ؟ فقد كنتما حريصين عليه ؟
قلنا : لا والله ، إلا أنا قد كفلتناه ، وأدبنا الذي علينا من الحق فيه ،
وتخوفنا عليه الأحداث ، قلنا : يكون عند أمه .

قالت : والله ما ذلك بكما ، فأخبراني خبركما وخبره .

قالت : فوالله ما زالت بنا ، حتى أخبرناها خبره .

قالت : أتخافين عليه ؟ لا والله ، إن لإبني هذا شأنًا . ألا أخبركما عنه ؟

إني لما حملت به ، فلم أحمل حملاً^(١) قط هو أخف منه ، ولا أعظم

بركة منه :

ولقد وضعته ، فلم يقع كما تقع الصبيان ، لقد وقع واضعاً يده في الأرض ،

رافعاً رأسه إلى السماء .

دعاه والحقا بشأنكما .

(١) يفهم منه أنها حملت بغيره وهو غير صحيح .

الباب السابع والعشرون

في ذكر شرح صدره في صغره صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن سعد :

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حليلة أربع سنين ، وكان يعدو مع أخيه وأخته في البهيم قريباً من الحى .

فأتاه ملكان هناك ، فشقا بطنه ، واستخرجا علقة سوداء فطرحاها ، وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب ، ثم وزن بألف من أمته فوزنهم .

ثم قال أحدهما للآخر : دعه ، فلو وزنته بأمته كلها لرجحها .

وجاء أخوه بصييح : يا أماه ، أدركى أخى القرشى .

ففرجت أمه تعدو ، ومعها أبوه ، فيجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم محتق اللون ، فذهبت به إلى آمنة بنت وهب ، فأخبرتها خبره وقالت : إنا لا نرده ، إلا على جدع أنفنا .

ثم رجعت به أيضاً .

فكان عندها سنة أو نحوها لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً .

ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت .

فأفرعها ذلك من أمره ، فقدمت به إلى أمه لترده ، وهو ابن

خمس سنين .

• وروى أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

كيف أول شأنك يا رسول الله ؟

قال : كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر .

فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ، ولم تأخذ معنا زادا .

فقلت : يا أخي ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا .

فانطلق أخي ، ومكثت عند البهم .

فأقبل طائران أبيضان ، كأنهما نسران .

فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم .

فأقبلا بيئدران ، فأخذاني فبطحاني إلى التفا ، فشقا بطني .

ثم استخرجا قلبي فشقاه ، فأخرجا علقتين سوداوين .

فقال أحدهما لصاحبه : ايتني بماء تلج ففسلا به جوفى .

ثم قال : ايتني بماء برد . ففسلا به قلبي .

ثم قال : ايتني بالسكينة . فذراها في قلبي .

ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه .

فغاطه ، وختم عليه بخاتم النبوة .

وقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كفة (١) واجعل ألغا من أمته في كفة .

فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى ، أشفق أن يخرَّ على بعضهم (٢) .

فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم .

ثم انطلقا ، وتركاني وقد فرقتُ فرقا شديداً (٣) .

(١) إذا صح ذلك كله فهو من قبيل تجسيم الحقائق ، مثل وزن الاعمال .

(٢) يخر . أى : يسقط . (٣) أى : خفت خوفاً شديداً .

ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتها بالذي لقيت ، فأشفقت (١) على أن يكون
التبس بي .

قالت : أعيدك بالله .

فحملتني على الرحل ، وركبت خلفي ، حتى بلغت إلى أمي .

قالت : أدبت أمانتي وذمتي ، وحدثتها بالذي لقيت .

فلم يرعها (٢) ذلك وقالت : إني رأيت حين خرج مني نوراً ، أصاءت
منه قصور الشام .

• عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل
وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه وشق عن قلبه فاستخرج القلب ،
ثم شق القلب فاستخرج منه علة فقال : هذا حظ الشيطان منك ،

ففسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه .

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ، يعني ظئره .

فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه ، وهو ممتمع .

قال أنس : وقد كنت أرى أثر الحيط في صدره صلى الله عليه وسلم .

• عن شداد بن أوس قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذ أقبل شيخ من بني عامر ، فقال : يا محمد أنبئني ببدء شأنك .

قال : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى بن مريم .

وذلك أن أمي وضعتني كنت مسترضماً في بني سعد بن بكر .

(١) أشفقت : خافت .

(٢) لم يرعها : أمي : لم يفرعها ولم يحملها خائفة .

فبينما أنا ذات يوم منتبذٌ من أهلي في بطن وادٍ مع أتراب لي
من الصبيان .

إذا أنا برهط ثلاثة ، معهم طست من ذهب ، مليء ثلجاً .
فأخذني من بين أصحابي .

فخرج أصحابي هراباً حتى اتهموا إلى شفير الوادي .

ثم أقبلوا على الرهط ، فقالوا : ما أربكم إلى هذا الغلام ؟ فإنه ليس
منا ، هذا ابن سيد قريش ، فإن كنتم لابد قاتليه ، فاختروا منا أينما
شئتم ، فاقتلوه .

فعمد أحدهم فأضجعني ، ثم شق صدري ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها
بذلك الثلج ، فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها .

ثم قام الثاني منهم فقال لصاحبه : تنحّ .

فتمنحني عنى ، ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي ، وأنا أنظر إليه

فصله (٢) .

ثم أخرج منه مضغة سوداء ، فرمى بها .

ثم قال بيده منه ، كأنه يتناول شيئاً .

فإذا أنا بخاتم في يده من نور ، يحار الناظرون دونه .

نفختم به قلبي ، فامتلاً نوراً ، ثم أعاده مكانه .

فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرأ .

ثم قال الثالث : تنحّ .

(١) أي : شقه .

فأمرَّ يده من مفرق صدرى ، إلى منتهى عانتي ، فالتأم ذلك الشق
ياذن الله تعالى .

ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني ، إنهاضاً لطيفاً .

ثم ضموني إلى صدورهم ، وقَبَّلوا ما بين رأسي وبين عيني وقالوا :

يا حبيب الله ، لم تُرْعُ إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير ، لقرت
عيناك .

قال : فبينما نحن كذلك ، إذا أنا بالحي قد جاءوا بمخذا فيهم ، وإذا أمي ،
وهي ظئري ، أمام الحى تهتف بأعلى صوتها : يا ضعيفاه ؛ يا حيداه ؛ يا سماه .

فأكبوا على قَبَّلوا رأسي وما بين عيني وقالوا : حيداً أنت من ضعيف .

ثم قالت ظئري : أمستضعف أنت من بين أحبابك فقتلت لضعفك ؟

ثم ضمتني إلى صدرها .

فوالذي نفسى بيده ، إني لني حجرها ، وإن يدي لني يد بعضهم .

وظننت أن القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرون .

فقال بعض القوم : إن هذا الغلام به لم^(١) أو طائف من الجن .

فذهبوا بي إلى الكاهن ، فقصوا عليه قصتي .

فقال : اسكتوا ، حتى أسمع من الغلام ، فإنه أعلم بأمره منكم .

فسألني ، فقصصت عليه قصتي .

فوثب إليّ ، فضمني إلى صدره ، ثم نادى بأعلى صوته :

(١) لم . أى : مس من الجن .

يا للعرب ! اقتلوا هذا الغلام ، واقتلوني معه ، فواللات والعزى ،
إن تركتموه وأدرك ، لبيد لن دينكم .

ثم احتملوني . فهذا بدء شأني .

● وقال زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما قامت سوق عكاظ ،
انطلقت حليلة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَرَاف من هُذيل ، يريه
الناسُ صبيانهم .

فلما نظر إليه صاح وقال : يا معشر هذيل ! يا معشر العرب .

فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم فقال : اقتلوا هذا الصبي .

وانسأت به حليلة .

فجمل الناس يقولون : أى صبي ؟

فيقول : هذا الصبي . فلا يرون شيئاً . قد انطلقت به أمه .

فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاماً ، وآلته ، ليقتلن أهل دينكم ،
وليكسرن آلهتكم ، وليظهن أمره عليكم .

فطلب بمسكاظ فلم يوجد .

قال محمد بن عمر : وجمل الشيخ الهذلي بصيح : يا هذيل ، وآلته ، إن
هذا لينتار أمراً من السماء . وجمل يُغرى بالنبي صلى الله عليه وسلم . فلم
ينشب أن ولّه وذهب عقله ، حتى مات كافراً .

● عن ابن عباس قال : خرجت حليلة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم

فوجدته مع أخته ، فقالت أُمّني ، ما هذا الحر الذي أنت فيه ؟ !

فقالت أخته : يا أماء ، ما وجد أخى حرّاً ، رأيت غمامة تظل عليه ،

فإذا وقف وقتت ، وإذا سارت سارت معه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

• وقد روينا أن حليلة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
وقد تزوج خديجة ، فشكت إليه جذب البلاد وهلاك المشية .

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فيها ، فأعطتها أربعين شاة
وبعيراً موقفاً للظمينة . فانصرفت إلى أهلها .

ثم قدمت عليه بعد الإسلام ، فأسلت هي وزوجها وبايعا .

• عن محمد بن المنكدر قال :

استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم كانت أرضعته .

فلما دخلت عليه قال : « أمي أمي » وعمد إلى رذائه ، فبسطه لها ،
فقطعت عليه .

وقد روى أنها جاءت إلى أبي بكر بعده ، فأكرمها ، وإلى عمر
ففعل مثل ذلك .

وقد روى أنه أعيد شرح صدره ، بعد أن تم له عشر سنين .

• عن أبي بن كعب : كان أبو هريرة جريئاً على سؤال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال :

يا رسول الله ، ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟
فاستوى جالساً وقال : لقد سألت يا أبا هريرة .

إني لفي صحراء ، ابن عشر سنين وأشهر ؛ وإذا بكلام فوق رأسي .

وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟

فاستقبلني بوجهه ، ما رأيتها على أحد قط .

فأقبلا إليّ يمسيان ، حتى أخذ كل واحد منهما بمضدي ؛ لا أجد

لأخذهما مساً .

فقال أحدهما لصاحبه : أضحجته . فأضحجاني ؛ بلا قصر ولا هصر .

فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره .

فهوى أحدهما إلى صدرى ، ففلقه فيما أرى ؛ بلا دم ولا وجع .

فقال له : أخرج العِلَّ والحسد .

فأخرج شيئاً كهيئة العلقة . ثم نبذها فطرحها .

فقال له : أدخل الرأفة والرحمة . فإذا مثلُ الذى أخرج شِبْهَ الفضة .

ثم هزَّ إبهامَ رجلَى النبي فقال : أعد وسلم .

فرجعت بها ؛ أعدو رأفة على الصغير ورحمة للكبير (١) .

(١) رواه ابن كثير فى تفسيره ٥٢٤/٤ عن عبد الله ابن الإمام أحمد . وفيه

زيادة واختلاف .

الباب الثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام خمس سنين
من مولده صلى الله عليه وسلم

• عن كعب قال : قالت حليلة : ركبت أتانى ، وحملت محمداً بين
يدى ، أسير به ، حتى أتيت الباب الأعظم ، من أبواب مكة ، وعليه
جماعة مجتمعة . فوضعتني ؛ لأقضى حاجة وأصالح شأنى .
فسمعت هدةً شديدة ، فالتفت فلم أره .

قلت : معاشر الناس ، أين الصبي ؟ قالوا : أى الصبيان ؟ قلت : محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب ؛ الذى نصر الله به وجهى ؛ وأشيع جوعى .
رَبَّيْتُهُ ؛ حتى إذا أدركت سرورى ؛ أتيت به لأرده إلى أمه ؛ وأخرج
من أمانتى ؛ اختلس من بين يديّ ؛ واللوات والعزى ؛ لئن لم أره لأرْمِينَّ
نفسى من شاهق هذا الجبل . قالوا : ما رأينا شيئاً .

فلما أياسونى ؛ وضعت يدي على رأسى وقلت : واحمداه واولداه .
فأبكيك الجوارى الأبقار لبكائى ؛ وضج الناس معى بالبكاء .

فأتيت عبد المطلب فأخبرته ؛ فسلّ سيفه ونادى : يا آل غالب .
وكانت دعوتهم فى الجاهلية . فأجابته قريش .

فقال : فُقِدَ ابنى محمد . فقالت قريش (١) : اركب نركب معك ؛
فلو خضت بجرأ خضناه معك .

(١) فى الأصل « فقالوا قريش » وما أئبغناه هو الصحيح المؤيد بسباق الكلام .

فركب وركبوا فأخذ على أعلى مكة والمحدر على أسفلها ؛ فلم ير شيئاً ؛
فترك الناس وأقبل إلى البيت الحرام فطاف سبعاً ثم أنشأ يقول :

يَا رَبِّ رُدِّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا رُدَّهُ لِي وَاتَّخِذْ عِنْدِي بَدَاً

فسمعوا منادياً ينادى في الهواء يقول :

معاشر الناس ؛ لا تضجوا ؛ إن لمحمد ربّاً لا يضيعه .

قال عبد المطلب : أيها الهاتف ؛ ومن لنا به ؟ وأين هو ؟

قال : هو بوادي تهامة ؛ عند شجرة اليمين .

فضى عبد المطلب ؛ فإذا رسول الله صلى الله عليه تحت شجرة يجذب

الأغصان ؛ ويمبث بالورق ؛ فحمله إلى مكة ؛ وجهاز حليلة أحسن الجهاز .

وفي رواية أخرى أن حليلة لما قدمت به ؛ ضاع في الناس .

فأخبرت عبد المطلب ؛ فأتى الكعبة فقال :

لَا مُمْ رُدِّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا رُدَّهُ رَبِّ وَاتَّخِذْ عِنْدِي بَدَاً

أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضُدًا

وفي رواية ؛ أن عبد المطلب بمث به في حاجة فقال هذا .

● عن أبي حازم قال : قدم كاهن مكة ، ورسول الله صلى الله

عليه وسلم ابن خمس سنين : وقد قدمت به ظئره إلى عبد المطلب فقال :

يا معشر قريش ، اقتلوا هذا الفتى ، فإنه يُفَرِّقُكُمْ وَيَقْتُلُكُمْ .

فهرب به عبد المطلب .

● ولم تزل قريش تخشى من أمره ، ما كان الكاهن حذرهم .

البَابُ الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ

فِي ذِكْرِ وَفَاةِ أُمِّهِ آمَنَةَ

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه أمّنة بنت وهب ، فلما بلغ ست سنين ، خرجت به إلى أخواله ، بنى عدىّ ابن النّجار بالمدينة تزورهم به ، ومعها أمّ أيمن تحضنه ، ومم على بيميرين ، فنزلت به دار النابغة ، فأقامت به عندهم شهرا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك .

• لما نظر إلى أُطَمَ بنى عدى بن النجار بالمدينة عرفه فقال :

كنت ألاعب أنيسة ، جارية من الأنصار ، على هذه الآطام ، وكنت مع غلمان من أخوالي ، نظير طائرا كان عليه يقع .

ونظر إلى الدار فقال : هاهنا نزلت بى أمى ، وفي هذه الدار قبر أبى

عبد الله بن عبد المطلب ، وأحسنتمُ الموم في بئر بنى عدى بن النجار .

• وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه .

قالت أمّ أيمن : سمعت أحدهم يقول عورنى هذه الأمة ، وهذه دار

هجرته . فواعت ذلك .

ثم رجعت به أمه إلى مكة .

فلما كانوا بالأبواء ، توفيت أمه أمّنة بنت وهب ، فقبرها هناك .

فرجعت به أم أيمن إلى مكة ، وكانت تحتضنه .

• فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حُجْرَةِ الحَدِيثِية بالأبواء قال :

« إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه » .

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصلحه وبكى عنده ، وبكى

المسلمون لسكاته .

فقيل له ، فقال : « أدركتني رَحْمَةُ رَحْمَتِهَا ، فبكيت » .

• عن أبي مرثد قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة

أتى جذم (١) قبر ، فجلس إليه ، وجلس الناس حوله ، فوقف كهيئة المخاطب ،

ثم قام وهو يبكي .

فاستقبله عمر ، وكان من أجراً للناس عليه ، فقال : بأبي أنت وأمي

يا رسول الله ! ما الذي أبكاك ؟

قال : هذا قبر أمي ، سألت ربي الزيارة فأذن لي ، وسألته الاستغفار ،

فلم يأذن لي ، فذكرتها ، فوقفت فبكيت .

فلم يرَ يوم كان أكثر باكياً من يومئذ .

قال ابن سعد : هذا غلط ، ليس قبرها بمكة ، إنما قبرها بالأبواء .

• عن أبي هريرة قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه

فبكى وأبكى من حوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) كذا ، وفي المواهب . رسم .

« استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت » .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي بريدة عن أبيه قال : أتيت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف على عُسْفَانَ ، فنظر يمينا وشمالا ، وأبصر قبر أمه ، فورد الماء ، فتوضأ ثم صلى ركعتين ، فلم يفجأنا إلا ببيكائه .

فبيكينا لبيكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف إلينا فقال : ما الذي أبكاكم ؟

قالوا : بكيت فبيكينا يا رسول الله .

قال : وما ظننتم ؟

قالوا : ظننا أن العذاب نازل علينا .

قال : لم يكن من ذلك شيء .

فقالوا : فظننا أن أمتك كلفت من الأعمال مالا تطيق .

قال : لم يكن من ذلك شيء ، ولكنني مررت بقبر أمي ، فصليت ركعتين ،

واستأذنت ربي في أن أستغفر لها فتهيت ، فبيكيت ؛ ثم عدت فصليت

ركعتين ، واستأذنت ربي في أن أستغفر لها ، فزجرت زجرا ، فعلا بكائي .

ثم دعا براحلته فركبها ، فما سار إلا هنيئة حتى قامت (١) الراحلة بنقل

الوحي ، فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

(١) كذا بالأصل . ولعلها . نامت .

لِّلشُّرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ» (١).

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشهدكم ، أنى برىء من آمنة ، كما تبرأ
إبراهيم من أبيه .

● عن الحسن بن جابر ، وكان من المجاورين بمكة قال :

رُفِعَ إِلَى الْمَأْمُونِ أَنْ السَّيْلَ يَدْخُلُ قَبْرَ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِمَوْضِعٍ مَعْرُوفٍ هُنَاكَ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْكَامِهِ .

قال ابن البراء : قد وصف لى ، وأنا بمكة ، وضعه .

فيجوز أن يكون توفيت بالأبواء ، ثم حلت إلى مكة ، فدفنت بها .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر كفاية عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد موت أمه آمنة

• عن نافع بن جبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت ، قبضه إليه جده عبد المطلب ، وضمه ورقاً عليه رقة لم يرقها على ولده .

وكان يقربه ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام .

وكان يجلس على فراشه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني ، إنه ليؤتين ملكاً .

• وقال قوم من بني مُدْج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإننا لم نر قدماً ، أشبه بالتقدم التي في المقام منه .

فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء .

فكان أبو طالب يحتفظ به .

• وقال عبد المطلب لأم أيمن ، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بركة ، لا تغفلي عن ابني ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة .

• وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال : عليّ بابني .
فيؤتى به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياطته .

● عن ابن عباس قال : سمعت أبي يقول : كان لعبد المطلب مفروش في الحجر ، لا يجلس عليه غيره ، وكان حرب بن أمية ممن دونه ، يجلسون حوله دون المفروش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، وهو غلام لم يبلغ ، جلس على المفروش ، فجبذه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك ما بعد كُفِّ بصره : ما لابني يبكي ؟
قالوا له : أراد أن يجلس على المفروش ، فمنعوه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابني ، يجلس عليه ، فإنه يحسُّ من نفسه شرفاً ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم
يستسقون عند منام رقيقة

• عن رقيقة (١) ، وهي لدة عبد المطلب قالت : تتابعت على قريش
سنون أمحلت الضرع ، وأدقت العظم .

فبينما أنا نائمة أو مبهومة ، إذا هاتف يصرخ بصوت صعل (٢) يقول :
يا معشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث فيكم ، قد أظلتكم أيامه ، وهذا إبان
نجومه ، فخيلاً بالحيا (٣) والخصب .

(١) رواه الماوردي في « أعلام النبوة » عن عروة بن مضر ، عن حمزة
ابن نوفل ، عن أمه رقيقة بنت أبي ضبي بن هاشم .

(٢) الأصل : بصوت صعل . وما أثبتته عن أعلام النبوة للماوردي . وقال
في الصحاح : في صوته صعل ، أي : بمحوة . وقد صعل الرجل ، بالكسر ،
يصعل صعلًا ، أي : صار أبع فهو صعلُ الصوت وأصعل . قال الرازي :

فَلَمْ يَزَلْ مُكْتَبًا وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى عَلَا الصَّوْتُ بِمُحْوٍ وَصَحَلْ
وَكَلَّمَا أَوْفَى عَلَى نَشِيْرِ أَهْلٍ

والمراد بصوت فيه مجع شديد . قال في القاموس « صعل » صوته ، كفرح ،

فهو أصعل وصعل : بج أو احتد في مجع . أو « الصعل » محركة خشونة
في الصدر ، وانشقاق في الصوت من غير أن يستقيم : هـ .

(٣) الحيا : الطر .

ألا ، فانظروا رجلاً منكم وسيطاً عظاماً جسماً^(١) ، أبيض بَصاً ،
أوطف الأهداب ، سهل الخدين ، أشمَّ العَرْنَيْنِ له فخر يكظم عليه ، وسنة
تهدى إليه ، فليخلص هو وولده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل ، فليستنوا
من الماء ، وليمشوا من الطَّيب ، ثم يستلموا الركن ، ثم ليرتقوا أبا قُبَيْس ،
فليستنق الرجل ، وليؤمن القوم ، ففتمت ما شئتم .

فأصبحتُ - عَلِمَ اللهُ - مذعورة ، قد اقشعر جلدي وولده^(٢) عفتي ،
واقترصت رؤياي ، فوالحرمة والحرم ، ما بقي [بها]^(٣) أبطحى إلا قال :
هذا شئبة الحمد .

فتتامت^(٤) إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل .

فسنوا ومشوا ، واستلموا .

ثم ارتقوا أبا قُبَيْس ، وطبقوا جانبيه ، ما يتبلغ سمهم مُهَلَّةً .

حتى إذا استنوا بذروة الجبل ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو غلام قد أيقع أو كُرب ، فقال :

اللهم سادَّ الخَلَّةَ ، وكاشف الكُرْبَةَ ، أنت معلِّمٌ غير مُعَلِّمٍ ، ومسئول
غير مُبْخَلٍ ، وهؤلاء عبادك ، وإماؤك يُفدراك^(٥) حرمك ، يشكون إليك
ستهم ، أذهبت الخلف والظلف ، اللهم فأمطرنا غيثاً ، مُقدِّماً مرمعاً .

(١) كذا بالأصل . وفي أعلام النبوة : وسيطاً جسيماً . (٢) أى : ذهب .

(٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة . والمراد بالأبطحى السكى القيم في مكة .

(٤) أى : جاءوا كلهم وتموا .

(٥) الفدرات : جمع غدر ، بفتح الأول والثاني ، وهو كل موضع كثير الحجارة .

فوالكعبة ، ما راحوا (١) حتى تفجرت السماء بمائها ، واكتظ (٢)
الوادي بمجيجيه ، فَلَسمتُ شِيخان قريش وجلتها : عبد الله بن جدعان ،
وحرب بن أمية ، وهشام بن المغيرة ، يقولون لعبد المطلب :
هنيئاً لك أبا البطحاء . أى : عاش بك أهل البطحاء .
وفى ذلك تقول رقيقة :

بِشِيْبَةِ الحُمدِ أَسقى اللهُ بِلَدَنانَا لَمّا فَقدنا الحِيا (٣) وَاجلُودَ (٤) المَطَرِ
فَجادَ بِالماءِ جَوْنِي (٥) لَهُ سَبيلٌ (٦)
سَحاباً (٧) فَمَاشتَ بِهِ الأَنعامُ وَالشَّجَرُ (٨)
مُبَارَكُ الأَمْرِ يُسْتَسقى العَمامُ بِهِ
مَافِي الأَنامِ لَهُ عِدلٌ (٩) وَلا خَطرٌ (١٠)
مِنَ اللهِ بِالمُؤمِنِ طائِرُهُ
وَخَيْرٌ مَن بَشَرَتْ يَوْمًا بِهِ مُضَرٌ (١١)

-
- (١) أى : ما عادوا إلى منازلهم . (٢) أى : امتلأ الوادي بكثرة للناء .
(٣) الحيا : للمطر .
(٤) قال في القاموس (الاجلواز : المضاء والسرعة في السير، وذهاب المطر) هـ .
والمراد هنا (انقطع عنا المطر) . (٥) جوني : أى سحاب فيه سواد وحمرة .
(٦) السبل : بفتح السين والباء : المطر . هـ . قاموس .
(٧) أى : الصب الكثير .
(٨) الأنعام : البهائم ، والشجر : كل أنواع النبات .
(٩) عدل : أى ليس له مثل .
(١٠) الخطر : المراد به هنا ، علو للذلة ورفعة الشرف .
(١١) ليس في أعلام النبوة .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر خروج عبد المطلب لتهبته سيف بن ذى يزن بالملك
وتبشير سيف عبد المطلب بأنه سيظهر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسله

عن ابن الكلبي قال : لما ملك سيف بن ذى يزن أرض اليمن وقتل
الخبش وأبادهم ، وفدت إليه أشراف العرب ورؤسائهم ليهنئوه بما ساق الله
من الظفر .

ووفد وفد قريش ، وكانوا خمسة من عظمائهم : عبد المطلب بن هاشم ،
وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسيد ، ووهب
ابن عبد مناف بن زهرة .

فساروا حتى وافوا مدينة صنعاء ، وسيف بن ذى يزن نازل بقصر
يقال له محمدان ، وكان أحد القصور التي بنتها الشياطين لبليقيس بأمر سليمان ،
فأناب عبد المطلب وأصحابه ، واستأذنوا على سيف ، فأذن لهم .

فدخلوا وهو جالس على سرير من ذهب ، وحواله أشراف اليمن على
كراسي من الذهب ، وهو متضمنخ بالعنبر ، وبصيص المسك يلوح في مفرقه (١)
فحيوه بتحية الملك ، ووضعت لهم كراسي الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب
فإنه قام مائلا بين يديه ، واستأذنه في الكلام .

(١) قوله : بصيص المسك الخ يعني يظهر لعان المسك من مفرق شعر رأسه .

قيل له : إن كنت ممن تتكلم بين يدي الملوك فتكلم .
قال : أيها الملك ، إن الله قد أحلك محلاً ربيعاً شامخاً منيعاً ، وأنبتك
منبتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ، ويسق فرعه ، في أطيب
مغرس وأعذب منبت .

فأنت أيها الملك ربيعُ العرب ، الذي إليه ملاذها ، ووردها الذي
إليه معادها .

وسلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف .
ولن يهلك الله من أنت خلقه ، ولن يخجل من أنت سلفه .
نحن - أيها الملك - أهل حرم الله وسدنة بيت الله .
أوفدنا إليك الذي أبهجتنا من كشف الضر الذي فدحنا .
فنحن وقد التهنئة ، لا وقد التزئة .

قال سيف : أنتم قريش الأباطح ؟ قالوا : نعم .
قال : مرحباً وأهلاً ، وناقاً ورخلاً ، ومناخاً سهلاً ، وملكاً سمحلاً ،
يعطى عطاءً جزلاً .

قد سمع الملك مقاتلكم وعرف فضلكم .
فأنتم أهل الشرف والحمد والثناء والمجد .
فلكم الكرامة ما أقمتم والحباء الواسع إذا انصرفتم .
ثم قال لعبد الطالب : أيهم أنت ؟ قال : أنا عبدُ المطب بن هاشم .
قال : إياك أردت ، ولك حشدت ، فأنت ربيع الأنام ، وسيد الأقبام .
انطلقوا وانزلوا حتى أدعوا بكم .
ثم أمر بإتزانهم وإكرامهم .

فأقاموا شهراً لا يدعوم ، حتى اتقه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب :
إيتني وحدك من بين أصحابك .

فأتاه ، فوجده مستخياً لا أحد عنده ، فقرّبه حتى أجلسه معه على
سريره ، ثم قال :

يا عبد المطلب إني أريد أن ألقى إليك من على سرأ ، لو غيرك يكون
لم أُنح به إليه ، غير أني رأيتك معدته ، فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله
فيه بأمره ، فإن الله منجز وعده ، وبالغ أمره .
قال عبد المطلب : أرشدك الله أيها الملك .

قال سيف : إني أجد في الكتب الصادقة والعلوم السابقة ، التي اختزناها
لأنفسنا ، وستزناها عن غيرنا ، خيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف
الحياة ونفح المات ، للعرب عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك لقد أبتُ بخير ما آب به وافد .
ولولا هيبة الملك وإعظامه ، لسألته أن يزيدني من سروره إياي سروراً .
فقال سيف : نبي يبعث من عقبك ، ورسولٌ من قرنتك ، اسمه أحد ،
ومحمد ، وهذا زمانه الذي يولد فيه ، أولعله قد ولد .

يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه [قد ولدناه مراراً (١) والله باعته
جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أوليائه وينزل بهم أعداءه .
تخمد عند مولده النيران ، ويحيد الواحد المنان ويذجر الكفر والظفیان
ويكسر اللات والأوثان .

(١) من دلائل النبوة لأبي ميم والاكتم للسكاعي . ومعناها أن سررب
ولدوا رسول الله .

قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال عبد المطلب : علا كميك ، ودام فضلك ، وطال عمرك ، فهل الملك سارئ يافصح وتفسير وإيضاح ؟

قال سيف : والبيت ذى الحُجُب ، والآيات والكتب ، إنك يا عبد المطلب ، لجدّه غير كذب .
فخرّ عبد المطلب ساجداً .

قال سيف : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وطال عمرك ، وعلا أمرك .
فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك ؟

قال عبد المطلب : نعم أيها الملك ، كان لي ابن كنت به معجباً .
فزوجته كريمة من كرائم قومي يقال لها آمنة بنت وهب ، فجاءت بفلام سميته محمداً وأحمد ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه .
قال : هو هو ، لله أبوك ، فاحذر عليه أعداءه . وإن الله لم يجعل لهم عليه سبيلاً .

ولولا علمي بأن الموت محتاحي قبل ظهوره ، لسرت إليه بخيلى ورجلى حتى أجعل مدينة يثرب دار ملكي .
فإنى أجد في كتب آباءى ، أن ييثر استتباب أمره ، وهم أهل دعوته ونصرته ، وفيها موضع قبره .

ولولا ما أجد من بلوغه الغايات ، وأن أقيه الآفات ، وأن أدفع عنه العاهات ، لأظهرت اسمه ، وأوطأت العرب عقبه .

وإن أعش فسأصرف ذلك إليه . قم فانصرف بمن معك من أصحابك .
ثم أمر لكل رجل منهم بمائتى بعير ، وعشرة أعبد من الخبش ،
وعشرة أرطال من الذهب ، وحلتين من البرود .

وأمر لعبد المطلب بمثل جميع ما أمر لهم ، وقال له : يا عبد المطلب ، إذا
شبَّ محمد وترعرع ، فأقدم على بخبره .
ثم ودعوه وانصرفوا إلى مكة .

فكان عبد المطلب يقول : لا تغبطوني بكرامة الملك إياي دونكم ،
وإن كان ذلك جزيلاً ، وفضل إحسانه إليّ وإن كان كثيراً ، اغبطوني بأمر
ألقاه إليّ من شرف لي ولعقبتي من بعدى .

فكانوا يقولون له : ما هو ؟ فيقول : ستعرفونه بعد حين .

فكث سيف باليمن ملكاً عدة أحوال ، وإنه ركب يوماً كنجو
ما كان يركب للصيد وقد كان قد اتخذ من السودان نفراً يجوزون بين يديه
بحراهم ، فمطفوا عليه يوماً فقتلوه .

وبلغ كسرى أنوشروان ، فرد إليهم هُرْمِزاً ، وأمره أن لا يدع
أسوداً إلا قتله .

• عن ابن عباس قال لما ظهر ابن ذى يزن على الحبشة بعد مولد
النبي صلى الله عليه وسلم ، أتت وفود العرب وشعراؤها تهنيه وتمدحه .
فأتاه فيمن أتاه ، وفد من قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأممية
ابن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد ، في ناس من
وفود قريش .

فقدموا عليه صنعاء ، فإذا هو في رأس غمدان ، الذي ذكره أممية
ابن أبي الصلت :

إِشْرَبَ هَيْنَا عَمَلِكَ التَّاجِ مُرْتَفَعًا فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مَحَلًّا لَا
فدخل عليه الإذن ، فأخبره بمكانهم ، فأذن لهم .

فدنا عبد المطلب واستأذنه في الكلام .
فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك ، فقد أذنت لك .
فقال : إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً .
وأنتك منبتاً ، طابت أرومته ، وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ،
وبسق فرعه ، في أكرم موطن ، وأطيب معدن .

فأنت ملك العرب وربيعها الذي يخضب ، وأمير العرب الذي له تنقاد ،
وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعقلها الذي تلجأ إليه العباد .

سلفك [لك] خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف .

فلن يخمل من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه .

نحن ، أيها الملك ، أهل حرم الله عز وجل وسدنة بيته .

أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك (١) الكرب ، الذي فدّحنا .
فنحن وفد التهئة ، لا وفد المرزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟

قال : أنا عبد المطلب بن هاشم .

قال : ابن أختنا ؟ يعني الأنصار .

قال : نعم . قال أذنته . فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال :

مرحباً وأهلاً ، وناقاة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملكاً سمحلاً ،

يعطى عطاءً جزلاً .

قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم ، وقيل وسيلتكم ، وأنتم أهل الليل
والنهار ، ولكم الكرامة ، ما أقمت ، والحياء إذا ظعنتم (٢) .

(١) الاكتفاء : من كشف الكرب .

(٢) قوله : والحياء الخ ، أى : ولكم العطايا إذا رحلتكم إلى بلادكم .

ثم نهضوا إلى دار الضيافة والرغد ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ،
ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم اتبته لهم انتباهة .

فأرسل إلى عبد المطلب ، فأدنى مجلسه وأخلاه وقال :

يا عبد المطلب إني مفضٍ (١) إليك من سرِّ (٢) علمي ، ما لو لم يكن غيرك
لم أبح به ، ولكني رأيتك معدنه ، فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطويّاً
حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

فإني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم الخزون ، الذي اختزناه لأنفسنا
واحتجبتناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ،
وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : أيها الملك مثلك سرٌّ وبرٌّ فما هو ؟ فدأ لك أهل الوبر
زُمرًا بعد زُمر .

قال : إذا ولد مولود بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة
ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة .

فقال عبد المطلب : أبيت اللعن ، لقد أبتُ بنحير ما آب به وافد ، ولولا
هيبة الملك وإجلاله وإعظامه ، لسألت من سارّه إياي ، ما أزداد به سروراً .

قال ابن ذى القرن : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد .

واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه .

قد ولدناه مراراً ، والله باعته جهاراً وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم
أولياؤه ويذل بهم أعداءه .

يصر بهم الناس عن عرض ، ويمسح بهم كرائم الأرض .

(١) في الأصل (مفوض) وهو تحريف (٢) الاكتفا : من سقى .

يكسر الأوثان ، ويخمد النيران ويعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان .
قوله أفضل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبيطه .
قال عبد المطلب : عز جدك ، وعلا كعبك ، وهام مملكك ، وطال
مُحرك فهل الملك سارّي بإفصاح ، فقد أوضح لي بعض الإيضاح ؟

قال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب (١)
إنك يا عبد المطلب لجدّه غير كذب .

فخرّ عبد المطلب ساجداً ، فقال له ارفع رأسك تُلج صدرك ، وعلا أمرك ،
فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ؟

قال : أيها الملك كان لي ابن ، وكنت به معجباً ، وعليه رفيقاً .
زوّجته كريمةً من كرائم قومي ، آمنة بنت وهب ، فولدت غلاماً ،
فسميته محمداً .

مات أبوه وأمه ، وكفّلتيه أنا وعمه .

قال ابن ذى يزن : إن الذي قلتُ لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك واحذر
عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً .
واطو ما ذكرتُ لك عن هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنني لست آمن
أن تدخلهم النفاسة من أن يكون لكم الرياسة ، فيطلبون لك الفوائل
وينصبون لك الجبائل ، وهم فاعلون أو أبناؤهم .

ولولا أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه ، لسيرت بخيلى ورجلي حتى
أصير يثرب دار ملكي .

فإنني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن ييثرب استحكام أمره ،
وأهل نصرته وموضع قبره .

(١) الإكتفا : والعلامات والنصب .

ولولا أني أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت - على حداثة سنه - أمره ، ولأوطأت أسنان العرب عقبيه .

ولكنني سأصرف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك .

وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد ، وعشرة إماء ، ومائة من الإبل ، وحلتين من البرود ، وخمسة أرتال ذهباً ، وعشرة أرتال فضة ، وكروش مملوءة عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال :

إذا جاء الحول فأتني . فأت ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول .

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطنى أحد يجزىل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاذ ، ولكن ليغبطنى مما يبتقى لى ولعقبى من بعدى ، ذكره ومجده وشرفه فإذا قيل : ومتى ذلك ؟ قال : سيعلم ولو بعد حين (١) .

وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جَلَبْنَا النُّضَجَ تَحْقَبُهُ الْمَطَابَا	كَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالِ وَنُوقِ
مُغْلَغَلَةً (٢) مَرَابِعُهَا مِقَالَا	إِلَى صَنْعَاءَ مِنْ فَنَجِّ عَمِيقِ
تَوْمَ بِنَا ابْنَ ذِي يَزْنَ وَيَقْرِى	ذَوَاتَ بَطُونِهَا أُمَّ الطَّرِيقِ
فَلَمَّا وَاقَّتْ صَنْعَاءَ حَلَّتْ	بِدَارِ الْمَلِكِ وَالْحَسْبِ الْعَرِيقِ

(١) الاكتفا ؛ ستملن نبأه بعد حين .

(٢) الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها .

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر موت عبد المطلب

قالوا : لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته وقال لبناته : ابكينني وأنا أسمع . فبكته كل واحدة منهن بشعر ، فلما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه جعل يحرك رأسه : أي قد صدقت . وقد كنت لذلك ، وهو قولها :

أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعِ دَرِيزِ طَلِي طَيِّبِ الْحَمِيمِ (١) وَالْمُفْتَصِّرِ
عَلَى مَا جَدِ الْجَدُّ وَارِي الزَّنَادِ جَمِيلِ الْمُحْيَا (٢) عَظِيمِ الْخَطَرِ (٣)
عَلَى شَيْبَةِ الْأَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخِرِ
وَذِي الْمَجْدِ وَالْمُضَلِّ فِي النَّائِبَاتِ كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِّ الْفَجْرِ (٤)
أَتَتْهُ النَّبَا بِأَنْ فَلَمْ تُشَوِّهِ (٥) بَصْرَفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرِ

قال : ومات عبد المطلب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

ويقال : ابن مائة وعشر سنين . ويقال ابن مائة وعشرين سنة .

(١) الحميم (بالكسر) السجية والطبيعة . ومعنى كونه طيب المعتبر ، أنه عند السألة كريم .

(٢) الحيا : الوجه .

(٣) الخطر : القدر وللنزلة الرفيعة .

(٤) الفجر : العطاء والكرم والمروف ، وكثرة المال .

(٥) لم تصب الشوى بل أصابت المقتل . والشوى : الأطراف .

• وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتذكر موت عبد المطلب ؟
قال : نعم وأنا يومئذ ، ابن ثمان سنين .

• قالت أم أيمن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف سرير
عبد المطلب يبكي .

عن ابن جريج قال : كنا جلوسًا مع عطاء بن أبي رباح في المسجد
الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله ، وعلى بن عبد الله في الطواف خلفه ،
فتمعجبنا من تمام قامتهما ، وحسن وجوههما .

قال عطاء : وأين حسنها من حسن عبد الله بن عباس ! ما رأيت القمر
ليلة أربع عشرة ، وأنا في المسجد الحرام طالعا من جبل أبي قبيس ،
إلا تذكرت وجه عبد الله بن عباس ، ولقد رأيتنا جلوسا معه في الحجر
إذا أتاه شيخ قديم بدوى من هذيل ، يعتمد^(١) على عصاه ، فسأله عن
مسألة فأجابته .

فقال الشيخ لبعض من في المسجد : من هذا الفتى ؟

قالوا : هذا عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .

فقال الشيخ : سبحان الله ، غير حسن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

إلى ما أرى .

قال عطاء : سمعت ابن عباس يقول : سمعت أبي يقول : كان عبد المطلب

أطول الناس قامته ، وأحسن الناس وجها ، ما رآه أحد إلا أحبه .

كان له مفرش في الحجر ، ما يجلس عليه غيره ، ولا يجلس عليه أحد .

وكان الندوي من قريش ، حرب بن أمية من دونه ، يجلسون
دون الفرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على
الفرش ، فغذبه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك بعد ما كفَّ بصره : ما لابني يبكي ؟
فقالوا : أراد أن يجلس على الفرش فنعموه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابني يجلس عليه ، فإنه يحسن من نفسه بشرف ،
وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده .

قال : ومات عبد المطلب ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثمان
سنين ، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكي ، حتى دفن بالحجون قال : ودفن
عبد المطلب بالحجون .

ولمّا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طالب ، لأن أبا طالب
وعبد الله ، كانا أخوين لأم ، وقد كان الزبير لأمهما .

غير أن في سبب تقديم أبي طالب ثلاثة أقوال :

أحدها ، وصية عبد المطلب إليه .

والثاني ، أنهما اقتراعا ، فخرجت القرعة لأبي طالب .

والثالث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاره .

الباب السادس والثلاثون

في ذكر كفالة أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لما توفي عبد المطلب ، قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له .

إن كان يحبه حباً شديداً ، لا يحبه ولده .

وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .

وصب^(١) به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط .

وقد كان يخصصه بالطعام .

وإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى ، لم يشبعوا .

وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا .

فكان إذا أراد أن يغذيهم قال : كما أنتم حتى يحضر ابني .

فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل معهم ، فكانوا يفضلون

من طعامهم .

وإذا لم يكن معهم ، لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك كمبارك .

(١) قوله : « وصب به أبو طالب الخ » أي : أحب النبي صلى الله عليه وسلم

حباً شديداً لم يحب أحداً مثله .

وكان الصبيان يصبغون رمصاً شعناً ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهنياً كحبيلاً .

• عن عمرو بن سعيد قال : كان أبو طالب يُلقبني له وسادة يقعد عليها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام يقعد عليها فقال أبو طالب : وآله ربيعة إن ابن أخي ، ليحس بنعمي .

• عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى الحجاز ، ومعي ابن أخي ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركني المطش ، فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخي قد عطشت ، وما قلت له ، وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجوع .

قال : فتى وركه ، ثم نزل فقال : يا عم أعطشت ؟ قال : قلت : نعم . فأهوى بعقبه إلى الأرض ، فإذا بالماء ، فقال : اشرب يا عم ، فشربت .

البَابُ السَّابِعُ وَالشَّلَاثُونَ

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

مع عمه أبي طالب ولقائه بحيرى

• عن داود بن الحسين قال : لما خرج أبو طالب إلى الشام ،
خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى ، وهو ابن
اثنتي عشرة سنة .

فلما نزل الركبُ ، بصرى ، من الشام ، وبها راهب في صومعة له ،
وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة ، يتوارثونها عن كتاب
يدرسونه .

فلما نزلوا بدير بحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم .
حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته ، قد كانوا
ينزلونه قبل ذلك ، كلما مروا - صنع لهم طعاماً ودعاهم .

ولمّا حمله على دعائهم ، أنه رآهم حين طلّعوا وغمامة تظلل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من دون القوم ، حتى نزلوا تحت الشجرة .

ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة ، فاخضت أغصان الشجرة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى بحيرى ذلك ، نزل عن صومعته ، وأمر بذلك الطعام فأُتي به ،

وأرسل إليهم فقال :

إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فإنا أحب أن تحضروه
كلكم ولا تخلوا منكم صغيراً ولا كبيراً ، حراً ولا هبداً ، فإن هذا
شيءٌ تسكرموني به .

فقال له رجل : إن لك لشأناً يا بحيري ، ما كنت تصنع هذا ، فما شأنك
اليوم ؟ قال : إني أحب أن أكرمكم ، ولكم حق .

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم
لحدائة سنه ، ليس في القوم أصغر منه ، في رحالم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيري إلى القوم ، ولم ير الصفة التي يعرف ويحدها عنده ،
وجعل ينتظر ، فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ويراها متخلفة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال بحيري : يا معشر قريش ، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي .

قالوا : ما تخلف أحد ، إلا غلام وهو أحدث القوم سناً في رحالم .

فقال : ادعوه ، ليحضر طعامي .

فما أقبح أن تحضروا ، ويتخلف رجل واحد ، مع أني أراه من
أنفسيكم .

فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً ، وهو ابن أخي هذا الرجل ،
يعنون أبا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب .

فقال الحرث بن عبد المطلب : والله إن بنا للؤم أن يتخلف ابن
عبد المطلب من بيننا .

ثم قام إليه ، واحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة
تسير على رأسه .

وجعل بحيرى يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء في جسده ، قد كان يجدها عنده في صفتة .

فلما تفرقوا عن الطعام ، قام إليه الراهب وقال :

يا غلام أسألك بحق اللات والعزى ، إلا أخبرتنى عما أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى باللات والعزى ، فوالله

ما أبغضت شيئاً بغضهما .

قال : فبالله ، إلا أخبرتنى عما أسألك عنه . قال : سئلتى عما بدا لك .

قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عنده .

ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين

كتفيه على موضع الصفة التى عنده ، فقَبَّلَ موضع الخاتم .

فقال قريش : إن لمحمد عند الراهب آتدراً .

وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب ، يخاف على ابن أخيه .

فقال الراهب لأبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟

قال أبو طالب : هو ابنى .

قال : ما هو ابنتك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟ قال : هلك ، وأمه حامل به .

قال : ما فعلت أمه ؟

قال : توفيت قريباً .

قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود .

فوالله ، لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ، لبيغنه (١) عتياً ، فإنه كائن ،
لابن أخيك هذا شأن عظيم ، نجده في كتابنا ، وما روينا عن آبائنا ، واعلم
أنى قد أدبت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً .

وكان رجال من يهود ، قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا
صفته فأرادوا أن يقتلوه ، فذهبوا إلى بحيرى فذكروه أمره ، فنهام أشد
النهي وقال لهم : أتجدون صفته ؟

قالوا : نعم . قال : فما لكم إليه سبيل : فصدقوه وتركوه .

ورجع أبو طالب ، فما خرج به سفيراً بعد ذلك ، خوفاً عليه .

• عن أبي بكر بن أبي موسى قال خرج أبو طالب إلى الشام ،
وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش .

فلما أشرفوا على الراهب ، وكانوا قبل ذلك يملكون به ، فلا يخرج
إليهم ولا يلتفت .

قال : فهم يملكون رحالهم ، فخرج إليهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء ، فأخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين .

فقال له أشياخ من قريش : ما علمك به ؟

قال : إنكم حين أشركتم من العقبة ، لم يبق شجر ولا حجر ، إلا أخرج

(١) قوله (لبيغنه عتياً) يريد : أن اليهود ربما اغتالوه أو حاولوا الإيقاع به
في الشرور .

ورواية ابن هشام (لبيغنه شراً) .

ساجدا ، ولا يسجدون إلا لني ، وأنا أعرف خاتم النبوة [في أسفل (١)]
من غضروف كعنه مثل التفاحة .

ثم رجع ، فصنع لهم طعاما .

فلما أتاهم به ، وكان هو (٢) في رعيه للإبل ، فقال : أرسلوا إليه .

فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم ، إذا هم قد سبقوه إلى

فيء الشجرة .

فلما جلس ، مال فيء الشجرة عليه فقال : انظروا إلى فيء الشجرة

مال عليه .

فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن

الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة ، فقتلوه .

فالتفت ، فإذا هو بسبعة نفر ، قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال :

ما جاء بكم ؟

قالوا : أخبرنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق

إلا بعث إليه ناس ، وإنا أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذه .

فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : لا .

قال : أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس

رده ؟ قالوا : لا . [فبايموه وأقاموا معه (١)] .

ثم قال : أنشدكم الله ، أيكم وليه ؟ قال أبو طالب : أنا .

فلم يزل يناشده ، حتى رده ، فزوده الراهب من الكعك (٢) .

(٢) أي النبي .

(١) من شرح اللواهب ١٩٥/١

(٢) قال البيهقي : هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي . وضمف الذهبي هذا

الحديث . وقال ابن حجر : رجاله ثقات .

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب التجارة

الفجار اثنان : الفجار الأول ، والفجار الثاني .

أما الأول فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وكانت الحرب فيه ، ثلاث مرات .

أما المرة الأولى ، فسيبها أن بدر بن معشر الفجاري ، كان يفتخر على الناس .

فبسط يوما رجليه وقال : أنا أعز العرب ، فن زعم أنه أعز مني ، فليضربها بالسيف .

فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له « الأحمز بن مازن » فضربه بالسيف على ركبته فأندرها (١) فاقتلوا .

• وأما المرة الثانية فكان سبها أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة ، فسألوها أن تُسفر (٢) فأبت .

فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف درعها إلى ما فوق عجزها بشوكة .

(١) أندرها : أى : قطعها .

(٢) أى : تكشف عن وجهها فامتنت .

فلما قامت ، انكشف دُبُرُهَا ، فضحكوا وقالوا : منعينا النظر
إلى وجهك ، وجُدَّتِ لنا بالنظر إلى دبرك !
فنادت : يا آل عامر .

فتنادوا بالسلاح ، وابتتلوا مع بنى كنانة ، ووقعت بينهما دماء ،
فتوسطها حرب بن أمية ، وأرضى بنى عامر من مُثَلَّةٍ صاحبتهم .

• وأما المرة الثالثة فكان سببها أنه كان لرجل من بنى جشم بن عامر
دَيْنٌ على رجل من بنى كنانة فلواه به (١) ، فجرت بينهما خصومة ، واقتتل
الحَيَّان ، وحمل ابن جدعان ذلك من ماله .

وهذه الأيام لم يحضرها صلى الله عليه وسلم .

وأما الفجار الثاني فكان بين هوازن وقريش ، وإنما سمي الفجار لأن
بنى كنانة وهوازن ، استحلوا الحَرَمَ ، ففجروا ، فاقتتل الفريقان .

وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« كنت أنبئ على أعمامى يوم الفجار » أى أنا ولهم النبيل .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أربع عشرة سنة ، ويقال :

عشرون سنة .

(١) أى ما طله بأداء الدين .

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

وسبب هذا الحلف أن قريشاً كانت تتظالم في الحرم .
فقام عبد الله بن جدعان ، والزبير بن عبد المطلب ، فدعوا إلى التحالف
على التناصر من الأخذ المظلوم من الظالم ، فأجابوها ، وتحالفوا في دار
ابن جدعان .

عن أبي عبيدة قال : كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من اليمن ،
قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها رجل من بني سهم ، فلوى (١) الرجل بحقه ،
فسأله ماله فأبى عليه ، فسأله متاعه فأبى عليه ، فقام على الحجر وقال :

يَا آلَ فِهْرِ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ بِيْطَانِ مَكَّةَ نَائِي (٢) الدَّارِ وَالنَّفَرِ
أَقَائِمٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِذِمَّتِهِمْ أَمْ ذَاهِبٌ فِي ضَلَالِ مَالٍ مُعْتَمِرٍ

قال : وقال بعض العلماء إن قيس بن شبة السلمي باع متاعاً من أبي
ابن خلف ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من مجح فلم يقم بمواره ،
فقال قيس :

يَا قُصَيُّ كَيْفَ هَذَا فِي الْحَرَمِ وَحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأَخْلَاقِ الْكَرَمِ

أَظْلَمُ لَا يُمْنَعُ مِنِّي مَنْ ظَلَمَ

فقام العباس وأبو سفيان ، حتى ردوا عليه حقه .

(١) لواه : مطله .

(٢) أي : بيعة داره وعشيرته .

وَأَجْتَمَعَتْ رِجَالٌ مِنْ قَيْسٍ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ ، فَتَحَالَفُوا عَلَى رَدِّ الظُّلْمِ بِمَكَّةَ ، وَأَنْ لَا يُظْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا مَنْعُوهُ ، وَأَخَذُوا لَهُ بِحَقِّهِ ، وَكَانَ حَلْفُهُمْ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ شَهِدْتُ حَلْفًا فِي دَارِ ابْنِ جَدْعَانَ ، مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ خَيْرُ النَّعْمِ . وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجِيتُ » .

قَالَ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ : هَذَا وَاللَّهِ فَضْلٌ مِنَ الْحَلْفِ ، فَسُمِيَ حَلْفَ الْفَضُولِ .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَقَالَ آخَرٌ : وَتَحَالَفُوا عَلَى مِثَالِ حَلْفِ تَحَالَفٍ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ جُرْهُمٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، أَنْ لَا يَقْرُوا ظَلَمًا بِيَطْنِ مَكَّةَ إِلَّا غَيْرُوهُ .

وَأَسْمَاؤُهُمُ النَّضْلُ بْنُ شِرَاعَةَ ، وَالْفَضْلُ بْنُ بَضَاعَةَ ، وَالْفَضْلُ بْنُ قِضَاعَةَ .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَمْرِو الْعَنْسِيُّ قَالَ : أَهْلُ حَلْفِ الْفَضُولِ :

بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو الْمُطَّلَبِ ، وَبَنُو أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ، وَبَنُو زَهْرَةَ ، وَبَنُو تَيْمٍ ، تَحَالَفُوا بِاللَّهِ ، أَنْ لَا يُظْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا كُنَّا جَمِيعًا مَعَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظُّلْمِ ، حَتَّى نَأْخُذَ لَهُ مِظْلَمَتَهُ مِنْ ظَلَمِهِ ، شَرِيفًا وَوَضِيعًا .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَحَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِصْعَبٍ

عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : إِذَا سُمِيَ حَلْفَ الْفَضُولِ : أَنَّهُ كَانَ فِي جُرْهُمِ رِجَالٌ يَرُدُّونَ الْمَظْلُومَ

يُقَالُ لَهُمْ ، فَضِيلٌ ، وَفَضَالٌ ، وَمَفْضُلٌ ، وَفَضْلٌ ، فَلِذَلِكَ سُمِيَ حَلْفَ الْفَضُولِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ نُوْفَلِ بْنِ عِمَارَةَ عَنْ إِسْحَاقِ بْنِ الْفَضْلِ

قَالَ : إِذَا سُمِيَ قُرَيْشٌ هَذَا الْحَلْفِ حَلْفَ الْفَضُولِ : أَنْ نَفَرًا مِنْ جُرْهُمٍ يُقَالُ لَهُمْ ،

الْفَضْلُ ، وَفَضَالٌ ، وَالْفَضْلُ ، تَحَالَفُوا عَلَى مِثْلِ مَا تَحَالَفَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْفَضَائِلُ .

• عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرْبُودٍ قَالَ : تَدَاعَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلَبِ ،

وَأُسْدُ ، وَتَيْمٍ وَتَحَالَفُوا عَلَى أَنْ لَا يَدْعُوا بِمَكَّةَ كَلِمًا وَلَا فِي الْأَحْيَاشِ

مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه ، حتى يردوا عليه مظالمته ، أو يُبْلُوا
في ذلك عذراً .

وكره ذلك المطيبون والأحلاف بأسرهم ، وسموه حلف الفضول ،
عِيَّالَه .

وقالوا : هذا من فضول القوم . وسمى حلف الفضول .

• عن حكيم بن حزام أنه قال : كان حلف الفضول مُنْصَرَفَ قريش
من الفجار ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة .
وأخبرني غير الضحاك قال : كان الفجار في شوال ، وهذا الجلف
في ذى القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط .

وأول من دعا إليه ، الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم ،
وبنو زهرة ، وتيم ، في دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاماً ، فتعاقدوا ،
وتعاهدوا : لِيَكُونَنَّ مع المظلوم حتى يُؤدِّيَ إليه حَقَّهُ ما بَلَ بجر صوفة
[وعلى] البتاسي في المعاش .

فسمت قريش ذلك الحلف ، حلف الفضول .

• عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان ، حمر النعم ،
ولو دعيت له لأجبت » وهو حلف الفضول .

قال محمد بن عمرو : لا يعلم أحد سبق من بني هاشم بهذا الحلف .

• عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شهدت
حلف الفضول مع عمومتى ، وأنا غلام ، فأحب أن لي حمر النعم وأنى نكثته » .

• وقد ذكر محمد بن حبيب الهاشمي أن هذا الحلف كان قبل أن يوحى

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

الباب الأربعون

في ذكر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد به قبل النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن الصبا يبغض الأصنام ،
ولا يلتفت إليها .

وكان أهله يسألونه أن يخرج معهم إلى ناحيتها ، فلا يفعل ، ولا يقرب
منها ، ويعيبها .

عن ابن عباس قال : حدثني أم أيمن قالت : كانت بُوانة صنماً ،
تحضره قريش وتعظمه ، وتنسك له المناسك (١) ويحلقون رؤوسهم عنده ،
ويعكفون عنده يوماً إلى الليل ، وذلك يوم في السنة .

وكان أبو طالب يحضره مع قومه .

وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه ،
فيأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .

حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته (٢) غضبن عليه أشد
الغضب ، وجعلن يقطن :

إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلمتنا .

وجعلن يقطن : ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ، ولا تكثر لهم جمعاً .

(١) أي يذبحون له الذبائح كما يذبح في هذا الزمان للسيد البدوي وغيره من
ذوى الأضرحة ، ولا شك أن هذا شرك وأن تلك الذبائح في حكم اللبنة لا يجوز
أكلها لآلتها أهلت لغير الله .
(٢) في الأصل (عمامته) وهو تحريف .

فلم يزالوا به ، حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع فزغاً
مرعوباً ، فقلن له عماته (١) : ما دهاك ؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لم (٢) .
فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشیطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك ،
فما الذي رأيت ؟

قال : إني كلما دنوت من صنم منها ، تمثل لي رجل أبيض طويل ،
يصيح بي : وراءك يا محمد لا تمسه .

قالت : فما عاد إلي عيدهم ، حتى نبيّ صلى الله عليه وسلم .

• عن محمد بن عمرو عن أشياخه قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبحيرى : « لا تسألني باللات والعزى ، والله ما أبغضت شيئاً بغضهما » .

• قال أحمد بن حنبل : من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان على دين قومه ، فهو قول سوء ، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب .
قال أبو الوفا ، علي بن عقيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متديناً
قبل بعثته ، وورث الوحي عليه ، بما يصح عنده أنه من شريعة إبراهيم .

فأما بعد بعثته ، فهل كان يتعبد بشريعة من قبله ؟ فيه روايتان :

أحدهما : أنه كان متعبداً بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي
إليه ، لا من جهتهم ولا بعلمهم ، ولا كتبهم المنزلة .

واختاره أبو الحسن التميمي ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة .

والرواية الثانية : أنه لم يكن يتعبد بشيء من الشرائع ، إلا ما أوحى
إليه في شريعته ، وهو قول المعتزلة والأشعرية .

(١) قوله « فقلن له عماته » هذا التعبير إنما يتمشى على لفة « أكلوني البراغيث »
والفصيح أن يقال : « فقالت له عماته الخ » ، لأن الفعل على اللغة الفصحى الراجحة
لا تلحقه علامة التثنية والجمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعاً .

(٢) أى : مس من الشيطان .

ولأصحاب الشافعي قولان كالروايتين .

قال : واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله ، بأى شريعة كان متعبداً .

فقال بعضهم : بشريعة إبراهيم خاصة . وإليه ذهب أصحاب الشافعي .

وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبداً بشريعة موسى ، إلا ما نسخ في شرعنا .

وظاهر كلام أحمد ، أنه كان يتعبد بكل ما صح أنه شريعة النبي قبله ،

ما لم يثبت نسخه . يدل عليه قوله تعالى :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ فَمِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ (١) » .

وقال ابن قتيبة : لم تزل العرب على بقايا من دين إسماعيل .

من ذلك : حج البيت ، والختان ، وإيقاع الطلاق ، إذا كان ثلاثاً ،

وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنين ، ودية النفس مائة من الإبل ،

والفصل من الجنابة ، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه من الإيمان بالله

والعمل بشرائعهم في الختان والفصل والحج .

قال : وقوله تعالى « مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ (٢) » .

يعنى به شرائع الإسلام ، ولم يرد به الإيمان الذى هو الإقرار بالله .

لأن آباءه الذين ماتوا في الشرك ، كانوا يؤمنون بالله ، ويحجون له

مع شركهم .

(١) سورة الأنعام . الآية ٩٠

(٢) سورة الشورى . الآية ٥٢ وتامها : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ

نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

البَابُ الحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ

في ذكر حالة جرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الملائكة
وهو ابن عشرين سنة وأخبر بها عمه أبا طالب

سأل عبد الله بن الزبير عُبَيْد بن مُمَيْر عن مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال :

أحدثك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شكَا ، وهو يومئذ ابن عشرين سنة إلى عمه أبي طالب
فقال : أعم (١) ، إني منذ ليلال يأتيني آتٍ معه صاحبان له ، فينظرون إليّ
ويقولون : هو هو ، ولم يأن له . فإذا كان رأيك كرجل منهم ساكت (٢)
فقد هالني ذلك .

فقال : يا ابن أخي ليس بشيء حلت .

ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك ،
فأدخل يده في جوفى ، حتى إني لأجد برّدها .

فرجع به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبّب بمكة ، فحدثه حديثه ،
فقال : عالجّه .

فصوّب به ، وصعد ، وكشف عن قدميه ، ونظر بين كتفيه ، وقال :
يا ابن عبد مناف ، إبنك هذا طيب طيب ، للخير فيه علامات ، إني

(٢) كذا . ولم أجده .

(١) أى : يا عم .

ظفرت به يهود، قتلته ، وليس الرأى من الشيطان ، ولكنه من النواميس
الذين يتجسسون القلوب للنبوة .

فرجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسست حساً ما شاء الله ،
حتى رأيت في منامى رجلا وضع يده على منكبي . ثم أدخل يده فأخرج قلبي
ثم قال : قلبٌ طيب ، في جسد طيب ، ثم رده ، فاستيقظت .

ثم قال : رأيت وأنا نائم سقفاً البيت الذى أنا فيه نزلت خُشْبُهُ ،
وأدخل سلم فضة ، ونزل إلى منه رجلان ، جلس أحدهما جانباً ، والآخر
إلى جنبي ، فنزع ضلع جنبي ثم استخرج قلبي ، فقال : نِعَمَ القلبُ قلبه ، قلب
رجل صالح ونبيٍّ مبلغ ، ثم رداً قلبي مكانه وضاعى ، ثم صعدا .
فاستيقظت والسقف على حاله .

فشكوت إلى خديجة فقالت : لا يصنع الله بك إلا خيراً (١) .

(١) هذا الخبر لا يصح ، وإليه أشار القسطلانى بقوله : وروى شق صدره
مرة خامسة وهو ابن عشرين سنة فيما قيل ، ولا تثبت . فلا تذكر إلا مقرونة
بعدم الثبوت ، المواهب ١ / ١٥٣

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

في ذكر رعيه الغنم

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم .

فقال أصحابه : وأنت ؟

قال : نعم ، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة .

انفرد بإخراجه البخاري .

قال سويد بن سعيد : يعني كل شاة بقيراط .

وقال إبراهيم الحزبي : قراريط : موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة .

قال ابن عقيل : لما كان الراعي يحتاج إلى سعة خلق ، وانشراح صدر للمدارة ، وكان الأنبياء مُعَدِّين لإصلاح الأمم حَسُنَ هذا في حقهم .

الباب الثالث والأربعون

في ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة

أنبأنا ابن الحصين ، أنبأنا ابن الراهب ، أنبأنا القطيعي ، حدثنا
عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا
عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن السائب بن أبي السائب أنه
كان يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة .

فلما كان يومُ الفتح ، جاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

مرحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري .

يداري : مهموز ، بمعنى يشاغب ، ويخاصم صاحبه .

الباب الرابع والأربعون

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام
مرة أخرى في تجارة خديجة

عن نفيسة بنت مُنية أخت يعلى بن منية قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب :

أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد ، تبعث رجالاً من قومك في عيراتها ، فلو جئتها ، فعرضت نفسك عليها ، لأسرعت إليك .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، فأرسلت إليه في ذلك وقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك .

فقال أبو طالب : هذا رزق ساقه الله لك .

فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير .

حتى قدموا بضرى من أرض الشام ، فنزلا في ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي (١) .

ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة لا تفارقه ؟ قال : نعم .

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يحل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء . والشجر لا يثمر في العادة هذا العمر للطويل .

أقول : لا مانع عقلاً ، من أن تكون الشجرة قد عمرت طويلاً ، وصرف الله أن ينزل تحتها غير الأنبياء ، ولا داعي لتحكيم الحكم العادي في مثل هذا الأمر . والله يفعل ما يريد .

قال : هذا نبي ، وهو آخر الأنبياء .

ثم باع سلحته ، فوقع بينه وبين رجل تلاح^(١) فقال له : احلف بالللات والعزى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط ، وإني لأمرُّ بهما ، فلا ألتفت إليهما .

فقال الرجل : القولُ قولك .

ثم قال لميسرة : هذا والله نبي ، تجده أحبارنا ممنوعاً في كتابهم .

وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فوعى ذلك كله ميسرة .

وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون .

ودخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلَّة^(٢) لها .

فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره ، ومدَّ كان يظلان عليه ، فأرته نساءها ، فمجنين لذلك .

ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبَّرها بما ربحوا في وجوههم . فسُرَّت بذلك .

فلما دخل عليها ميسرة ، أخبرته بما رأت .

فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام .

وأخبرها بما قال الراهب نسطورا ، وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع .

(١) خلاف ومنازعة كما يستفاد من الصحاح والقاموس .

(٢) العلية : بضم العين وكسر اللام المشددة وبمدها ياء مفتوحة مع التشديد قال في الصحاح : وقال بعضهم : هي العلية بكسر العين واللام المشدتين ووزنها « فَعِيلَةٌ » الحجرة المرتفعة .

البَابُ الحَامِسُ والأَرْبَعُونَ

في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة

• عن نفيسة بنت مُنَبِّه قالت :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام دخل مكة ، وخديجة في عُلْيَةٍ لها فرأت ملكين يظلانها .

وكانت جلدة حازمة ، وهي أوسط قريش نسبا . وأكثرهم مالا .

وكلُّ قومها حريص على نكاحها ، لو قدروا على ذلك .

قد طلبوها ، وبذلوا لها الأموال .

فأرسلتني دسيسا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد أن رجع من الشام .

فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ قال : ما بيدي ما أتزوج .

قلت : فإن كنت ذلك ، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف

والكفءة ، أفلا تجيب ؟

قال : فمن هي ؟

قلت : خديجة :

قال : وكيف لي بذلك ؟

قلت : على .

قال : فأنا أفعل .

فذهبت فأخبرتها ، وأرسلت إليه : أن إيت ساعة كذا وكذا .

وأرسلت إلى عمها ، عمرو بن أسد ليزوجها .
فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته . فتزوجها ، وهو
ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ، بنت أربعين سنة .
وقد روى أن أباهما زوجها ، وليس بصحيح لأن أباهما مات قبل الفجار .
وذكر أبو الحسين بن فارس أن أبا طالب خطب يومئذ فقال :
« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضى^(١)
معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسؤواس^(٢) حرمه ، وجعل لنا
بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس .
ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل ، إلا رجحه ،
وإن كان في المال قلا ، فإن المال ظل زائل ، ورجال حائل .
ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها
من الصداق ، ما آجله وعاجله من مالى .
وهو - والله ، بعد هذا - له نبأ عظيم ، وخطر جليل » .
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل ، فلم يقض بينهما نكاح .
فتزوجها أبو هالة ، واسمه هند ، وقيل : مالك بن النباش^(٣) .
فولدت له هنداً ، وهالة وهما ذكران .
ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومي ، فولدت له جارية اسمها ، هند .
وبعضهم يقدم عتيقا على أبي هالة .
ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل أولاده منها ، إلا إبراهيم .

(١) الضئضى : الأصل . (٢) سواس : كراس وزنا ومعنى .

(٣) في المواهب ١/١٩٩ : واختلف في اسم أبي هالة فقيل : مالك .

وقيل : زرارة ، وقيل : هند ، وقيل : اسمه النباش .

الباب السادس والأربعون

في ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان الكعبة
ووضعه الحجر بيده

• أول وضع البيت ، أن الله تعالى أنزل البيت المعمور ، فجعله مكان
الكعبة ، وكان ياقوتة حمراء ، ثم رفع ، وبني آدم مكانه ، البيت ،
ثم بناه أولاده بالطين والحجارة .
ثم غرق في زمن نوح ، وبقي مكانه أكمة ، لا يعلمها السيول ،
إلى أن بناه الخليل .

ثم بنته العمالة ، ثم بنته جُرُوم ، ثم بنته قريش .

• عن طلحة قال : وجد في البيت حجر منثور في الهدمة الأولى .
فدعى رجل ، فقرأه ، فإذا فيه :
عبدى المتعجب المتمكن الثابت المختار .

مولده بمكة ، ومهاجره ، طيبة ، لا يذهب حتى يقيم الملة السوجاء ،
ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته المملدون ، يمدون الله تعالى بكل أكمة ،
يأتزون على أوساطهم ، ويظهرون أطرافهم .

• فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر خمسا وثلاثين سنة ،
هدمت قريش الكعبة وبنتها ، لأنها كانت قد تضعفت بالسيل .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل معهم الحجارة .

فلما بلغ البنيان موضع الركن ، اختصموا ، فكل قبيلة تريد أن ترفعه ،
حتى تواعدوا للقتال .

وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، وأدخلوا أيديهم في الدم ،
وتعاقدوا على الموت . فسموا لكفة الدم .

فكثروا على ذلك ليالي ثم تشاوروا . فقال أبو أمية بن المغيرة ، وهو
رأس قريش : اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب هذا المسجد .

فكان أول من دخل عليهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا به .

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال :

« هلموا ثوباً » فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ ، فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« لَتَأْخُذُ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ أَرْفَعُوهُ جَمِيعاً » .

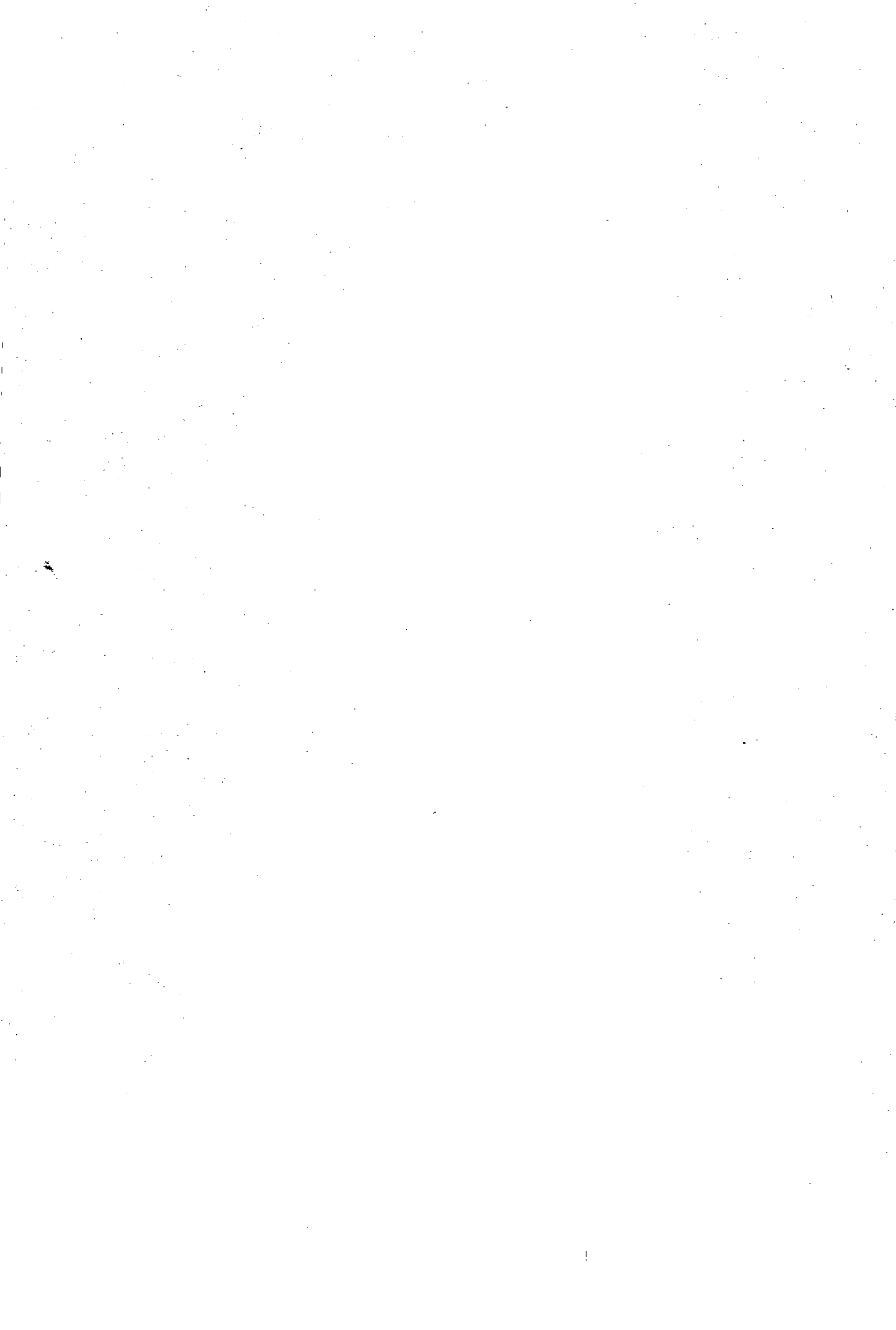
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ . وَضَعَهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ نَبَى عَلَيْهِ .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُنزل

عليه ، الأمين .

أَبْوَابُ نَبَوْتِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



الباب الأول

في ذكر الهواتف بذوة نبينا صلى الله عليه وسلم

عن النَّضْر بن سفيان الُّهْدَلِي ، عن أبيه قال :

خرجنا في عِيرٍ لنا ، إلى الشام .

فلما كنا بين الزرقاء ، ومَعَان ، وقد عَرَّسْنَا (١) من الليل ، إذا بفارس يقول [وهو بين السماء (٢) والأرض] أيها النَّيَّام ، هُبُّوا ، فليس هذا بحين رُقَاد ، قد خرج أحد ، وطُرِدَتِ الجُنُّ كلَّ مَطْرَد .

ففرغنا ونحن رُقُقَةٌ [حَزَاوِرَةٌ (٣)] كلهم قد سمع هذا .

فرجعنا إلى أهلنا ، فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش ، ونبى خرج فيهم ، من بنى عبد المطلب ، اسمه أحد .

• عن محمد بن كعب القُرْطَبِي قال : بينما عمر بن الخطاب قاعد في

المسجد ، إذ مرَّ به رجل في مؤخر المسجد .

(١) قال في الصباح : « يقال عرس ، إذا نزل المسافر ليستريح نزلة ثم يرتحل قال أبو زيد : وقالوا : عرس القوم في المنزل تمريساً : إذا نزلوا أى وقت كان من ليل أو نهار فالإعراس دخول الرجل بامرأته ، والتمريس نزول المسافر ليستريح .

(٢) ليست هناك أهمية علمية ولا عملية لهذا الباب ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى أن يؤيدها هاتف أو يتنبأ بها كاهن ، فهي تتمتع على حقائق الحياة وشهادة التاريخ . ومن هنا فإننا ننظر إلى هذه الأخبار التي أوردها المؤلف وتابع فيها مؤلفي السيرة على أنها طرائف ، لا يترتب عليها شيء .

(٣) من دلائل النبوة . والحزاورة : جمع حزور وهو الرجل القوي .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف المارة ؟

قال : من هو ؟ [قال : هذا] سواد بن قارب ، وهو رجل من أهل اليمن ، له شرف وموضع ، وهو الذى أتاه رثيه (١) يخبره بظهور النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر : على به .

فدعا به فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

[قال : فأنت الذى أتاك رثيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : نعم] (٢) .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

[فغضب غضباً شديداً ، وقال :

يا أمير المؤمنين ، ما استقبلنى بهذا أحد ، منذ أسلمت .

فقال عمر : سبحان الله ، والله ما كنا عليه من الشرك ، أعظم

ما كنت (٣) عليه من كهانتك] .

أخبرنى يأتیان رثيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

بينما أنا نائم ذات ليلة ، إذ أتانى آتٍ فضربنى برجله وقال :

قم يا سواد ابن قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

(١) الرثي : القرين من الجن .

(٢) من دلائل النبوة لآبى نعم . وقد سقط من الأصل .

(٣) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، وهو سقط بالأصل .

لأنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .
ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَجَسَّاسِهَا وَشَدَّهَا المِيسَ بِأَحْلَامِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي المُدَى مَا خَيْرُ الجِنِّ كَأَرْجَانِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَأَسْمُ بَعِيذِكَ إِلَى رَأْسِهَا
قال : فلم أرفع لقوله رأساً ، وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .
فلما كان في الليلة الثانية ، أتاني فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم ، واعقل ، إن كنت تعقل .
لأنه قد بعث نبي من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .
ثم أنشأ الجني يقول :

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَطْلَابِهَا وَشَدَّهَا المِيسَ (١) بِأَقْتَابِهَا (٢)
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي المُدَى مَا صَادِقُ الجِنِّ كَكَذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا
قال : فلم أرفع لقوله رأساً وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .
فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

(١) الميس : بكسر الميم الإبل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة ،
واحدها أعيس والآنثى عيساء بينة الميس بفتحين ، ويقال : هي كرائم الإبل اه
من المختار من الصحاح .

(٢) قال في الصحاح : القتب : رحل صغير على قدر السنام ، وفي القاموس مثله .

إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وعبادته .

ثم أنشأ الجني يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَخْبَارِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بَأَكْوَارِهَا
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : فوقع في قلبي حب الإسلام ، ورجبت فيه .

فلما أصبحت ، شددت على راحتي ، وانطلقت متوجهاً إلى مكة .

فلما كنت ببعض الطريق ، أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم

قد هاجر إلى المدينة .

فقدمت المدينة فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي : في المسجد .

فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

والناس حوله ، فقلت : تسمع مقاتلي يا رسول الله . فقال لأبي بكر

« أَدْنِهِ أَدْنِهِ » .

فلم يزل بي حتى صرت بين يديه .

فقلت : اسمع مقاتلي يا رسول الله .

فقال : « هات . فأخبرني بإتيانك ربيك » فقلت :

أَتَانِي . نَجِيٍّ (١) بَعْدَ هِدْيٍ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيهَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلُّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ

(١) وتروى : ربي . والرئي : التابع من الجن .

فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَلِيلِي الْإِزَارَ وَوَسَّطْتُ فِي الدُّعْلِبِ (١) الْوَجْفَاءَ بَيْنَ السَّبَابِيبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسَيْلَةَ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ
فَمَرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ (٢) وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الدَّوَائِبِ
وَكَنْتُ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بِمَعْنَى عَنِ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بإسلامي فرحاً شديداً ، حتى رُئي الفرح في وجوههم .

قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال :

كنت أحب أن أسمع هذا منك [فهل يأتيك ربك اليوم ؟

فقال : مذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوضُ كتاب الله من الجن] (٣) .

• عن جابر قال : إن أول خبر قدم المدينة ، أن امرأة كان لها تابع من الجن في صورة طائر ، فسقط على الحائط فقالت :

مالك لم تأت تحدثنا ونحدثك ؟

قال : لأنه قد ظهر من منع القرار ، وحرم الزنا علينا .

• عن علي بن حسين قال : كانت امرأة من بني العجار يقال لها

فاطمة بنت النعمان ، ولها تابع من الجن .

(١) الدُعْلِبُ : الناقة السريمة . والسباب : جمع سبب وهي الصحراء .

(٢) في أعلام النبوة : يا خير من مشى .

(٣) ما بين التوسين من أعلام النبوة ١٠٥ . هذا والخبر أيضاً في دلائل

النبوة لأبي نعيم .

قال : فكان يأتيها ، فاتاها حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم واتقن
على الحائط ، فقالت : مالك لم تأت كما كنت تأتي ؟

قال : قد جاء الذي يجرم الزنا والحمر .

• عن أبي هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : ألا
أخبرك بيده إسلامي ؟

بينا أنا في طلب نعم لي إذ جئني الليل بأبرق العزاف (١) فنادت بأعلى
صوتي : أعود بمرز هذا الوادي من سفهائه .

وإذا هاتف يهتف بي :

عُدَّ يَا قَتِي بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَالنِّعْمَاءِ وَالْإِفْضَالِ

وَاقْرَأْ بآيَاتِ مِنَ الْأَنْفَالِ وَوَحَّدِ اللَّهَ وَلَا تُبَالِ

قلت (٢) :

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ مَا تَقُولُ أَرَشَدُ عِنْدَكَ أَمْ تَضْلِيلُ

يَبِينُ لَنَا هُدَيْتَ مَا السَّبِيلُ ؟

قال :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْخَيْرَاتِ يَدْعُو إِلَى الْجَنَاتِ وَالنَّجَاةِ

يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْهِنَاتِ (٣)

(١) أبرق العزاف : ماء لبني أسد .

(٢) في دلائل النبوة : قال : فارتمت من ذلك روعاً شديداً فلما رجعت إلى

نفسى قلت .

(٣) اقتصر المؤلف على هذا ، ولم يكمل القصة ، وهي في دلائل النبوة .

• عن عبد الله العماني قال : كان فينا رجل يقال له مازن بن العضوبة
يسدن صننا [بقرية يقال لها سمايا من عمان (١)] وكانت تعظمه قبائل .

قال مازن : فمترنا ذات يوم عند صنم عتيبة [وهي الذبيحة] فسمعت
صوتاً من الصنم يقول :

يَا مَازِنُ ائْتَمِعْ تُسْرَةً ، ظَهَرَ خَيْرٌ وَبَطْنٌ شَرٌّ ، بُعِثَ نَبِيٌّ مِنْ مُضَرَ ،
[بدين الله الأكبر] (٢) ، فَدَعَّ نَحِينًا مِنْ حَرٍّ سَقَرٌ .

قال : ففرغت لذلك ، ثم عترنا بعد أيام عتيبة أخرى ، فسمعت صوتاً
من الصنم يقول : أَقْبِلْ إِلَى أَقْبَلٍ ، تَسْمَعُ مَا لَا تَجْهَلُ ، هَذَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ،
جَاءَ بِحَقِّ مُنْزَلٍ فَأَمِنْ بِهِ كَيْ تَعْدِلَ ، عَنْ حَرِّ نَارٍ تُشْمَلُ ، وَوُقُودُهَا بِالْجُنْدَلِ .

قال مازن : فقلت : إن هذا لعجب ، وإياه لخير يراد بي .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟

قال : ظهر رجل يقال له محمد ، يقول لمن أتاه : أجيوا داعي الله .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت .

فَوَزْتُ إِلَى الصنم فكسرتة ، وركبت راحلتي ، حتى قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح لي الإسلام فأسلمت .

• عن رجل من خثعم قال : كانت العرب تتحاكم إلى الأصنام .

فبينما نحن ليلة عند وثن وقد تقاضينا إليه في شيء قد وقع بيننا [أن يفرق

بيننا (٢)] إذ هتف هاتف وهو يقول :

(١) ما بين القوسين من دلائل النبوة .

(٢) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، لا بى نعم .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذُورُوا الْأَجْسَامَ .
وَمُسْنِدُ الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَامِ .
مَا أَنْتُمْ وَطَائِشُ الْأَحْلَامِ .
هَذَا نَبِيُّ سَيِّدِ الْأَنَامِ .
أَعْدَلُ فِي الْحُكْمِ مِنَ الْحُكَّامِ .
يَصْدَعُ بِالثُّورِ وَبِالْإِسْلَامِ .
وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ .
مُسْتَعْلِنٌ (١) فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ .

ففرعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثاً .
حتى بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، ثُمَّ قَدِمَ
الْمَدِينَةَ ، فَجِئْتُ فَاسْأَلْتُ .

• عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ قَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ حِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ حَاجَتِي ، فَأَدْرَكَنِي اللَّيْلُ .
فَقُلْتُ : أَنَا فِي جَوَارِ عَظِيمٍ هَذَا الْوَادِي اللَّيْلَةَ .

قال : فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمنادٍ ينادي لا أراه :
عُدْ بِاللَّهِ فَإِنَّ الْجِنَّ لَا تَجِيرُ أَحَدًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، قَدْ خَرَجَ الرَّسُولُ
الْأَمِينُ ، رَسُولُ اللَّهِ ، وَصَلِينَا خَلْفَهُ بِالْحَجُّونَ (٢) وَأَسْمَانَا وَاتَّبِعْنَاهُ ، وَذَهَبَ
كَيْدُ الْجِنِّ وَرَمِيَتْ بِالشَّهْبِ ، فَانْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأَسْلِمْ .

(١) أى : ظاهر أمره .

(٢) قال في المختار من الصحاح : الحججون : بفتح الحاء ، جبل بمكة وهي مقبرة

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهباً
وأخبرته الخبر .

فقال الراهب : قد صدقوك ، يخرج من الحرم ، وهو خير الأنبياء
فلا تسبق إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخصوس ، حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
• عن خويلد الضمري قال :

كنا عند صنم جلوساً ، إذ سمعنا من جوفه صائحاً يصيح :
ذهب استراق الوحي ، ورُمي بالشهب لنبي مكة ، اسمه أحمد ، مهاجرة
إلى يثرب ، يأمر بالصلاة والصيام ، والبر والصلوات للأرحام .

فقمنا من عند الصنم فسألنا قالوا : خرج نبي من مكة اسمه أحمد .

• عن جبير بن مطعم قال : كنا جلوساً عند صنم ببوابة قبل أن يبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ، نحرنا جزوراً .

فإذا صائح يصيح من جوفه : اسمعوا العجب ، ذهب استراق الوحي ،
ورمي بالشهب لنبي بمكة ، اسمه أحمد ، مهاجرة (١) إلى يثرب .

فأمسكنا وعجبنا . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن العباس بن مرداس قال لما حضرت أبي الوفاة ، أوصاني بصنم
له يقال له صمار (٢) . فجعلته في بيت . وكنت آتية كل يوم مرة .

فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً من جوف الليل راعني ،
فوثبت إلى صمار مستغيثاً فإذا بالصوت من جوف وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا هَلْكَ الْأَنْبِيَاءُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

(١) أى : موضع هجرة . و « يثرب » هي المدينة المنورة .

(٢) الأصل : صماد . وما أثبتته رواية ابن هشام .

أُودِيَ (١) ضِمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
فَكَيْمَتُهُ النَّاسِ . فلما رجع الناس من الأحزاب ، سمعت صوتا في مناهي

يقول : النور الذي وقع ليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة المضباء .

فرحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت .

• عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذي يقال له سُوَاعُ .
بالمعلاة ، تدين له هذيل ، وبنو ظَفَرٍ من سُلَيْمِ .

فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية بنى سُلَيْمِ إلى سُوَاعِ .

قال : فَأَتَيْتُهُ فَأَلْتَيْتُهُ مَعَ الْفَجْرِ إِلَى صَنْمِ قَبْلِ سُوَاعِ ، فَإِذَا صَارَخَ بِصَرْخِ
مِنْ جَوْفِهِ : الْعَجَبُ كُلِّ الْعَجَبِ ، مِنْ خُرُوجِ نَبِيٍّ مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، يَحْرَمُ
الزَّانَا وَالرَّابَا وَالذَّبْحَ لِلْأَصْنَامِ ، وَحَرَسَتْ السَّمَاءَ وَرُمِينَا بِالشُّهُبِ .

ثم هتف صنم آخر من جوفه : تَرِكَ الصَّارِ ، وَكَانَ يُعْبَدُ ، خَرَجَ النَّبِيُّ
عَمْدَ ، يَصَلِّي الصَّلَاةَ ، وَيَأْمُرُ بِالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْبِرِّ ، وَالصَّلَاتِ لِلْأَرْحَامِ .

ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف :

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
نَبِيٌّ يُخْبِرُ بِمَا سَبَقَ وَبِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ

قال راشد : فَأَلْتَيْتُ عِنْدَ سُوَاعِ ، ثَعْلِبِينَ مَعَ الْفَجْرِ يَلْحَسَانُ مَا حَوْلَهُ ،
وَيَأْكُلَانِ مَا يُهْدَى ، ثُمَّ يَعُوجَانِ عَلَيْهِ بِيُولِهَمَا .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَرَبُّ بِيُولِ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ !
وَذَلِكَ عِنْدَ مَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الباب الثاني

في ذكر إعلام الوحش بنبوته

• عن أبي عمرو الهذلي قال : حضرت مع رجال من قومي صنماً يقال له سُوَاع ، وقد سُقنا إليه الذبائح .

فكنت أول من قرَّب إليه بقرة سمينة ، فذبحتها على الصنم .

فسمعنا صوتاً من جوفها [يقول] : العجبُ كلُّ العجب ، خروج نبي بين الأخشاب ، يحرم الزنا ويحرم الذبح للأصنام . وحرست السماء ورُمينا بالشهب .

فيفرقنا ، فقدمنا مكة ، فسالنا ، فلم نجد أحداً يخبرنا بمخرج محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصديق .

فقلت : يا أبا بكر ، أخرج أحد بمكة ، يدعو إلى الله تعالى يقال له أحد ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر .

فقال : نعم ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم دعانا إلى الإسلام ، فقلنا : حتى ننظر ما يصنع قومنا .

ويا ليت أنا أسلمنا يومئذ . فأسلمنا بعده .

• عن مجاهد قال : حدثني شيخ أدرك الجاهلية ، ونحن في غزوة

رودس يقال له ابن عنبس قال :

كنت أسوق بقرة لآل لنا ، فسمعت من جوفها .

يا آل ذريح : قول فصيح ، رجل بصيح ، يقول لا إله إلا الله .

قال : فقد منّا مكة ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة .

• عن أبي هريرة (١) قال : جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي ، حتى انتزعها منه ، فصعد الذئب على تل فأقعى (٢) واستوفز (٣) وقال :

عدت إلى رزق رزقنيه الله تعالى انتزعته مني ؟

فقال الرجل : بالله إن رأيت كالليوم ، ذئب يتكلم !

قال الذئب : أعجب من هذا رجل في النخلات ، بين الحرّتين ، يخبركم بما مضى وما هو كائن من بعدكم .

وكان الرجل يهودياً (٤) فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره وصدقه النبي .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنها أمانة من أمارات الساعة ، أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع ، حتى تحده نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده .

(١) رواه الماوردي في أعلام النبوة ٨٤ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) « أقعى » أى : جلس على أسته (طيره) مفترشاً رجله ، ناصباً يديه .

(٣) « واستوفز » معرفة بالأصل : واستدفر . قال في الصحاح : « استوفز

في قعدته » إذا قعد قموذاً منتصباً غير مطمئن .

(٤) ذكر في أعلام النبوة أن الراعي كان يدعى عميراً السطائي ، وأنه سمي

بعد ذلك مكلم الذئب .

الباب الثالث

في ذكر أمارات النبوة التي رآها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل بعثته

• عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
خمس عشرة سنة سبعاً^(١) يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمان سنين
يوحى إليه .

• عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم .
فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .
ثم حُببَ إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ، حتى فجأه الحق ،
وجاءه الملك .

• عن أبي ميسرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من
يناديه ، يا محمد .

فإذا سمع الصوت ، انطلق هارباً .
فأتى خديجة فذكر لها ذلك فقال :
يا خديجة ، قد خشيت أن يكون خالط عقلي شيء .
إني إذا برزت ، أسمع شيئاً ينادي ، فلا أرى شيئاً ، فأنطلق هارباً .

(١) الأصل: سبع ، وما أثبتته من المواهب . وفيها : وثمان وستين يوحى إليه .
وهو تحريف .

فقال : ما كان الله ليفعل ذلك بك .
فأست ذلك إلى أبي بكر . وكان نديماً له في الجاهلية .
فأخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا إلى ورقة .
فقال : وما ذاك ؟ فخدمته بما خدمته به خديجة .
فأتى ورقة ، فذكر ذلك له .
فقال له ورقة : هل ترى شيئاً ؟
قال : لا . ولكني إذا برزت سمعت النداء ، ولا أرى شيئاً ، فأنتقل
هارباً ، فإذا هو عندي ينادى .
قال : فلا تفعل ، إذا سمعت النداء فاجبت له ، حتى تسمع ما يقول لك .
فلما برز سمع : يا محمد . قال : لبيك .
قال : قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :
ثم قال : قل : الحمد لله رب العالمين ، حتى فرغ من فاتحة الكتاب .
ثم أتى ورقة ، فذكر ذلك له فقال :
أبشر ، ثم أبشر ، ثم أبشر ، أشهد أنك أنت أحد ، وأنا أشهد أنك
محمد ، وأنا أشهد أنك رسول الله ، يوشك يوشك أن تؤمر بالقتال .
وإن أمرت بالقتال ، وأنا حيٌّ فَلَا قَاتِلَ مَعَكَ .
فأتى ورقة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت القس في الجنة ،
عليه ثياب خضر .

الباب الرابع

في ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه

• عن جابر بن سُمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني
لأعرفه الآن » .

• عن علي بن أبي طالب قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة .
فخرجنا في بعض نواحيها ، خارجاً من مكة ، بين الجبال والشجر ، فلم
يُمرُّ بشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

• عن جابر بن سُمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لما كانت ليالي بُعِثْتُ ، ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال : « السلام
عليك يا رسول الله » .

• عن برة قالت : لما ابتداء الله تعالى محمداً بالنبوة ، كان إذا خرج
ل حاجته ، أبعده حتى لا يرى بيتاً ويُفَضِّي إلى الشَّعَاب (١) والأودية (٢) ، فلا يمر
بجحر ولا شجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » .
فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً .

(١) قال في المصباح « الشعب » بكسر الشين : الطريق . وقيل : الطريق
في الجبل ، والجمع « شعاب » .

(٢) « الأودية » قال في المصباح : مفردة « الوادي » وهو كل منفرج بين
جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل .

الباب الخامس

في ذكر بله الوجي

• عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة في النوم .

فكان لا يرى رؤيا ، إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبب إليه الخلاء .

فكان يأتي غار حراء ، يتحنَّث فيه^(١) وهو التعبد ، الليالي ذوات

العدد ، ويزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيزود لثلاثها .

حتى يجاه الحق وهو غائر^(٢) .

فجاه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت :

« ما أنا بقارى » .

فأخذني فغطني^(٣) حتى بلغ مني الجهد^(٤) ثم أرسلني^(٥) فقال : اقرأ .

قلت : « ما أنا بقارى » .

فأخذني فغطني الثانية . حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

قلت : « ما أنا بقارى » .

(١) البغارى : وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه .

(٢) البغارى : حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

(٣) يغطني : يضمن ضمة شديدة حتى بلغ التعب مني نهايته .

(٤) يستفاد من استقراء المعجم أن الجهد - بفتح الجيم - معناه : غاية المشقة

والتعب وهو المراد هنا . (٥) أى : أطلقتني من يديه .

فأخذني ففطنني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال :
« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » حتى بلغ « مَا لَمْ يَعْلَمْ » (١) .
فرجع بها ترجف بوادره (٢) حتى دخل على خديجة فقال :
زملوني ، زملوني .

فزملوه ، حتى ذهب عنه الرجوع (٣) . فقال : يا خديجة مالي ؟
وأخبرها الخبر .

قال : قد خشيت على نفسي .

فقال له : كلاً ، أبشر ، فوالله لا ينجزيك (٤) الله أبداً ، إنك لتصل
الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (٥) وتقرى (٦) الضيف ، وتعين على
نوائب (٧) الحق .

(١) سورة العلق (١ - ٥) .

(٢) البخاري : فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل
على خديجة .

(بوادره) قال في الصحاح « والبوادر » من الإنسان وغيره . اللحمة التي بين
النسكب والنعق ، ومنه قول الشاعر حاتم :

وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مُحْمَرًا بَوَادِرُهَا بِالْمَاءِ تَسْفُحُ مِنْ لَبَاتِهَا الْعَلَقُ . ١٥
ومثله في القاموس .

(٣) الرجوع : بفتح الراء : الفرع . ١٥ . من المختار من الصحاح .

(٤) لا ينجزيك . أى لا يُذِلُّكَ اللهُ ولا يهينك ولا يوقمك في شدة .

(٥) قال في الصحاح : الكل العيال والقتل ، قال الله تعالى : (وَهُوَ كَلٌّ عَلَى

مَوْلَاهُ) والكل أيضاً : اليتيم . والكل : الذى لا ولد له ولا والد . والمراد
هنا : أنت تساعد من وقع في ضائقة . (٦) تقرى الضيف : تحسن إليه .

(٧) قال في المختار من الصحاح : النائبة : المصيبة . واحدة من نوائب الدهر ،

والمراد هنا . تساعد من وقع في المصائب .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي (١) وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيك .

فقال ورقة : يا ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، يا ليتنى فيه جذعا : ليتنى أكون حيّاً حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوُخْرِجِيَّ هَمْ ؟

قال نعم ، ولم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى .

وإن يدركنى يومك ، أنصرك نصراً مؤزراً (٢) .

ثم لم ينشب (٣) ورقة أن توفى .

وقر الوحي حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً

منه مراراً كى يتردّى (٤) من رموس شواحق (٥) الجبال .

فكلماً أوفى بذروة (٦) جبل لكى يلتقى نفسه منه تبدى (٧) له جبريل

(١) كذا بالأصل : العربى وهى رواية ، وفى البخارى : وكان يكتب الكتاب

العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .

(٢) مؤزراً . أى : نصراً قوياً .

(٣) أى : لم يلبث ، وهو تعبير مجازى كفاى أساس البلاغة .

(٤) أى : يرمى نفسه . (٥) شواحق الجبال . أى : الجبال العالية .

(٦) أوفى بذروة جبل . أى : كلما أشرف ووصل إلى رأس جبل .

(٧) تبدى . أى : ظهر .

عليه السلام فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن (١) بذلك جأشه (٢) وتقرّ نفسه فيرجع .

فإذا طال عليه فترة الوحي غداً لئلا ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك .
أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي . فقال في حديثه (٣) : فيينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاء في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئيت (٤) منه رعباً (٥) ، فرجعت فقلت : زملوني (٦) . فذثروني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر) .
أخرجاه .

• عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ورقة ، لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل : « سبح سبح ، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان ؟ جبريل أمين الله ، بينه وبين رسوله .

(١) أي : قهداً نفسه مما أصابها من الفزع .

(٢) قال في القاموس (الجأش) رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . ونفس الإنسان ، والمراد على هذا (فيهدأ قلبه بزوال الفزع) .

(٣) البخاري : قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : بينا ... ويبدو أنه سقط منها ما هو موجود هنا من نسبة القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أي جلست على ركبتي . (٥) البخاري : فرعبت منه .

(٦) أي : لفوني وغطوني في ثوبي .

اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه مارأى ، فإذا أتاه ، فتحسري (١) .
فإن يكن من عند الله ، لا يراه « ففعلت .

قالت : فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره ، فرجعت فأخبرت ورقة .
قال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم ،
إلا بالتمن .

ثم قام ورقة ينظر الدعوة .

● عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا ابن عم ، تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟
فقال : نعم .

فقالت : إذا جاءك ، فأخبرني .

قالت خديجة : فجاءه جبريل ذات يوم وأنا عنده فقال : يا خديجة هذا
صاحبى الذى يأتينى قد جاء .

فقلت : قم فاجلس على نخذى . فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

فقلت : تمول فاجلس على نخذى اليسرى ، فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت خديجة : فطرحتم خمارى .

فقلت : هل تراه ؟ فقال : لا .

فقلت : هذا ، والله ، مَلَكٌ كريم ، ما هو شيطان ، لا والله .

(١) فتحسرى . أى : ألقى عن رأسك الغطاء .

• عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً بمحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع : السلام عليك .

قال : فظننتها نجاة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة ، فسجنتي ثوباً (١) وقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها .

فقالت : أبشر ، فإن السلام خير .

قال : ثم خرجت مرة أخرى ، فإذا بجبريل على الشمس ، جناح له بالشرق ، وجناح له بالمغرب .

قال : فهلت (٢) منه فجئت مسرعاً ، فإذا هو بيني وبين الباب ، فكلمني حتى أتيت به .

ثم وعدني موعداً فجئت له ، فأبطأ عليّ فرأيت أن أرجع .

فإذا أنا به ، وميكائيل ، قد سدّ الأفق .

فهبط جبريل فسلقني (٣) حلاوة القفا (٤) ثم شق على قلبي فاستخرجه ، ثم استخرج منه ما شاء أن يستخرج ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ، ثم ختم في ظهري . فقال :

« اقرأ باسم ربك » .

(١) فسجنتي ثوباً . أى : مدت على ثوباً غطنتي به .

(٢) فهلت : كـ « وجلت » وزناً ومعنى أى : خفت . كما يستفاد من الصحاح .

(٣) فسلقني . أى : ألقاني على ظهري .

(٤) قال في الصحاح : حلاوة القفا بضم الحاء . أى : على وسط القفا . وكذلك

حلاوى القفا وحلاواء القفا . إذا قمت (أى الحاء) مددت وإذا ضمت قصرت .

فجئت لا يلتقاني حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .
حتى دخلت على خديجة . فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

• عن عبيد^(١) قال : كيف [كان] بدء [ما] ابتداء الله به رسوله
صلى الله عليه وسلم من النبوة حتى جاءه جبريل ؟

فقال عبيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء كل سنة
شهرًا ، وكان ذلك مما تحنثُ به قريش في الجاهلية .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور الشهر من كل سنة ، يُطعمُ
من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من ذلك الشهر ، كان
أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره ، الكعبة قبل أن يدخل بيته ،
يطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله [به] فيه [ما أراد] من كرامته
برسالته ، والسنة^(٢) التي بعثه الله فيها نبيًا ، وذلك الشهر شهر رمضان ،
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره
ومعه أهله .

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، جاءه جبريل
من الله تعالى .

(١) الخبر رواه ابن إسحاق قال : وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير
قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لمبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا
يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه
جبريل . قال : فقال عبيد . (٢) ابن كثير : من السنة .

قال ابن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ .
قلت : وما أقرأ ؟ فغظني حتى ظننت أنه الموت ، قال ذلك ثلاثاً .
ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟

ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود ، فقال : (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ) .

• عن ابن البراء قال : بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وله
يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأتاه جبريل ليلة السبت ، وليلة الأحد .

ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان
في حراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن نزل (« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ »
إلى قوله - مَا لَمْ يَعْلَمْ) فقط .

ثم فحص (١) بقبه الأرض ، فنبع منها ماء ، فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين .

(١) فحص . أى . ضرب .

الباب السادس

في ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوضوء والصلاة

• عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتاه في أول ما أوحى إليه فعلمه الوضوء والصلاة .

فلما فرغ من الوضوء ، أخذ غرفة من ماء ، فنضح بها فرجه .

قلت : لم يذكر كيفية الصلاة في هذا الحديث ، وقد ذكرنا عن ابن البراء أنه قال : « ركعتين » .

• وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله على المسلمين في أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشي ، ثم فرضي الخمس في ليلة المعراج .

وقد جاء في حديث : أنه صلى عند زوال الشمس في أول النبوة .

• وقال علماء التفسير : نزلت سورة « المزمل » بمكة .

فكان قيام الليل فرضاً عليه .

فكان يقوم ، ومعه طائفة من المؤمنين ، فشق ذلك عليه وعليهم .

فمنسوخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى

مِنَ الْمُتَمَنِّيِ اللَّيْلِ » (١) .

- وقال عطاء بن يسار ومقاتل بن سليمان : نزل قوله : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ مُثَلَّثِي اللَّيْلِ » بالمدينة . والأول أصح .
- وقال قوم : نُسخ قِيَام اللَّيْلِ فِي حَقِّهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ » (١) ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس .
- وقيل : نسخ عن الأمة ، وبقي قَرَضُهُ عَلَيْهِ .
- وقيل : إنما كان مفروضاً عليه دونهم .
- قال ابن عباس : كان بين نزول أول المزمّل وآخرها ، سنة .

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

الباب السابع

في ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية النبوة
بخديجة وعلى عليهما السلام

• عن ابن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال :
كنت امرأةً تاجراً ، فقدمت للحج ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ،
لأبتاع منه بعض التجارة .

قال : إني ، فوالله ، لعيندهُ بـ « جِي » إذا رجل خرج من خباء (١)
قريب منه ينظر إلى الشمس ، فلما رآها ، قام يصلي .
ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء ، الذي خرج منه ذلك الرجل ، فقامت
خلفه تصلي .

ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء ، فقام معه يصلي .
قال : فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟

قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي .
قلت : من هذه المرأة ؟

قال : امرأته خديجة بنت خويلد .

فقلت : من هذا الفتى ؟

(١) بيت من صوف أو وبر ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة اهـ .
من المختار والصحيح .

قال : علي بن أبي طالب ابن عمه .

قلت : فما هذا الذي يصنع ؟

قال : يصلي ، وهو يزعم أنه نبي ، ولم يتبعه على أمره ، إلا امرأته
وابن عمه ، هذا الفتى .

وهو يزعم أنه تفتح عليه كنوز كسرى وقيصر !

وكان عفيف ، وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول - وأسلم بعد ذلك
فحسن إسلامه - : لو (١) أن الله رزقني الإسلام يومئذ ، فأكون ثانياً مع عليّ
ابن أبي طالب رضی الله عنه !

(١) « لو » هنا : للتمني على حد قوله تعالى (فلو أن لنا كرة فنكون من
المؤمنين) سورة الشعراء الآية ١٠٢

الباب الثامن

في صفة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحيانا يأتيني في مثل صلصلة
الجرس ، وهو أشده عليّ ، فيفصم (١) عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا
يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه
وإن جبينه ليتفصد (٢) عرقا .

• عن يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر بن الخطاب :

ليتني أرى نبي الله حين يوحى إليه .

فلما كان بالجمرانة (٣) وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد
أظل به ، ومعه ناس من أصحابه منهم عمر .

إذ جاءه رجل عليه جبة متضخمة بطيب ، فقال : يا رسول الله ، كيف
تري في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضحّ بطيب ؟

(١) فيفصم ، أى : يقطع عني كما يستفاد من القاموس .

(٢) يتفصد : أى يسيل من جبينه العرق ، كما يستفاد من القاموس .

(٣) والجمرانة : بكسر الجيم وتشديد الراء . وقال الشافعي : للتشديد خطأ .

اسم موضع بين مكة والطائف اه قاموس .

فَنظَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ، ثُمَّ شَكَتَ فِجَاءَهُ الْوَحْيَ .
فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَمَلَى : تَعَالَى .

فِجَاءَهُ يَمَلَى ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ . فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمُرُ الْوَجْهَ يَنْقُطُ
كَذَلِكَ ، فَكَثُرَتْ كَذَلِكَ سَاعَةً .

ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّنَ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنِ الْعِمْرَةِ آفَاقًا ؟

فَالْتَمِسَ الرَّجُلُ فَأَتَيْتَنِي بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَمَا الطَّيِّبُ الَّذِي بَكَ ، فَاغْسِلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَأَمَا الْجَبِيَّةُ ، فَاذْرَعْهَا ،
ثُمَّ اصْنَعْ فِي عِمْرَتِكَ مَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ » .

هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي الصَّحِيحِينَ (١) .

● عَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدٍ قَالَ : قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : إِنِّي قَاعِدٌ إِلَى جَنْبِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، إِذْ أَوْحِيََ إِلَيْهِ .

قَالَ : وَغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ ، فَوَقَعَ نَفْذُهُ عَلَى نَفْذِي ، حِينَ غَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ .

قَالَ زَيْدٌ : فَلَا وَاللَّهِ ، مَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَتَمَلُّ مِنْ نَفْذِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ : اكِتُبْ يَا زَيْدُ .

● عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ :

كَانَ إِذَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّورَةُ الشَّدِيدَةُ ،
أَخَذَهُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْكَرْبِ عَلَى قَدَرِ شَدَّةِ السُّورَةِ .

وَإِذَا أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ اللَّيِّنَةُ ، أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ لَيِّنِهَا .

(١) رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مُخَالَفَةٌ لِمَا هُنَا بِإِخْتِصَارٍ ، وَتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ .

• عن زيد بن ثابت قال : كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثَقُلَ لذلك وتحدَّر (١) جبينه عرقاً ، كأنه الجمان (٢) ، وإن كان في البرد .

• عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمع عند وجهه كدوى النحل .

• عن عبد الله بن عمرو قال : سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع صلاصلاً ثم أسكت عند ذلك . فما من مرة يوحى إليّ [إلا] وظننت أن نفسي تُقبض .

• عن عبد الله بن عباس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مرَّ به عثمان بن مظعون فكشَّر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلس ؟ قال : بلى .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مُستقبلاً .

فبينما هو يحدثه ، إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ بعضُ بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض .

فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه ، عن عثمان ، إلى

(١) تحدَّر : أى : سال العرق من جبينه .

(٢) قال في المختار من الصحاح الجمان : حبة من الفضة كالليرة وجمعه جمان اهـ
واللغى : كأن قطرات العرق في يياضها كحبات الفضة .

جنب وضع بصره فأخذ ينفذ رأسه ، كأنه يستفهم ما يقال له ، وابن مظعون ينظر .

فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له ، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، كما شخص أول مرة ، وأتبعه بصره حتى تواري في السماء .

فأقبل على عثمان بجلسته الأولى ، قال : يا محمد فيما كنت أجالسك وأتيك ؟ ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة !
قال : وما الذي رأيتني فعلت ؟

قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك .

فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تنفض رأسك ، كأنك تستفقه شيئاً يقال لك .

قال : وفضلت لذلك ؟ قال عثمان : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس » .

قال : رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟

قال : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل الآية ٩٠) .

قال عثمان : فذلك حين استقرّ الإيمان في قلبي ، وأحبت محمداً صلى الله عليه وسلم .

- عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لأخذُ بزمام التَضْبَاءِ ، ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت - من ثقلها - تدق عضد الناقة .
- عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كَرَبَ له ، وتربَّدَ (١) وجهه .
- عن أبي أرؤى الدؤسي قال : رأيت الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته ، فترغو وتفتل يديها ، حتى أُظن أن ذراعها ينقص ، فربما بركت ، وربما قامت مؤبدة يديها ، حتى يُسرى عنه ، من ثقل الوحي ، وإنه ليتحدر منه ، مثلُ الجمان .
- عن عكرمة قال : كان إذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقد لذلك ساعة ، كهيئة السكران .
- عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي ، صَدَعَ فغلف رأسه بالخفاء (٢) .
- قال ابن عقيل : إنما نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى الجنون ، لما كان يعتاده عند نزول الملك من الإغماء والشدّة .
- ثم أغفلوا ما وراء الصورة من المعنى بترك الفرق بين ذلك وبين إغماء الجنون ، فإن أثر ما كان يجري له ببيان الصواب والحق ، بخلاف إغماء الجنون .

(١) تربد : أى تغير لون وجهه حتى يشتد احمراره . كما يستعاد من المألم .

(٢) ذكر ابن كثير أن هذا الحديث ضعيف جداً .

وهذا الذى تلحّته خديجة فقالت : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصدق الحديث ، وتعين على نوائب الحق .

قال ابن عقيل : فإن قال قائل : ما كان يجرى عليه من البرحاء (١) حين نزول الوحي هل ينقض وضوءه ؟

فالجواب : لا ، لأنه كان محفوظاً في منامه ، تنام عيناه ولا ينام قلبه . فإذا كان النوم الذى يستطلق فيه الوكاء ، لا ينقض وضوءه ، فالحالة التى أكرم فيها بالمسارّة والإلقاء إلى قلبه الهدى ، أولى أن تكون طباعه فيها معصومة من الأذى .

(١) معنى البرحاء هنا : الشدة والتقل

الباب التاسع

في ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم
من الملائكة في نبوته

• عن عامر قال : نزلت عليه النبوة صلى الله عليه وسلم وهو ابن
أربعين سنة فُقرن بنبوته ، إسرائيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة
والشياء ، ولم ينزل من القرآن على لسانه .

فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه .

• عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة
وهو ابن أربعين سنة ، وكان معه إسرائيل ، ثلاث سنين .

ثم عزل عنه إسرائيل وقرن به جبريل عليه السلام عشر سنين بمكة ،
وعشر سنين مهاجرة بالمدينة .

قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر (١) فقال :

ليس يعرف أهل العلم ببلدنا ، أن إسرائيل قرن بالنبي صلى الله عليه
وسلم ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون :

لم يُقرن به إلا جبريل ، من حين أنزل عليه الوحي ، إلى أن قبض
صلى الله عليه وسلم .

(١) هو الواقدي ، وكان محمد بن سعد كاتبه .

الباب العاشر

في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه
أن يريه آية تقوى ما عنده

- عن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بالحجون فقال :
« اللهم أرني آية ، لا أبالي من كذبتني بعدها من قريش » .
ف قيل له : ادع هذه الشجرة .
فدعاها ، فأقبلت على عروقتها ، فتطمها .
ثم أقبلت تمخد^(١) الأرض ، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت : ما تشاء ما تريد ؟
قال : ارجعي إلى مكانك . فرجعت إلى مكانها .
فقال : « والله ما أبالي من كذبتني من قريش » .
- عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ، ضربه بعض أهل مكة .
فقال له مالك ؟ قال : فعل بي هؤلاء وفعلوا .
فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم .
قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال : ادع تلك الشجرة .
فدعاها ، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه .
فقال : مرها فلترجع . فأمرها ، فرجعت إلى مكانها .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبي .

(١) تمخد : تشق .

الباب الحادي عشر

في رمي الشياطين بالشهب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وتنكيس الأصنام

● عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة
من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر
السماء ، وأرسلت عليهم الشهب .

فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث .

فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث .

فانطلقوا ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، ينظرون ما هذا الأمر

الذي حال بينهم وبين خبر السماء .

قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القرآن ، تسمّعوا له فقالوا :

هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء .

فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا :

« يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (سورة الجن الآية ١ و ٢) » .

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ : « قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ .

• عن ابن عباس قال : لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم زُجْرَ الْجِنِّ وَرُمُوا بِالْكُوكَبِ .

وكانوا قبل ذلك يسمعون ، ولكل قبيل من الجن مقعد يستمعون فيه . فأول ما فرغ لذلك أهل الطائف ، فجعلوا يذبحون لألهتهم ، من كان له إبل ، أو غنم ، كل يوم ، حتى كادت أموالهم تذهب ، ثم تناهوا ، وقال بعضهم لبعض :

أما ترون معالم السماء كيف هي لم يذهب منها شيء ؟

وقال إبليس : هذا أمر حدث في الأرض ، إيتوني من كل أرض بترية .

فكان يؤتى بالترية فيشمها ويلقيها ، حتى أتى بترية تهامة ، فشمها وقال : ها هنا الحدث .

• عن يعقوب بن الأخنس قال : إن أول العرب فرغ لِرُحَى النجوم ، تقيف وأتوا عمرو بن أمية فقالوا : ألم تر ما حدث ؟ !

قال : بلى ، فانظروا .

فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها ، ويعرف بها أنواء الصيف والشتاء ، فهو طيُّ الدنيا ، وذهاب هذا الخلق الذي فيها .

وإن كانت نجوماً غيرها ، فأمره أراد الله بهذا الخلق ، ونبي يبعث في العرب . فقد تُحَدِّثُ بذلك .

• عن أبي بن كعب قال : لم يُرَمَ بنجم منذ رفع عيسى بن مريم ،

حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تنبأ رُمِيَ بها .

فرأت قريش أمراً ، لم تكن تراه .

فجعلوا يسبِّون أنعامهم ، ويعتقون أرقاءهم ، يظنون أنه الفناء .

فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ، فعملت ثقيف مثل ذلك .

فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف قال : ولم فعلتم ما أرى ؟

قالوا رُمي بالنجوم ، فرأينا أنها تهافت من السماء .

قال : إن إفادة المال بمد ذهابه شديد ، فلا تعجلوا وانظروا .

فإن تكن نجوماً تعرف ، فهو عند فناء الناس .

وإن تكن نجوماً لا تعرف ، فهو عند أمر حدث .

ففظروا ، فإذا هي لا تُعرف ، فأخبروه فقال :

الأمر فيه مُهلة بعد ، هذا عند ظهور نبي .

فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ،

فجاء عبد ياليل ، فتذاكروا أمر النجوم .

فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله ، يدعى أنه مرسل .

قال عبد ياليل : فمئذ ذلك رُمي بها .

• عن ابن عباس قال : لم تكن السماء تُحرَسُ في الفترة بين عيسى

ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، كانوا يقدون منها [مقاعد] للسمع .

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حُرست السماء حرساً شديداً ،

ورجت الشياطين ، وأنكروا ذلك فقالوا : لا ندرى أشرُّ أريد بمن في

الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً (سورة الجن الآية ١٠) .

فقال إبليس : لقد حدث في الأرض حدث واجتمعت إليه الجن ، فقال :

تفرقوا في الأرض ، وأخبروني ، ما هذا الذي حدث في السماء ؟

وكان أول ركب بُعث من أهل نصيبين ، وهم أشراف الجن ، فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا ، حتى بلغوا وادي نخلة .

فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة ببطن نخلة .

فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا : أنصتوا .

• قال وهب بن منبه : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن ، ويتقلب فيهن كيف شاء ، لا يُمنع منذ أخرج آدم من الجنة إلى أن رفع عيسى ، فحينئذ حجب من أربع سموات ، فصار يتردد في ثلاث سموات .

فلما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث ، فصار هو وجنوده يسترقون السمع ، ويقذفون بالسكواكب .

* * *

• عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكسأً ، فأدت الشياطين إبليس ، فقالت : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكوساً .

قال : هذا نبي قد بُعث ، فالتمسوه في قرى الأرياف . فالتمسوه فقالوا : لم نجده ، قال : أنا صاحبه .

نفرج يلتمسه فنودي : عليك بحبة القلب مكة .

فالتمسوه فوجده عند قرن الثعالب . نفرج إلى الشياطين فقال :

قد وجدته ، معه جبريل فما عندكم ؟

قالوا : نزيين الشهوات في أعين أصحابه ، ونحبيها إليهم .

قال : فلا آسى (١) إذن .

(١) « فلا آسى » أى : فلا أحزن .

الباب الثاني عشر

في ذكر ما وقع من التغير في أحوال كسرى المسمى أبرويز
عند مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام

كانت دجلة تجري قديماً في أرض خوجي في مسالك محفوظة ، إلى أن
تصب في بحر فارس .

ثم غوّرت وجرت صوب واسط .

فأنفق الأكاسرة على سدها وإعادتها إلى مجراها القديم ، أموالاً
كثيرة ، ولم يثبت السد .

فلما ولي قباد بن فيروز ، انبتق في أسافل كسكر بئق عظيم ، وغلب
الماء ، فأغرق عمارات كثيرة .

فلما ولي أنوشروان بنى مُسَنِّيَات (١) .

فعاد بعض تلك العماراة ، وبقيت على ذلك ، إلى أن ملك أبرويز
ابن هرمز بن أنوشروان ، وكان من أشد القوم بطشاً ، وتهياً له ما لم
يتهياً لغيره .

فسكر (٢) دجلة العوراء ، وأنفق عليها ما لا يحصى .

وبنى طاق مجلسه ، وكان يعلق فيه تاجه ، ويجلس ، والتاج فوق رأسه
معلق ، من غير أن يكون له على رأسه ثقل .

(١) المسنّيات: جمع مسنأة وهو السد .

(٢) السكر بفتح السين: سد النهر .

قال وهب بن منبه : وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة ،
والحزاة : العلماء ، من بين كاهن ، وساحر ، ومنجم .

وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف (١) اعتياف
العرب ، قلماً يخطى . . بعث [به] إليه بأذان من اليمن .

فكان كسرى إذا حزبه (٢) أمر جمع كهانه وسحرته ومنجميه فقال :
انظروا في هذا الأمر ما هو .

فلما أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى ذات غداة
وقد انفصمت طاق (٣) ملكه من وسطها (٣) .

فلما رأى ذلك أحزنه وقال :

انفصم طاق ملكي ، وانخرقت دجلة الموراء « شاه بشكيت » يقول :
الملك انكسر .

ثم دعا كهانه وسحرته ، ومنجميه ، ودعا السائب معهم ، فأخبرهم
بذلك .

وقال : انظروا في ذلك الأمر .

فنظروا ، فأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا (٤) في علمهم ، ولم يمض
لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانيته ، ولا لمنجم علم نجومه .

(١) يعتاف - كما يستفاد من القاموس - أي : يزجر الطير ويتكهن بها وهو
أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشأم .

(٢) قال في القاموس : حزبه الأمر ، نابه واشتد عليه أو ضغظه .

(٣) الكامل : أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه أي : انكسر من غير ثقل .

(٤) « تكعوا » أي تحيروا في علمهم . كما يستفاد من القاموس .

وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق (١) برقاً نشأ من أرض الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق .

فلما أصبح ، ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه ، فإذا روضة خضراء .

فقال فيما يعتاف (٢) : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ الشرق والغرب ، تمخضب عنه الأرض ، كأفضل ما أخضبت عن ملك كان قبله .

فلما اجتمعت الحزاة ، قال بعضهم لبعض :

والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا الأمر جاء من السماء ، وإنه لنبي قد بعث ، أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره .

ولئن نعيت لكسرى ملكه ، ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه . فجاءوا كسرى فقالوا له : إنا نظرنا في هذا فوجدنا حُسابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرت (٣) دجلة العوراء ، وضعوه على النحوس ، وإنا سنحسب لك حساباً ، تضع عليه بنيانك فلا يزول .

قال : فاحسبوا . فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبناه .

فعمل في دجلة ثمانية أشهر ، وأنفق فيها من الأموال مالا يُدرى ما هو . حتى إذا فرغ قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم .

فأمر بالبسط والفرش والرياحين ، فوضعت عليها ، وأمر بالمرابزة ،

فجمعوا له .

(١) الكامل : على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقاً .

(٢) يعتاف : يتكهن .

(٣) السكر بفتح السين : سد التهر .

وجمع اللعابون ، ثم خرج حتى جلس عليها .
فبينما هو هنالك ، انتسفت دجلة البنيان من تمحه ، فلم يستخرج
إلا بأخر رمق .

فلما أخرجوه ، قتل من الحزاة ، قريباً من مائة وقال : تلمبون بنى ؟
قالوا : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ، ولكننا سنحسب لك
حساباً ، حتى تضعها على الوفاق من السعود .

قال : انظروا ما تقولون ، قالوا : فإننا نفعل .

فحسبوا له ثم قالوا له : ابنه .

فبنى وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو ، ثمانية أشهر ثم قال :
أؤخرج فأفعد ؟ قالوا : نعم .

فركب بردوناه ، وخرج يسير عليها ، إذ انتسفته دجلة بالبنيان ، فلم
يلدرك إلا بأخر رمق ، فدعاهم فقال :

والله لأمرنَّ على آخركم ولأترعنَّ أكتافكم ، ولأطرحنكم بين أيدي
القبيلة ، أو لتصدقنني ، ما هذا الأمر الذي تلفقون عليّ ؟

قالوا : لا نكذبك ، أيها الملك ، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة
وانفصمت طاق مجلسك ، أن ننظر في علمنا ، فنظرنا فأظلمت علينا الأرض
وأخذ علينا بأقطار السماء ، فلم يستقم لعالمنا علمه .

ففررنا أن هذا ، لأمر حدث من السماء ، وأنه قد بعث نبى ، أو هو
مبعوث ، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا .

فخشينا إن نعيئنا مُلكك أن تقتلنا فعلنناك على أنفسنا بما رأيت .

فتركهم ولهى عنهم وعن دجلة حين غلبته .

• وقال ابن إسحاق : كان من حديث كسرى قبل أن يأتيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى ، أنه كان سَكَّر دجلة الموراء ، وأنفق فيها من الأموال مالا يدرى ما هو . وذكر الحديث الذى سقناه بمينه (١) .

• وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصرى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كسرى فيك ؟

قال : بعث الله إليه ملكا ، فأخرج يده من سور بيته الذى هو فيه تَلَاؤًا (٢) نورا . فلما رآها فزع .

قال : لم تفزع يا كسرى ؟

إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، فاتبعه ، لتسلم دنياك وآخرتك .

قال : سأنظر .

• وقال ابن إسحاق (٣) : بعث الله ملكًا إلى كسرى ، وهو فى بيت من بعض بيوت إيوانه الذى لا يُدخَلُ عليه فيه ، فلم يرعه (٤) إلا هو ، قائمًا على فراشه (٥) فى يده عصا بالهاجرة فى الساعة التى كان يقيل فيها .

فقال : يا كسرى أتسلم أو أكره هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل .

(١) ، (٣) لم يذكر ابن هشام هذا الخبر .

(٢) أى : تَلَاؤًا بمعنى نداء الأولى على حد قوله تعالى « فأنت عنه تلهى »

أى تلهى . (٤) أى : لم يُخَفِّهُ .

(٥) الكامل : قائمًا على رأسه .

فانصرف عنه ثم دعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال : من أدخل هذا الرجل عليّ ؟ قالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأيتاه .

حتى إذا كان العام القابل أتاه الساعة التي أتاه فيها فقال له كما قال له .
ثم قال : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال : بهل بهل .

فخرج عنه فدعا كسرى حُجَّابَه وبوأييه ، فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة .

قالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك .

حتى إذا كان في العام الثالث ، أتاه في الساعة التي جاءه فيها ، وقال كما قال له ثم قال له : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال بهل بهل .

قال : فكسر العصا ثم خرج . فلم يكن إلا أن تهوّر ملكه .

• قال الزهري : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة

قال : ذكر لي أن الملك إنما دخل عليه بقارورتين في يديه ثم قال : أسلم .
فلم يفعل .

فضرب إحداها بالأخرى فرضهما ثم خرج .

فكان من هلاكه ما كان .

• عن خالد بن ويذة ، وكان رأساً في الجوس ، ثم أسلم قال :

كان كسرى إذا ركب ، ركب أمامه رجلان فيقولان له ساعة بساعة :

أنت عبد ولست برب .

فيشير برأسه : أي نعم .

قال : فركب يوماً فقالا له ذلك ، فلم يُشير برأسه ، فعلم ذلك صاحب

شرطته فأتاه ليعاتبه ، وكان كسرى قد نام .

فلما وقع صوت حوافر الدواب في سمعه ، استيقظ .

فدخل عليه صاحب شرطته ، فقال :

أيقظتموني ولم تدعوني أنام .

إني رأيت أنه رُقيّ بي فوق سبع سموات ، فوقفت بين يدي الله تعالى ،
فإذا رجل بين يديه عليه إزار ورداء ، فقال لي :

سَلِّمْ بحر مفاتيح خزائن أرضي ، إلى هذا ، ألسن المأمور بكذا ؟

قال : وصاحب الإزار والرداء ، يعني به ، النبي صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن قتيبة أن أبرويز قال : رأيت في المنام قائلاً يقول لي :

إنكم غيرتم ، فغير ما بكم ، ونقل المكان إلى أحد .

وكانوا يتوقعون حادثة تحدث ، حتى كتب النعمان إليه : أن خارجاً نجّم
بتهامة ، يخبر أنه رسول إله السماء والأرض .

فانزعج لذلك وعلم أنه الذي كان يتوقعه .

قال ابن قتيبة : فانقضت ممالك الأمم عند مبعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم خلا الروم ، لما سبق من دعوة إسحاق بن إبراهيم .

فإن يعقوب لما سبق إلى دعوة ابنه إسحاق ، صارت النبوة في ولده .

فدعا إسحاق للعيص بالنماء والكثرة ، فالروم كلهم من ولده .

وانتقضت مملكة فارس ، وكان أول انتقاضها ، قتل شيرويه أباه ..

ثم ظهر الطاعون في ملكه فهلك فيه ، ثم تعاوروا الملك ، ولم يلبثوا .

وانتقض ملك أهل اليمن .

وكان أول ذلك ، قتل الحبشة سيف بن ذي يزن ، وانتشر الأمر بعده .

فكل أهل ناحية ، ملكوا رجلاً ، حتى جاء الإسلام .

وانتقضت مملكة الحيرة بعد النعمان بن المنذر .

وانتقض ملك أبي جفنة ، وكان آخر من ملك منهم ، جبلة بن الأيهم ،

الذي تنصّر في خلافة عمر رضی الله عنه .

الباب الثالث عشر

في ذكر دعابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس إلى الاسلام

• كان صلى الله عليه وسلم في أول نبوته يدعو الناس إلى
الإسلام سرّاً .

وكان أبو بكر يدعو أيضاً ، من يثق به من قومه .
فلما مضت من النبوة ثلاث سنين : نزل عليه (فَأَصْدَعُ بِمَا تُوْمَرُ) (١)
فأظهر الدعوة .

• عن أبي عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ، ثلاث سنين مستخفياً ، إلى أن أسر
أن يصدع بما جاء من عند الله ، وأن يظهر الدعوة .

• عن الزهري قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام
سرّاً وجهراً ، فاستجاب لله من شاء ، من أحداث الرجال ، وضعفاء الناس ،
حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش غير منكرين لما يقول .

فكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه : إن غلام بنى عبد المطلب
ليُكَلِّمَ من السماء .

(١) سورة الحجر الآية ٩٤

فكان كذلك حتى عاب آلمتهم التي كانوا يعبدونها ، وذكر هلاك
آبائهم الذين ماتوا على الكفر ، فشاقتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعادوه .

● عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كنت بين شرّ جارين ، بين أبي لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، كانا
يأتيان بالنروث فيطرحونها .

فيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :
يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ اثم يلقيه بالطريق .

الباب الرابع عشر

في ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواسم

- عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بسوق المجاز ، وأنا في بياعة لي .
فمرّ ، وعليه حلة حمراء وهو ينادى بأعلى صوته :
يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .
ورجل يتبعه بالحجارة ، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول :
يا أيها الناس ، لا تطيعوه فإنه كذاب .
قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا غلام من بني عبد المطلب .
قلت : فمن هذا الذي يتبعه يرميه ؟
قالوا : هذا عمه عبد العزى . وهو أبو لهب .
- عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بمكاف ، ومجنته ، وفي المواسم بمنى .
« من يؤويني ؟ من ينصرني ، حتى أبلغ رسالة ربي ، وله الجنة ؟ » .
حتى إن الرجل ليخرج من اليمن ، أو من مضر ، فيأتيه قومه فيقولون :
احذر غلام قريش ، لا يفتنك .

الباب الخامس عشر

في ذكر إنذاره عشيرته

• عن أبي هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (١) فقال :

« يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله تعالى ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً . »

• عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني أخطب ، يا بني ، أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، ما دعوتنا إلا لهذا ؟ ! فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) . »

• عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمر قالا : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة من جبل على أعلاها حجراً فجعل ينادى : يا بني عبد مناف ، إنما أنا نذير ، إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب ينذر أهله فخشي أن يشقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، وانفقا على الحديثين قبله .

• عن ابن عباس قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فقال : يا معشر قريش .

فقال قريش : محمد على الصفا يهتف .

فأقبلوا واجتمعوا قالوا : مالك يا محمد .

قال : أَرَأَيْتَ كُمْ^(١) لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل كنتم

تصدقوني ؟

قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم ، وما جرّبنا عليك كذباً قط .

قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زُهرة ، حتى عدّ الأنفاد

من قريش .

إن الله عز وجل ، أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، إني لا أملك لكم

من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

قال يقول أبو لهب : تَبَّ لك سائر اليوم ألهذا جمعنا !

(١) أي : أخبروني .

فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) السورة كلها .

عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضقتُ بذلك ذَرْعًا ، وعرفتُ أنَّى متى أباديهم بهذا ، أرى منهم ما أكره .
فصمتُ حتى جاءني جبريل فقال :

يا محمد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به ، يعذبك ربك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ، اصنع لي صاعاً من طعام (١) واجعل عليه رجل شاة ، واملاً لنا عُسّاً (٢) من لبن ، ثم اجمع لي بني المطلب حتى أكلمهم ، وأبلغهم ما أمرت .

فعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له ، وهم أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه ، أبو طالب ، وحزرة ، والعباس ، وأبو لهب .
فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعتُ ، فجئت به .

فلما وضعت ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة (٣) فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ، ثم قال :

خذوا باسم الله .

فأكل القوم ، حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم .
وايم الله ، الذي نفس عليّ بيده ، إن كان الرجل الواحد ، لياً كل جميع ما قدمتُ لجميعهم .

(١) البهقي : فاصنع لنا ، يا علي ، صاعاً من طعام ، وأعد لنا عس لبن .

(٢) البهقي : حذية .

(٣) العس : القدح الضخم .

ثم قال : اسق القوم .

فجئت بذلك العسّ فشربوا منه ، حتى رووا جميعاً .

وايم الله ، إن كان الرجل الواحد منهم ، ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بدّره (١) أبو هب إلى الكلام فقال : سحركم صاحبكم .

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الغد .

يا على ، إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول ، فأعدّ لنا من

الطعام مثل ما صنعت ، ثم اجمعهم لي .

فقمتم وجمعهم ، فأكلوا وشربوا .

ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً من العرب ، جاء قومته ،

بأفضل مما قد جئتمكم به ، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني

ربي أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ؟

فأحجم القوم فقلت ، وأنا أحدثهم سنّاً ، أنا يا نبي الله .

فقام القوم يضحكون (٢) .

(١) أى : سبقه .

(٢) هذا الخبر رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق عن شيخ أبيهم اسمه عن عبد الله بن الحارث . ورواه أبو جعفر بن جرير بطريق تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعي ، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون . وروى نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره . وروى نحوه الإمام أحمد في مسنده .

الباب السادس عشر

في ذكر عموم رسالته

عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة .
وفي الباب عن علي ، وأبي ذر ، وأبي موسى ، وأبي أمامة ، وأبي هريرة
وعبد الله بن عمرو . وستأتي هذه الأحاديث .

الباب السابع عشر

في ذكر إرساله إلى الجن صلى الله عليه وسلم

عن جابر قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن
فدا فرغ قال : « مالي أراكم سكوتاً ؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً ،
ما قرأت عليهم (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلا قالوا : ولا بشيء من
نعمتك ربنا ، نُكذِّبُ ، فلك الحمد .

• عن ابن مسعود قال :

انطلق النبي صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي معه حتى أتى بي ، إلى
البراز ، ثم خطَّ لي خطاً ، ثم قال :

لا تبرح ، حتى أرجع إليك فما جاء ، حتى السحر ، فقال :
أُرْسِلْتُ إلى الجن .

قلت : فما هذه الأصوات التي أسمعها ؟

قال : هذه أصواتهم ، حين ودَّعوني ، وسلَّوا عليّ .

الباب الثامن عشر

في كونه خاتم النبيين

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ختم
بي النبيون » .

• عن سعد بن أبي وقاص قال : خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب في غزاة تبوك ، فقال :

يا رسول الله ، تخلفني في النساء والصبيان ؟

قال : أما ترضى أن تكون مني ، بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه

لا نبي بعدي .

أخرجاه (١) .

• عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا خاتم

النبيين لا نبي بعدي » .

انفرد بإخراجه مسلم .

(١) يعنى : البخارى ومسلم .

الباب التاسع عشر

في ذكر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أذى الكفار وهو صابر

- عن ابن عباس : أن الملائكة من قريش اجتمعوا في الحجر . فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأينا محمداً قننا إليه قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله .
- قال : فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكي ، حتى دخلت على أبيها صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هؤلاء الملائكة من قومك في الحجر ، قد تعاقدوا أن لو رأوك ، قاموا إليك ، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك .
- قال : يا بنية ، أرني وضوءاً .
- فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا ، هذا هو . فخفضوا أبصارهم ، وعقروا في مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه أبصارهم ، ولم يقيم منهم رجل .
- فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم .
- فأخذ قبضة من تراب ، فخصبهم بها . وقال : شأنت الوجوه .
- قال : فما أصاب رجلاً منهم حصاةً ، إلا قتل يوم بدر كافراً .
- عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أظأ على رقبتيه .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو فعل ، لأخذته الملائكة عياناً » .

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟

قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر .

فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط .

سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب

آلهتنا ، لقد صبرنا منه على عظيم .

فبينما هم على ذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت .

فلما مرَّ بهم ، غمزوه ببعض ما يقول .

قال : فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى .

فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه .

ثم مضى فرَّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال :

تسمعون معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح !

فأخذت القومَ كلمته ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر

واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ، يترضاه بأحسن ما يجد من

القوم حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فواش

ما كنت جهولاً .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم فقال بعضهم لبعض :
ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه .

حتى إذا ناداكم بما تكروهون ، تركتموه !

فبيناهم على ذلك ، طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة
رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون له :

أنت الذي تقول كذا وكذا ؟

لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم .

قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم أنا الذي قلت ذلك » .

قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداؤه .

قال : وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي :

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغوا منه قط .

● عن عمرو ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : أكثر ما نالت

قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : فرأيت عيني عثمان
ذرفتا من تذكر ذلك !

قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده

في يد أبي بكر ، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس .

عقبة بن أبي مُعَيْط ، وأبو جهل ابن هشام ، وأممية بن خلف .

فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما حاذاهم ، أسمعوه بعض ما يكره .
فعرفت ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم .
فدنوت منه ، حتى كان بيني وبين أبي بكر .
فأدخل أصابعه في أصابعي ، حتى طفنا جميعا .
فلما حاذاهم قال أبو جهل :
والله لا نصالحك ، ما بلّ بجر صوفة ، وأنت تنهانا أن نعبد ما يعبد
آباؤنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ذلك .
ثم مضى عنهم ، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك .
حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه .
فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه ، فدفعت في صدره ، فوقع
على أسته .

ودفع أبو بكر أمية بن خلف .
ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط .
ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف ثم قال لهم :
أما والله ، لا تنتهون ، حتى يحلّ عقابه عاجلا .
قال عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه الخوف ، وجعل يرتعد .
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بنس القوم أنتم ،
لنبيكم » .

ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ، فوقف على السدة

ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال :
أبشروا ، فإن الله عز وجل مُظهِرٌ دِينِهِ ، ومتممٌ كَلِمَتِهِ ، وناصرٌ نَبِيِّهِ ،
إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً .
ثم انصرفنا إلى بيوتنا .

فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله عز وجل بأيدينا !
• عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال لي الزبير بن العوام :
لقد رأيتُ اليومَ عَجَباً !
رأيتُ نفراً من المشركين جلوساً حول الكعبة ورؤسهم أبو جهل
ابن هشام .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يتآمرون بمناهضته .
فوقف عليهم وقال :
قُبِّحْتُمْ وقبح صاحبكم .
فكأنهم خرسوا ، ما فيهم أحد يتكلم ، ولا يقوم .
ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم ، وهو يمدو في أثره يعتذر إليه
ويقول كُفَّ عَنَّا ، ونكف عنك .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أكف عنك ، حتى تؤمن
بالله ، أو أقتلك .

قال : وأنت تقدر على قتلي ؟ !
قال : الله يقتلك ، ويقتل هؤلاء .
فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين .

• عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :
أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة ، إذ أقبل عُقبة
ابن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولوى ثوبه
في عنقه ، فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر ، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال :

أتقتلون رجلاً ، أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم !!
• عن عبد الله قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا
على قريش غير يوم واحد .

فإنه كان يصلي ، ورهطاً من قريش جلوس ، وسلا جزور^(١) قريب
منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلا ، فيلقيه على ظهره ؟
قال : فقال عقبة بن أبي معيط : أنا . فأخذه ، فألقاه على ظهره .
فلم يزل ساجداً ، حتى جاءت فاطمة ، فأخذته عن ظهره .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك الملائمة من قريش ،
اللهم عليك بعقبة ، اللهم عليك بشيبة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ،
اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف ، أو أمية

(١) قال في المصباح : « السلى » وزان « الحصى » الذى يكون فيه الولد
والجمع أسلاء مثل سبب وأسباب اه ، وفي الصحاح « السلا » مقصور : الجلدة
الرفيعة التى يكون فيها الولد من المواشى ، إن نزعته عن وجه الفصيل ساعة يولد ،
وإلا قتلتها اه والمراد هنا : كرش الناقة .

ابن خلف . قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سجدوا إلى القليب ، غير أبي أو أمية (١) فإنه كان رجلاً ضخماً ، فتنقطع .

• عن ابن إسحاق : لما أجمع المشركون على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منعه عنه أبو طالب .

فشي جماعة من أشرفهم كعتبة ، وشيبة وأبي جهل ، إلى أبي طالب فقالوا :

إن ابن أخيك ، قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا .

فإما أن تكفه عنا ، وإما أن نخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فكفنيكه .

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، فشرى الأمر (٢) بينه وبينهم ، فخصَّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم عادوا إلى أبي طالب فقالوا : لا نصبر على هذا .

فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فلا تحصِّلني من الأمر ، مالا أطيق .

(١) ردد المؤلف بين أمية وأبي ، تبعاً للبخارى في بعض رواياته . والصواب - كما ذكر الزرقاني - أنه أمية ، وهو ما أطبق عليه أصحاب المغازي ، لأنه هو المقتول بيدير .

وأما أخوه أبي ، فإنه قتل بأحد . انظر شرح المواهب ١/٢٥٣ .

(٢) شري : اشتد .

فقال : يا عمّاه ، والله ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ،
على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه !

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام .

فلما ولي ، ناداه أبو طالب : أقبل إلي يا ابن أخي . فأقبل .

فقال : اذهب ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسئلك لشيء أبداً .

فبدأت الحرب ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، يعذبونهم

ويفتنونهم عن دينهم .

وقام أبو طالب في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى المنع عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم .

وكانوا إذا صلوا ذهبوا إلى الشُّعاب يستخفون من قومهم ، فقاتلهم ،

فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحى جهل ، فشججه .

فكان أول دم أريق في الإسلام .

• عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب . فأتاه رسول الله صلى الله

عليه وسلم يعود ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبو جهل ، وقعد فيه .

قالوا : إن ابن أخيك يقع في آلمتنا .

قال : ما شأن قومك يشكونك ؟

قال : يا عم أردتهم على كلمة واحدة ، تدين لهم العرب ، ويؤدى العجم

إليهم الجزية .

قال : ما هي ؟ قال : لا إله إلا الله .

فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟

ونزل : « ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ » فقرأ حتى بلغ « إِنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ عَجَابٌ » .

الباب العشرون

في ذكر ما روى عن إيمان أكنم بن صيفي
برسول الله صلى الله عليه وسلم : لما بلغه خروجه

• عن ابن عمير قال : بلغ أكنم بن صيفي مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبى قومه أن يدعوه .

فقال : من يبلغني عنى ويبلغني عنه ؟

فانتدب رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا :

نحن رُسل أكنم بن صيفي ، وهو يسألك من أنت ، وما أنت ،
ويم جئت ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا محمد بن عبد الله ، وأنا عبد الله
ورسوله ، ثم تلا عليهما (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْقَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... الآية) .

فقالا رُدِّ علينا هذا القول فرده عليهم حتى حفظوه .

وأتيا أكنم فقالا : سألناه عن نسبه ، فوجدناه واسط النسب في مضر ،
وقد رمى إلينا كلمات .

فلما سمعهم أكنم قال : يا قوم ، أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى
عن ملامها ، فكونوا في الأمر رموسا ، ولا تكونوا أذنابا ، وكونوا فيه
أولا ، ولا تكونوا آخرا .

فلم يلبث أن حضرته الوفاة .

فقال أكنتم : وَيَلُّ الشَّجِيَّ مِنَ الْخَلِيِّ^(١) ، يَا لَهْفَ نَفْسِي^(٢) عَلَى أَمْرٍ
لم أدركه ولم يُفْتِنِي .

ما آسى عليك^(٣) بل على العامة .

يا مالك ، إن الحق إذا قام ، دفع الباطل .

فتبعه مائة نفس ، وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان في بعض الطريق ، عمد حُبَيْش إلى رواحلهم ففجرها ، وشقَّ
ما كان معهم من مزادة وهرب ، فَجَهَدَ أكنتم العطش^(٤) ، فأت وأوصى
من معه ، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أنه أسلم .

فأنزل فيه : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ »^(٥) .

(١) قال في المختار من الصحاح « الشَّجُوُّ » أَلْهَمُ وَالْحَزْنُ وَقَدْ شَجَاه :

حَزَنَهُ ، وَبَابُهُ « عَدَا » وَأَشَجَاه : أَغْصَهُ . وَتَقُولُ مِنْهُمَا جَمِيعًا : شَجِيَّ ، مِنْ بَابِ

« صَدَيْ » وَمِثْلُهُ فِي الْمَصْبَاحِ وَالْمِرَادُ هُنَا : وَيَلُّ لِلْمَعْتَلِّ حَزْنَا مِنَ الْخَالِي مِنْهُ .

(٢) أَى : يَا حَزَنَ نَفْسِي . قَالَ فِي الْمَخْتَارِ مِنَ الصَّحَاحِ : لَهْفَ أَى حَزَنَ وَتَمَحَّرَ

وَكَذَا التَّلَهَّفَ عَلَى الشَّيْءِ . وَالْمَلْهُوفُ الْمَظْلُومُ يَسْتَمِثُّ . وَاللَّهْفُ : الْمَضْطَرُ . وَاللَّهْفَانُ :

الْمَتَحَصِّرُ . وَفِي الصَّحَاحِ : وَقَوْلُهُمْ يَا لَهْفَ فُلَانٍ كَلِمَةٌ يَتَحَصَّرُ بِهَا عَلَى مَا فَاتَ .

وقول الشاعر :

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بَلَّهْفَ وَلَا بَلَيْتَ وَلَا لَوَانِي

أراد « لهفاه » فحذف .

(٣) أَى : مَا أَحْزَنَ عَلَيْكَ . قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ وَأَسَى أَسَىٍّ مِنْ بَابِ تَعَبٍ : حَزَنَ :

فَهُوَ أَسَىٌّ مِثْلُ حَزِينٍ وَفِي الْمَخْتَارِ مِنَ الصَّحَاحِ أَسَىٌّ عَلَى مَصِيبَةٍ مِنْ بَابِ صَدَى أَى :

حَزَنَ . وَقَدْ أَسَىَّ لَهُ . أَى حَزَنَ لَهُ .

(٤) أَى اشْتَدَّ عَطْشُهُ إِلَى النِّهَايَةِ . (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ : آيَةٌ ١٠٠

الباب الحادي والعشرون

في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
بالخروج إلى أرض الحبشة

وقال : إن بها مَدَكًا لا يُظلم الناس ببيلاده ، فمَجَرَّزُوا (١) عنده ، حتى
يأتيكم الله بفرَج منه .

فخرج جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم .

والذين خرجوا إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة .

وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة ، من حيث نَبِيُّ رَسولِ الله

صلى الله عليه وسلم .

وخرجت قريش في آثارهم ، فقاتوهم .

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة « النجم » وسمعوا : « تلك

الغرائق المَلَى » وإنما قالها بعض الشياطين (٢) لا أنها جرت على لسان

(١) قال في الصحاح : الحرز : الموضع الحصين . واحترزت من كذا وتحترزت ،

أى : توقيته اه باختصار . أى : كونوا آمنين وحافظين أنفسكم عنده .

(٢) قصة الغرائق باطلة لا تستند إلى أصل صحيح ، كما بين ذلك القاضي

عياض في كتاب الشفاء والزرقاني في شرح المواهب . قلت وقد زيف هذه القصة

أيضاً الإمام محمد عبده . ونشرها السيد محمد رشيد رضا .

كما ألف محدث هذا العصر محمد ناصر الدين الألباني رسالة أسماها « نصب

المجانيق لنسف قصة الغرائق » جواباً لسؤال وجهه إليه بعض علماء الباكستان جمع

فيها جميع الروايات وخرجها تخریجاً علمياً ، أشبع فيها القول بما لم يسبق إليه وبما

لا مزيد لمستزيد ، وقد طبعت بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ل ١٩٥٢ م فهي

جديرة بأن يقرأها كل من يحرص على سلامة إيمانه . محمد زهرى النجار

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سجد في السورة ، سجد المشركون معه ،
ورفع الوليد كفاً من تراب إلى جبهته .

فبلغ ذلك أهل الحبشة ، فقالوا : إذا كانوا قد آمنوا ، فلنرجع إلى
عشائربنا . فرجعوا .

فلقبهم رَكْبٌ (١) فسألهم ، فقالوا : ذكر محمد آلمتكم فبايموه ، ثم عاد
عن ذكرها ، فعادوا له بالشر .

فلم يدخل أحد منهم إلا بجوارٍ ، إلا ابن مسعود ، فإنه مكث قليلاً ،
ثم رجع إلى أرض الحبشة .

فَسَطَّتْ (٢) بهم عشائرم وآذوم ، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الخروج مرة أخرى ، فخرجوا ، وخرج معهم خلق كثير .

قال ابن إسحاق : جميع من لحق بأرض الحبشة سوى أبنائهم الذين
خرجوا معهم صفاراً أو ولدوا بها : نَيْفٌ وثمانون رجلاً ، إن كان عمار
ابن ياسر منهم .

وقال الواقدي : كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً ، ومن النساء إحدى عشرة
قُرْشِيَّةً ، وسمع غرائب .

• عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ،
جمعتُ رجلاً من قريش كانوا يرون مكاني ، ويسمعون مني .

فقلت لهم : تعلمون والله ، إني لأرى أمرَ محمد يعلو الأمورَ علواً
مُنْكَرًا ، وإني قد رأيت رأياً ، فاترون فيه ؟

(١) ركب جمع راكب ، أى جماعة من المسافرين .

(٢) سَطَّتْ بهم : جطت بهم ، ووثبت عليهم .

قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيتُ أن نلحق بالنجاشي ، فنكون عنده .
فإن ظهر محمد على قومنا ، كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت
يده ، أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد .

وإن ظهر قومنا فنحن ممن عرفنا ، فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا الرأي .

قلت : فاجمعوا ما نُهدِي له ، وكان أحبَّ ما يُهدَى إليه من أرضنا
الأدم (١) فجمعنا له أدمًا كثيرًا .

ثم خرجنا حتى قدّمنا عليه .

فوالله إنا لعنده ، إذ جاء عمرو بن أمية الضمري .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده .

قال : قلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلتُ على النجاشي

لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعأتُ ذلك ، رأيت قريش أتي قد

أجزأتُ عنها حين قتلتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبًا

بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئًا ؟

قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدمًا كثيرًا .

قال : ثم قدّمته إليه فأعجبته واشتراه ، ثم قلت :

أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً قد خرج من عندك ، وهو رسولُ رجلٍ

عدوّ لنا ، فأعطنيهِ لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

(١) الأدم بفتحين : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد أو أحمره ، أو مدبوغه .

قال : فغضب ثم مدَّ يده ففُضِرِبَ أنفه ضربة ، ظننت أنه قد كسره ،
فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً^(١) منه .

فقلت^(٢) : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه .

قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر ، الذي
كان يأتي موسى لثقتله ؟ !

قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ !

قال : ويحك يا عمرو ! أظنني وأتبعه ، فإنه ، والله ، لعلى الحق ،
ويظهورنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم .

فبسط يده ، فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي
إسلامي ثم خرجت عامداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت^(٣) .

• عن ابن مسعود قال : بَعَثْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
النجاشي ومُحْمٍ نحوَّ من ثمانين رجلاً ، وبعثت قريش ، عمرو بن العاص ،
ومُحَارَةَ بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشي ، سَجَدَا له ثم قالَا : إن نفرأ من بني عمنا ،
نزلوا بأرضك ورَغِبُوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالَا : في أرضك .

(١) فرقاً : أى خوفاً منه .
(٢) ذكر ابن هشام بقية الخبر وفيه ، أنه لقي خالد بن الوليد ، واتفقوا على
الذهاب إلى المدينة ، ليسلما .
(٣) ابن هشام : ثم قلت .

فيبت إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، إن الله تعالى بعث إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا ألاّ نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم .

قال : ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟

قالوا : نقول كما قال الله : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمّسها بشر ولم يقرعها ذكر (١) .

قال : فرجع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والتيسين والرهبان ، والله ما تزيدون على الذي يقول فيه ، ما يساوى هذا .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذي نجد في الإنجيل ، وإنه الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم .

والله لولا ما أنا فيه من الملك ، لأنته حتى أكون أنا أحمل نعليه .

وأمر بهدايا الآخرين ، فردّت إليهم .

(١) مسند أحمد وسيرة ابن كثير : ولم يفرضها ولد . أي لم يؤثر فيها ولد ولم يجزها قبل المسيح .

الباب الثاني والعشرون

في ذكر ما كتبه المشركون من التبرّي من بني هاشم وبني المطلب

ثمّ ادفع بنو هاشم وبنو المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجتمعت قريش وكتبوا كتاباً تعاهدوا فيه ألاّ يَنكحوا إلى بني هاشم
وبني المطلب ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم ولا يتاعوا منهم .

وكان ذلك في سنة سبع من النبوة .

وعلّقوا ذلك الكتاب في جوف الكعبة توكيداً للأمر .

فلما فعلوا ذلك ، انحاز بنو هاشم (١) وبنو المطلب إلى أبي طالب ،
فدخلوا عليه في شعبه (٢) ، وخرج منهم أبو لهب ، وظاهر (٣) المشركين .

فأقاموا على ذلك ثلاث سنين وقطعوا الميرة والمادة عنهم (٤) ،
فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغهم الجهد (٥) .

وكان هشام بن عمرو بن ربيعة يُدخِل إليهم أحمالَ طعام ويكتم ذلك .

ثم نُقِض حُكْم الصحيفة المكتوبة ، وفي سبب نقضه قولان :

(١) انحاز بنو هاشم . أي : انضموا .

(٢) أي : في أرضه الواقعة بين جبلين ، قال في الصحاح : الشب بالسسر
الطريق في الجبل ، وفي القاموس : الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن أرض
أو ما اخرج بين الجبلين . (٣) ظاهر المشركين . أي : عاونهم .

(٤) أي قطعوا عنهم الطعام ولو ازم الحياة .

(٥) أي : بلغت بهم المشقة نهايتها .

أحدهما : أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صحيفتهم
وأن الأرضة (١) قد أكلت ما كان فيها من جوز وظلم ، وبقى ما كان من
ذكر الله .

فذكر ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب .
فقال أبو طالب : أحق ما تخبرني به يا ابن أخي ؟ قال : نعم ،
والله ياعم .

فذكر ذلك أبو طالب لأخويه ، وقال : والله ما كذبني قط .
قالوا : فاترى ؟

قال : أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم ، وتخرجوا إلى قریش ، فذكر لهم
ذلك من قبل أن يبذلهم الخير .

فخرجوا حتى دخلوا المسجد ، فقال أبو طالب :
إنا قد جئنا في أمر فأجيبوا فيه .

قالوا : مرحباً بكم وأهلاً .

قال : إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط ، أن الله تعالى سلط
على صحيفتكم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيها من جوز ، أو ظلم ،
أو قطعة رحم ، وبقى فيها كل ما ذكر به الله تعالى .

فإن كان ابن أخي صادقاً ، نزعتم عن سوء رأيكم .

وإن كان كاذباً ، دفعتمه إليكم فقتلتموه ، أو استحيتتموه إن شئتم .

(١) قال في المختار من الصحاح ، الأرضة : بفتح الراء والضاد . دويبة
تأكل الخشب .

قالوا : قد أنصفتنا .

فأرسلوا إلى الصحيفة ، فلما فتحوها ، إذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقط (١) في أيدي القوم ، ثم نكسوا على رؤوسهم .

فقال أبو طالب : هل تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقسمة .

فلم يراجعه أحد منهم . ثم انصرفوا .

رواه محمد بن سعد ، عن أشياخ له .

والثاني : أن هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، مشى إلى زهير بن

أبي أمية بن المغيرة ، فقال :

يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب وتكح النساء
وأخوالك حيث قد علمت ، لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا يئتكحون
ولا يئتكح إليهم !

أما إني أحلف بالله ، لو كان أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته
إلى مثل ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ ! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان
معى آخر لقت في نقضها .

قال : قد وجدت رجلاً . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال ابغنا (١) نائلاً .

فذهب إلى المطعم بن عدى ، فقال له :

يا مطعم ، أرضيت أن تهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت موافق

لقريش في ذلك !

(١) سقط . بالبناء للجهول ، أى : ندم . (٢) ابغنا . أى : اطلب لنا .

قال : ويحك ماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : قد وجدتَ ثالثاً . قال : من هو ؟ قال زهير بن أمية .

قال : ابقنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام فقال له نحواً مما قال للمطعم بن

عدي ، فقال :

وهل من أحد يُعين على هذا ؟

قال : نعم زهير ، والمطعم ، وأنا معك .

قال : ابقنا خامساً .

فذهب إلى زَمْعَةَ بن الأسود فكلّمه . فقال : وهل على هذا الأمر أحد ؟

قال : نعم . فسعى له القوم .

فأتعدوا واجتمعوا ، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينتهضوها .

فعدا زهير فطاف ثم قال :

يا أهل مكة ، إنا نأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ،

وبنو هاشم هلكي ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة .

فقال أبو جهل : كذبت والله لا تُشَق .

فقال زَمْعَةُ : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كُتبت .

فقال أبو البختريّ : صدق زَمْعَةُ ، لا نرضى ما كتبت فيها ولا نقرّ به .

فقال المطعم : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها

وما كتبت فيها .

وقال هشام بن عمرو ، نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِيَ (١) بلبيل ، وتُشور فيه بغير هذا المكان .

فقام مطعم إلى الصحيفة ليشتمها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من « باسمك اللهم » .

وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم ، فشلت يده .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر (٢) وهو بمنى :

« نحن نازلون غداً بِخَيْفِ (٣) بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر .
يعنى بذلك ، المحصب .

وذلك أن قريشاً وكنانة ، تحالفوا على بنى هاشم وبنى المطلب ، ألا يتناكحوا ولا يبايعوا ، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أى : دُبِّرَ .

(٢) فى البخارى ١٨٦/٢ : حين أراد حنيننا .

(٣) قال فى الصحاح : الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل

الماء ، والمراد هنا : اسم موضع لبنى كنانة مرتفع عن مسيل الماء .

الباب الثالث والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى عليه وسلم
مع ضَمَادِ الأَزْدِيِّ الوافد

• عن ابن عباس : أن ضَمَاداً قَدِمَ مَكَّةَ وكان من أَزْدِ شَبْوَةَ ، وكان
يَرِيقُ من الرِّيحِ (١) ، فسمع سفهاء أهل مَكَّةَ يقولون : إن محمداً مجنون .
قال : لو أني رأيتُ هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي !
قال : فأنتبه فقلت : يا محمد إني أرقى من الرِّيحِ (١) وإن الله يشفي على
يدي من شاء ، فهل لك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ،
من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » .
فقال : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هؤُلاءِ .

فأعادهن عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال :
لقد سمعتُ قولَ الكهنة والسَّحرة والشُّعراء ، فما سمعتُ مثلَ كَلِمَاتِكَ
هؤُلاءِ ولقد بلغتُ قاموس (٢) البحر ، هات يدك أبايكم على الإسلام .
فبايعه .

(١) ابن كثير « من هذه الرياح » .
(٢) قاموس البحر : أبعد مكان فيه غورا . قال في المختار من الصحاح :
قاموس البحر : وسطه ومعظم الماء فيه . ومثله في سائر المعاجم . وفي ابن كثير : ولقد
بلغن قاموس البحر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ؟

قال : وعلى قومي .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً ، فرؤا بقومه .

فقال صاحب الجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟

قال رجل : أصبت منهم مظهرةً (١) .

قال : ردّها ، فإن هؤلاء قوم ضمّاد .

(١) المظهر : البعير الذي هجمته الظهيرة .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة

• عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلّمه ، فلينظر ماذا يردُّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً ، غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : ائنه يا أبا الوليد . فأناه عتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت . ثم قال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبتنا .

وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك .
ما رأينا سخلة^(١) أشأم على قومه منك .

فرقت جماعتنا وشئت أمرنا ، وفضحتنا في العرب .
حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش كاهنا .
والله ما ننظر إلا مثل صبيحة الجبلي أن يقوم بمضنا لبعض بالسيوف ، حتى تقتلنا .

(١) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمز ساعة تولد .
يريد : ما رأينا مولوداً أحسن على قومه منك .

أيها الرجل إن كان ما بك الباه فاختر أي نساء قريش فلنزوجك
عشرا، وإن كان ما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى
قريش رجلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغت ؟ قال : نعم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَمَّ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيراً ونذيراً » .
حتى قرأ : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ قَادٍ
وَتَمُودٍ (سورة فصلت من ١ إلى ١٣) » .

فقال له عتبة : حسبك ، فما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش ، فقالوا له : ما وراءك ؟

قال : ما تركتُ شيئاً ، أرى أن تكلموه به إلا وقد كلمته .

قالوا . فهل أجابك ؟ قال : نعم .

قال : لا والذي نَصَبَهَا بِنَيْبَةٍ (١) ما فهمت مما قال غير أنه قال :

« أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودٍ » .

قالوا : وبلك ! يكلمك بالعربية ، ولا تدري ما يقول !

قال : والله ما فهمت شيئاً مما قال ، غير ذكر الصاعقة !

(١) بنية . يريد : الكعبة .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر ما أشار به الوليد على قريش في أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم

• عن سعيد بن جبير ، أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسم .

فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً ، نقل به .

قال : بل أنتم ، فقولوا واضموا .

قالوا : نقول إنه كاهن .

قال : ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمتهم

ولا سجنهم .

قالوا : نقول إنه مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بمجنفه

ولا تخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول إنه شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه ، وهزجه ، ومقبوضه ،

ومبسوطه ، فما هو بالشاعر .

قالوا : فنتول : ساحر .

قال : ما هو ساحر ، لقد رأينا السحار وسِحْرهم ، فما هو بِنَفْثته ولا عَمَدته .

قالوا : فما نقول ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لَعْدَقُ (١) ، وإن فرعه لَجَنَاةُ (٢) وما أتم بقائلين من هذا شيئاً ، إلا عُرِفَ أنه باطل .

وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : هذا ساحر ، يفرِّق بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرَّقوا عنه بذلك .

● عن عمرو ، أن الوليد بن المغيرة قال : قد سمعت الشعر ، رجزه وقريضه ، فما سمعت مثل هذا ، يعني القرآن ، ما هو بشعر .

إن عليه لَطَلَاوة (٣) ، وإن له لَنُوراً ، وإِنَّه يعلو وما يُعَلَى .

● عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأناه فقال :

أى عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : ولم ؟

قال : ليمطوكه ، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما نقوله (٤) .

قال : قد علمت قريش ، أنى من أكثرها مالا .

(١) العدق : النخلة : يشبهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوى ، وطاب فرعها إذا جنى وفي الأصل : لمدق . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الجناة : ما يجنى من الشجر .

(٣) أى : حسن وبهجة .

(٤) ابن كثير : تعرض لما قبله .

قال : فقل له قولاً يَبْلُغُ قَوْمَكَ ، أنك مُنْكَرٌ لما قال ، وأنتَ كاره له .

قال : وماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم أعلم بالأشعار مني .

والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله لَحَلَاوَةٌ وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمُثَمَّرٌ أعلاه ، مُنْذِقٌ (١) أسفله ، وإنه لِيَخْطُلُ ما تحته ، وإنه لِيَعْلُو ما يُعْلَى .

فقال : والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه .

قال : فدعني حتى أنظر إليه .

قال : فلما فَكَّرَ قال : هذا سحرٌ يؤثر . أي : يَأْثُرُهُ (٢) عن غيره .

فنزّل فيه : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً » (٣) .

(١) غضب . كافي أساس البلاغة .

(٢) يَأْثُرُهُ : يرويه .

(٣) سورة اللذتر . الآية - ١١

الباب السادس والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الطفيل بن عمرو

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يَرَى
من قومة يَبْذُل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة [مما هم فيه] (١) وجعلت
قريش حين منعه الله منهم ، يَحذِّرون الناسَ وَمَنْ قدم عليهم من العرب .
وكان الطفيل بن عمرو الدؤسي ، يحدث أنه قدم مكة ، ورسولُ الله
صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً
شريفاً شاعراً لبيباً .

فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدِمْتَ بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين
أظْهُرنا ، قد أَعْضَلَ بنا ، وفَرَّقَ جماعتنا .

وإنما قوله كالسحر ، يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين
أخيه ، وبين الرجل وزوجته .

وإنما نَحَشِي عليك وعلى قومك ، ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه
ولا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بي ، حتى أجمعتُ على ألا أسمع منه شيئاً
ولا أكلمه ، حتى حشوتُ أُذُنِي حين غَدوت إلى المسجد كَرْسُفاً (٢) ،

(١) من ابن هشام . (٢) الكرسف : القطن .

فَرَقًا (١) من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .
قال : فعدوتُ إن المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ
يصلِّي عند الكعبة .

قال : فتمت قريباً منه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله .

قال : فسمعتُ كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي : واأكلُ أمي !

والله ، إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من التبيح ، فما يعنى
من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟

فإن كان الذي يأتي به حسناً ، قَبِلْتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركته .

قال : فكنت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته .

فاتبعته حتى دخلت عليه ، فقلت :

يا محمد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا . للذي قالوا .

فوالله ما برحوا يخونوني (٢) أمرك حتى سددت أذني بكرسُف ،
لئلا أسمع قولك .

ثم أبى الله إلا أن يُسمعني (٣) ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فأعرض
على أمرك .

قال : فعرض على الإسلام وتلا على القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً
قط ، أحسن ، ولا أمراً أعدل منه .

قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله ، إني امرؤ

(١) فرقاً . أمي : خوفاً . (٢) في النسخ : يخونوني . وهو تحريف .

(٣) ابن هشام : يسمعني قولك .

مُطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آية ، لتكون لي عوناً عليهم فيما أَدْعُوهم إليه .

قال : فقال « اللهم اجعل له آية » .

قال : فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بِدَنْيَّة (١) تُطِئني على الحاضر

وقع نورٌ بين عينيّ مثل الصباح .

قال : فقلت : اللهم اجعله في غير وجهي ، فإنني أخشى أن يظنوا أنها

مُشَلَّةٌ وقعت في وجهي ، لفراقِ دينهم .

قال : فتحوّل ، فوقع في رأسِ سَوطي .

فجعل الحاضرون يترآؤون ذلك الغور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا

أنهبطُ إليهم من الثنية .

قال : حتى جئتهم فأصبحتُ فيهم .

فلما نزلتُ ، أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً .

قال : فقلت : إليك عني (٢) يا أبت ، فلستُ منك ولستَ مني .

قال : ولم أي بني ؟

قال : قلت : أسلمتُ وبايعتُ محمداً صلى الله عليه وسلم (٣) .

قال : أي بني ، فدبني دينك [قال : فقلت فاذهب فاغتسل وطهر

ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال : فذهب] (٤) فاغتسلَ وطهرَ ثيابه

ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين .

(٢) إليك عني . أي : ابتعد عني .

(٣) ابن هشام « وتابعت دين محمد » . (٤) ما بين القوسين من ابن هشام .

قال : ثم أتتني صاحبتى فقلت لها : إليك عني ، فاستمعت منك ولست مني .

قالت : ولم ، بأبي أنت وأمي ؟!

قال : قلت : فرّق بيني وبينك الإسلام . فأسلت (١) .

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليّ .

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا نبي الله ، إنه قد غلبتني دؤس ، فادع الله عليهم :

قال : « اللهم اهدِ دوساً ، ارجع إلى قومك ، فادعهم ، وارفق بهم » .

قال : فرجعت فلم أزل بأرض دوس ، أدعوم إلى الإسلام ، حتى هاجر

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقضى (٢) بدرأ ، وأحدأ ، وانخندق .

ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين

بيتاً من دؤس (٣) .

(١) اختصر ابن الجوزي هنا ، فلم يذكر ما دار بينه وبينها حتى أسلمت ، وهو

مذكور في ابن هشام جزء ٢ ص ٢٤ .

(٢) قضى . أى : انتهى من هذه النزوات الثلاث .

(٣) لم يذكر المؤلف بقية خبر الطفيل حتى موته . وهو في ابن هشام .

الباب السابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع أبي طالب عند موته

• عن سميد بن المسيّب قال : لما احتضر أبو طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا عم ، إنك أعظم الناس عليّ حقاً ، وأحسنهم عندي يداً ، ولأنت أعظم عليّ حقاً من والدي ، فقل كلمة تجب لك بها الشفاعة يوم القيامة ، قل : لا إله إلا الله » .

فقال له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال : أنا على ملة عبد المطلب ومات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأستغفرنّ لك ، ما لم أنه عنك .

فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ » إلى قوله : « حلیم » (١) .

• عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه : « قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها عند الله يوم القيامة » .

قال : لولا أن تُعيرني قريشٌ فيقولون : إنما حمله على ذلك الجَزَع ،
لأقررتُ بها عينك .

فأنزل الله عز وجل : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » (١) .
انفرد بإخراجه مسلم .

وهكذا روى لنا الجَزَع - بالجيم والزاى - وأهل اللغة ينكرون ذلك .
قال ثعلب : إنما الخُرَج - بالخاء والراء - وهو الضعف والخور .

• عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر المُدَرِي قال : قال أبو طالب :
يا ابن أخي ، لولا رهبة أن تقول قريش وهَرَانِي (٢) الجَزَع ، فيكون
سَبَّةً عليك وعلى بني أبيك ، لفعلت الذي تقول ، وأقررت بها عينك ، لِمَا
أرى من شكرك وَوَجْدِكَ بِي ، ونصيحتك لِي .

ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ، ما سمعتم من
محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اتبعتم أمره ، فاتبعوه وأعينوه ، تَرَشُّدُوا .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ تأمرهم بها ، وتدعها لنفسك ؟!
فقال أبو طالب : أما إنك لو سألتني الكلمة وأنا صحيح ، لبايعتك
على الذي تقول .

ولكن أكره أن أجزع عند الموت ، فترى قريش : أنى أخذتها جَزَعًا ،
ورددتها في صحتي .

• عن عليّ قال : أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بموتِ أبي طالب
فبكي ، ثم قال : « اذهب فاغسله وكفنه ، وادفنه غفر الله له ورحمه » .

(٢) وهرنى : أضغنى .

(١) سورة القصص ٥٦

قال : ففعلت .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته ، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ » الآية .

قال علي : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت .

• عن علي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : إن عمك الشيخ الضال مات . قال : اذهب ، فواره ، ولا تتحدث شيئاً حتى تأتيني . فأتيته فقلت له ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعاني بدعوات ما يسرني ، ما عرض بهن من شيء .

• عن ابن عباس قال : عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحيم ، وجزاك الله خيراً ، يا عم .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا رسول الله ، عمك أبو طالب ، كان يفضلك ويمنعك ، هل ينفعه ذلك ؟

قال : نعم هو في صحاح من نار ، ولولا أنا ، لكان في الدرك الأسفل من النار .

أخرجاه في الصحيحين .

• عن محمد بن كعب القرظي قال : بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه الذي قبض فيه قالت قريش :

يا أبا طالب ، أرسل إلى ابن أخيك ، فيرسل إليك من هذه الجنة ، التي يذكر ، بشيء يكون لك شفاء .

قال : نفرج الرسول حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر معه جالس ، فقال :

يا محمد عمك يقول لك : يا ابن أخي ، إني كبير ضعيف سقيم ، فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها ، بشيء يكون لي فيه شفاء .

قال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين .

فارجع إليهم فأخبرهم . فقال :

قد بلغت محمداً الذي أرسلتموني ، فلم يُجز لي شيئاً .

قال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين ، فسكت محمد .

فحملوا أنفسهم عليه ، حتى يرسل رسولا من عنده ، فوجد الرسول في مجلسه . قال : فقال له مثل ذلك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله حرمها على الكافرين ، طعامها ، وشرابها .

ثم قام في أثر الرسول حتى دخل معه البيت ، فوجده مملوءاً رجالاً فقال : خلوا عن عمي .

فقالوا : ما نحن بقاعلين ، وما أنت بأحق به منا ، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك .

فجلس إليه فقال : يا عم جزيت خيراً ، كسفتني صغيراً ، وحضنتني كبيراً ، فجزيت عنى خيراً يا عماء ، أعيتني على نفسك بكلمة واحدة ، أشفع لك بها عند الله يوم القيامة .

قال : وما هي يا ابن أخي ؟

قال : قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

قال : إنك لي لناصح ، والله لولا أن تُعبِّرَ (١) بها بعمدي فيقال : جَزَع
عمك عند الموت ، لأقررتُ بها عينك .

قال : فصاح القوم : يا أبا طالب ، أنت رأسُ الحنيفة ، ملة الأشياخ .

قال : أنا على ملة الأشياخ ، لا تحدّث قريش أن عمك جَزَع عند الموت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أزال أستغفر لك ربى ،

حتى يرُدّنى .

فاستغفر له بعد ما مات .

فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ، ولذوى قرابتنا ، وقد

استغفر إبراهيم لأبيه ، وهذا محمد يستغفر لعمه ؟ فاستغفروا للمشركين ، حتى

نزلت الآية :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ » (١) حتى

فرغ من الآية .

(٢) سورة التوبة ١١٣

(١) في الاصل (لولا تعبير) وهو خطأ

الباب الثامن والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد موت أبي طالب وخديجة

• عن [عبد الله بن] (١) ثعلبة بن صعير قال : لما توفي أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما شهر وخمسة أيام ، اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، فلزم بيته ، وأقلَّ الخروج ، ونالت منه قريش ، ما لم تكن تنال ولا تطمع [به] (١) .

فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاء فقال : يا محمد امض لما أردت ، وما كنت صانماً ، إذ كان أبو طالب حياً ، فاصنعه ، لا واللات ، لا يؤصل إليك حتى أموت .

وسبَّ ابنُ الغَيْطَلَةِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو لَهَبٍ فَنَالَ مِنْهُ فَوَلَّى يَصِيحُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ صَبِّأْ أَبُو عَتْبَةَ .

فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب ، فقال : ما فارقتُ دينَ عبد المطلب ، ولكن أُمْنِعُ ابنَ أَخِي أَنْ يُضَامَ ، حتى يمضي لما يريد : فقالوا : قد أحسنت وأجملت ، ووصلت الرَّحْمَ .

فكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً كذلك ، يذهب ويأتي ولا يعترض له أحد من قريش ، وهاجوا أبا لهب ، إذ (٢) جاء عُقْبَةُ بْنُ

(١) من طبقات ابن سعد ١/١٣١ . (٢) ابن سعد : إلى أن جاء .

أبي مُعَيْط وأبو جهل ، إلى أبي هلب فقالا له : أخبرك ابن أخيك ، أين
مُدْخِلُ أَيْبِكَ ؟

فقال له أبو هلب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه .

قال : فخرج أبو هلب إليهما ، فقال : قد سألتُه فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم ، أنه في النار !

فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، ومن مات على مثل ما مات

عليه عبد المطلب ، دخل النار

فقال أبو هلب : والله لا بَرِحْتُ^(٢) لك عدوًّا أبداً ، وأنت تزعم أن

عبد المطلب في النار .

فاشتد عليه ، وسائرُ قريش .

● عن محمد بن جبير بن مُطعم قال : لما توفي أبو طالب ، تناولت^(٣)

قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه

وسلم إلى الطائف .

(١) الأصل : لا رحى . وهو تعريف . والتصويب من طبقات ابن سعد : ١/١٣١

(٢) قوله « تناولت الخ » كذا في الأصل ، يريد أن قريشاً نالت من رسول الله

من الأذى ما لم تكن تقدر عليه في حياة أبي طالب فكان الأجدر أن يعبر المؤلف

بـ « نالت » التي هي بمعنى « آذت » لأن « تناولت » لا تدل على هذا المعنى .

الباب السابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في خروجه إلى الطائف

• عن محمد بن جبير بن مطعم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد موت أبي طالب ، إلى الطائف . ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال [بَقِين] (١) من شوال سنة عشر .

قال محمد بن عمر ، بغير هذا الإسناد : فأقام بالطائف عشرة أيام . وقال غيره : شهراً . لا يدَعُ أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه . فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد ، اخرج من بلدنا والحق بمحَابَّتِكَ من الأرض .

وأغْرَوْا به سفاهم ، فعملوا يرجونه بالحجارة ، حتى إن رجليه لتدْمِيان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شَجَّ في رأسه شجاجاً . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وهو محزون . فلما نزل نخلة ، قام يصلي من الليل ، فانصرف (٢) إليه سبعة نفر من الجن ، أهل نَصِيْبِيْن ، فاستمعوا ، فأقام بنخلة أياماً ، ثم أراد الدخول . فقال له زيد : وكيف تدخل عليهم ، وهم قد أخرجوك ؟ فأخرج رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدى : أدخل في جوارك ؟ قال : نعم .

(١) من ابن سعد .

(٢) ابن سعد : فصرف .

• وقال محمد بن كعب القرظي : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم سادة ثقيف وأشرافهم يومئذ ، وهم إخوة ثلاثة ، عبدة يا كيل ، ومسعود ، وحبيب ، أولاد عمرو ابن عمير .

فجلس إليهم ، فدعاهم إلى الله تعالى ، وكلهم بما جاء له ، من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

فقال أحدهم : هو يَمْرُطُ (١) ثياب الكعبة ، إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله رسولا يرسله غيرك !

وقال الثالث : والله لا أكلّمك أبداً ، إن كنت رسولا كما تقول ، لأنّك أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام .

وإن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلّمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف (٢) .

[وقال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموه عنى .

وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذّروهم (٣)

ذلك عليه . فلم يفعلوا] .

(١) يمرط . أى : يزرعه ويرمى به .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام .

(٣) يذّروهم عليه : يثيرهم ويحرّثهم .

وقال عبيد بن الأبرص :

[وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتْلِي عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا]

وأغرّوا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسئونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجأوه إلى حائط لعنبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة] (١) وها فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف ، من كان يتبعه .

فعمد إلى حُبلة (٢) من عنب ، فجلس في ظلها ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالتي من سفهاء ثقيف .

فلما اطمان قال ، فيما ذكر لي : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ ! إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري (٣) ، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل عليّ سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رأى ابنا ربيعة ، عتبه وشيبة ، مالتي ، دعوا غلاماً لها نصرانيا يقال له « عدّاس » فقالا له :

خذ قِطْفًا من هذا العنب ، فضعه في ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له : يأكل منه .

ففعل ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

(٢) قال في القاموس : الحبلبة بالضم : الكرم ، أو أصل من أصوله .

(٣) رواية الموهب ١/٣٠٤ : « إلى عدو بعيد يتجهمني ، أم إلى صديق قريب

ملكته أمري » ومعنى يتجهمني : يلقاني بالنظرة والوجه الكريه .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال : « بسم الله »
ثم أكل .

فنظر عدّاس إلى وجهه . ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل
هذا البلد (١) .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت ،
وما دينك ؟

قال : أنا نصراني (٢) ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية (٣) الرجل الصالح « يونس
ابن مَتَّى ؟ » .

قال له : وما يدريك ، ما يونس بن مَتَّى ؟

قال : ذاك أخى كان نبياً وأنا نبيٌّ .

فأكبَّ عدّاسٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقَبَّلَ رأسه
وبديه ورجليه .

قال : يقول ابنا ربّيعة أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك ، فقد أفسده عليك .

فلما جاءها عدّاس قال له : ويحك يا عداس ، مالك تقبّل رأسَ هذا

الرجل وبديه وقدميه ؟ !

قال : يا سيدي ما فى الأرض خير من هذا الرجل ! لقد أخبرتني بأمر

لا يعلمه إلا نبي .

(١) فى ابن هشام : هذه البلاد .

(٢) الاصل : أنا يقيم أبى . وهو تحريف .

(٣) الاصل : من ذرية . وهو تحريف .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أخفيتُ في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوديتُ في الله ، وما يؤذَى أحد ، ولقد أتتُ على ثلاثون من بين يوم وليلة ، ومالي طعام يأكله ذو كبد ، إلا شئ . يواريه إبطُ بلال » .

قال الترمذى : هذا حديث صحيح .

ومعناه : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج فاراً (١) من مكة ومعه بلال ، إنما كان مع بلال من الطعام ، ما يُحمل تحت إبطه .

(١) قوله : فاراً الخ تعبير غير صحيح ، وغير لائق بالجناب النبوى ، وخروجه لم يكن للفرار بل لنشر الدعوة ، وهو صلى الله عليه وسلم أعظم قدراً وأعلى مقاماً من أن يوصف بالفرار وهو الذى امتلأ قلبه شجاعة وقوة بالله . فلا يليق أن نطلق أمثال هذه الكلمات على مقامه الرفيع .

الباب الثلاثون

في دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة

لما رجع من الطائف

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف أرسل إلى الأحنس
ابن شريق . فقال : هل أنت مُجبري حتى أبلغ رسالة ربي ؟
فقال الأحنس : إن الحليف لا يجبر على الصريح .
فقال للرسول : إيت سهيل بن عمرو فقل له :
إن محمد أيقول لك هل أنت مُجبري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فاتاه .
فقال له ذلك [، فقال : (١)] إن بني عامر بن لؤي ، لا تجبر على
بني كعب .

قال : فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال :
إيت المطعم بن عدى . فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مُجبري
حتى أبلغ رسالة ربي ؟
قال : نعم ، فليَدْخُل .
فرجع إليه فأخبره .
وأصبح المطعم بن عدى قد لبس سلاحه ، هو وبنوه ، وبنو أخيه ،
فدخل المسجد .

(١) من تاريخ الطبري .

فلما رآه أبو جهل قال : أم مجير أم تابع ؟

قال : بل مجير .

قال : أجزنا من أجرت .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتتهى إلى الركن فاستلمه ،
وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم وأولاده مطيفون به .

• عن محمد جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

« لو كان المطعم بن عدى حياً ، فكلمنى فى هؤلاء النذنى ، يعنى أسارى
بدر ، لأطلقنهم له » .

الباب الحادي والثلاثون

في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه
على القبائل في المواسم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في المواسم على القبائل فيقول :
يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا
به شيئاً .

فكان يمشي خلفه أبو لهب ويقول : لا تطيعوه .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كندة في منازلهم فلم يقبلوا منه .
وأتى بني حنيفة في منازلهم ، فردوا عليه أقبح ردّة .
وأتى عامر بن صعصعة .

وكان لا يدع من العرب من له اسمٌ وشرفٌ إلا دعاه وعرض عليه
ما عنده .

• وقال جابر بن عبد الله : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
عشر سنين ، يتبع الناس في منازلهم بمكاظ ، ومجنّة وفي المواسم يقول : من
يؤويني من ينصرني ؟

• عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض
نفسه بالموقف ويقول : ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشا قد منعوني
أن أبلغ كلام ربي .

فصل

ربما عرّض للمحد أو قليل الإيمان فقال : ما وجه احتياج الرسول أن يدخل في خفارة كافر ، وأن يقول في المواسم : من يؤويني ؟ فلو كان أمره حقاً كان مُرسَلُهُ ينصره .

فيقال له : قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئاً إلا لحكمة . فإذا خفيت حكمة فعله عنا ، وجب علينا التسليم له .

وما جرى للرسول ، إنما صدر عن الحكيم الذي أقام قوانين السكليات ، وأدار الأفلاك ، وأجرى المياه وأرسل الرياح ، بتقدير مُحْكَمٍ ، لا خلل فيه . فإذا رأينا رسوله يشدُّ الحَجَرَ من الجوع ، ويُقَهِّرُ وَيُؤَدِّي ، علمنا أن تحت ذلك حكماً ، إن تلمحنا بعضها ، لاحت من خلال سُجُفِ البلاء حكمتان : إحداهما : اختبار المبتلى لِيسكن قلبه إلى الرضاء بالبلاء ، فيؤدّي القلب ما كلف من ذلك .

والثانية : بثُّ الشبهة في خلال الحجج ، لِيُثَابَ المجتهد في دفع الشبهة (١) .

(١) إن الابتلاء سنة لا تبدل في حياة كل الأنبياء ، وهو لا يحتاج إلى هذا التكلف في التأويل ، فهو قانون ثابت .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم يعرض نفسه على القبائل
كما كان يصنع في كل موسم .

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ، فقال : من أتم ؟

قالوا : من الخزرج .

قال : أفلا تجلسون حتى أكلكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام ،

وتلا عليهم القرآن .

وكان قدماؤهم ، يسمعون أنه سيظهر نبي من بني غالب .

عن ابن جميع^(١) قال : لما حضرت أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو

ابن عامر الوفاة ، قالوا له :

قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فتأبى .

وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين ، وليس لك غير مالك .

(١) الخبر مروى عن جابر بن جदान بن جميع بن عثمان بن سمالك بن الحسين

ابن السمؤال بن عادي ، وقد نقله ابن كثير عن الخرائطي في سيرته ١ / ٣٣٩ . وقد

اختصره ابن الجوزي .

فقال : لن يهلك هالك ترك مثل مالك . وأنشد :

أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنَّ لِلَّهِ دَعْوَةٌ يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبَرِّ
إِذَا بُعِثَ الْمَبْعُوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمَنِمَ وَالْحَجْرِ
هُنَالِكَ فَأَبْغُوا نَصْرَهُ بِيَلَادِكُمْ بَنِي عَامِرٍ إِنْ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

وكان أولئك الذين عرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون من اليهود ، أنه قد أظلم زمان نبي .

فلما كلمهم قال بعضهم لبعض : والله إنه للنبي الذي تعدكم يهود ، فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا .

وكانوا ستة نفر : أسعد بن زُرارة ، وعوف بن عَفْرَاء ، ورافع بن مالك ، وقُطَيْبَةُ بنِي عَامِرٍ [، وَعُقَيْبَةُ بن عَامِرٍ]^(١) وجابر بن عبد الله ابن رَبَاب .

فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعواهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم .

فلما كان من العام المقبل ، قدم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة ، منهم الستة الذين تقدم ذكركم ، سوى جابر ، ومُعَاذِ بنِ عَفْرَاء ، وَذَكَوَانَ بنِ عَبْدِ قَيْسٍ ، وَعُجْبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ، وَيَزِيدَ بنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعَبَّاسَ ابنِ عَبَّادَةَ ، وَعُوَيْمَ بنِ سَاعِدَةَ ، وَأَبُو الهَيْثِمِ بنِ التَّيْهَانِ^(٢) .

فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) من اللواهب وابن هشام .

(٢) قال الزرقاني : ياؤه مخففة عند أهل الحجاز ، مشددة عند غيرهم .

• قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، ونحن اثنا عشر رجلاً ، أنا أحدُهم .

فبايعناه ببيعة النساء ، على أن لا نُشرك بالله شيئاً ، ولا نُسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بيهتان ، ففتره بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . وذلك قبل أن تُفرض الحرب (١) .

فإن وفيتم بذلك ، فلکم الجنة ، وإن غشيتم شيئاً ، فأمرُكم إلى الله ، فإن شاء غفر ، وإن شاء عذَّب .

فلما انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم ، مُصعبَ ابن عمير إلى المدينة ، يفتِّه أهلها ، ويقرئهم القرآن .
فأسلم خلقٌ كثير .

(١) قال الزرقاني : والذي دلت عليه الأحاديث أن البيعة ثلاث : العقبة ، وكانت قبل فرض الحرب ، والثانية بعد الحرب على عدم الفرار ، والثالثة على نظير بيعة النساء .

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدي عن رجاله : كان المَسْرَى ليلة السبت ، لسبع عشرة ليلة
خلت من رمضان في السنة الثانية عشرة من المبعث ، قبل الهجرة ،
بثمانية عشر شهراً .

وَرَوَى أيضاً عن أشياخ له قالوا : أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة سبع عشرة ، من ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة .
وهذا قول ابن عباس وعائشة .

وسمعتُ شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول :

قال قوم : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة .

وقال آخرون : قبل الهجرة بستة أشهر .

فمن قال بسنة ، فيكون ذلك في ربيع الأول .

ومن قال لثمانية أشهر ، فيكون ذلك في رجب .

ومن قال لسته أشهر ، فيكون ذلك في رمضان .

قلت : وقد كان في ليلة سبع وعشرين من رجب .

• عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه ، أن نبي الله

صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال :

بينما أنا في الحطيم ، وربما قال قتادة : في الحجر ، مضطجع ، إذ أتاني

آتٍ ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة .

قال : فأتاني فقَدْ ، وسمعت قتادة يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه .

قال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعني به ؟

قال : من ثغرة نحره إلى شعرته . وقد سمعته يقول : من قصه إلى شعرته .

قال : فاستخرج قلبي . قال : فأتيت بطاست من ذهب مملوءة إيماناً
وحكمة فغسل قلبي ، ثم حُشِيَ ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة ، دون البغل ،
وفوق الحمار ، أبيض .

قال الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟

قال : نعم ، يضع خطوه عند أقصى طرفه .

قال : فحملت عليه . قال : فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا .

فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم الحبيء جاء .

قال : ففتح ، فلما خلُصت ، إذا فيها آدم .

قال : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ [قال : نعم] .

قيل : مرحباً به ، ونعم الحبيء جاء : قال : ففتح .

فلما خلصت إذا يبجي وعيسى ، وهما ابنا الخالة .
قال : هذا يبجي وعيسى ، فسلمَّ عليهما .
فسلمَّت فردًا السلام ، ثم قالوا : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .
ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .
قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .
قيل : مرحباً به ، ونعم المحيي جاء . قال : ففتح .
فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلمَّ عليه .
قال : فسلمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ،
والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .
قيل (١) : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .
قيل : مرحباً به ، ونعم المحيي جاء . قال : ففتح .
فلما خلصت ، إذا إدريس عليه السلام ، قال : هذا إدريس ، فسلمَّ عليه .
قال : فسلمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح ،
والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟
قال : جبريل .

(١) الأصل : « قال » وهو خطأ وما أثبتته من البخارى .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .
قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .
قيل : مرحباً به ، ونعم المحيي جاء . قال : ففتح .
فلما خلصت ، فإذا هارون . قال : هذا هارون ، فسلم عليه .
فسلمت عليه ، فرد السلام وقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .
قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟
قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .
قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .
قيل : مرحباً به ، ونعم المحيي جاء .
فلما خلصت ، إذا موسى عليه السلام .
قيل : هذا موسى ، فسلم عليه .
فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .
فلما تجاوزتُ بكى .
فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : غلام بُعثَ بعدى ، يدخل الجنة من أمته ،
أكثر مما يدخل من أمتي !

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح :
فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .
قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد .
قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم :
قيل : مرحباً به ، ونعم المحيي جاء . قال : ففتح .

فلما خلعت إذا إبراهيم ، فقال : هذا إبراهيم ، فسلم عليه .
فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .
قال : ثم رفعت لى سِدْرَةَ المنتهى ، فإذا نَبَقَهَا مثل قِلَالٍ هَجَرَ ، وإذا
ورقها مثل آذان الفيلة .

قال : وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران .

[فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : (١)] .

أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور .

قال قتادة : وحدثنا الحسن ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه رأى البیت المعمور ، يدخله كل يوم ، سبعون ألف ملك ، ثم
لا يعودون فيه .

ثم رجع إلى حديث أنس . قال :

ثم أتيتُ بَإِنَاءٍ من خمر ، وإِنَاءٍ من لبن ، وإِنَاءٍ من عسل .

قال : فأخذتُ اللبن ، قال : هذه الفطرة ، أنت عليها وأمتك .

قال : ثم فرضت على خمسون صلاة كل يوم .

قال : فرجعت ، فررت على موسى فقال : بما أمرت ؟

قلت : أمرتُ بخمسين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإني قد خبرت (٢) الناس

قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل ، أشدَّ العالجة ، فارجع إلى ربك ، فسئله
التخفيف لأمتك .

(١) من صحيح البخارى . (٢) البخارى : وإني والله قد جربت الناس قبلك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشرأ .

فرجعت إلى موسى قال : بم أمرت ؟

قلت : بأربعين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت
الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسأله
التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشرأ آخر .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟

قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم .

وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسأله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فوضع عنى عشرأ آخر .

فرجعت إلى موسى ، قال : بم أمرت ؟

قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم :

وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ،

فارجع إلى ربك فسأله التخفيف .

قال : فرجعت ، فأمرت بعشر صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت

الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسأله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال :
بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم .
قال : إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت
الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .
فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، وانكفي أرضي وأسلم .
فلما نفذت (١) نادى منادٍ : قد أمضيتُ فريضتي ، وخففت عن عبادي .

• عن جابر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما
كذبني قريش حين أسرى بي [قمت في الحجر فحلا الله لي بيت المقدس (٢) .
فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .
أخرجها .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لما كان ليلة أسرى بي ، فأصبحت بمكة ، فطفقتُ بأمرى (٣) ، وعرفت
أن الناس مكذبني .

قال : فقدمت معتزلاً حزينا .
فرَّ به أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء : هل كان
من شيء ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : وما هو ؟
قال : إني أسرى بي الليلة .

(١) البخاري : فلما جاوزت .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من البخاري . (٣) مسند أحمد : أمرى .

قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .
قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم .
قال : فلم يرِهِ أنه مكذِّبٌ بخافة أن ينجده الحديث إن دعا قومه إليه .
قال : أرأيت إن دعوتُ قومك ، آتحتهم ما حدثتني ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .
قال : هيا معشر بني كعب بن لؤى .
حتى انتقضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .
فقال : حدثت قومك بما حدثتني .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أسرى في الليلة .
قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .
قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم .
قال : فبينَ يمينِ مصفَّق ، ومن بينِ واضع يده على رأسه متعجباً ، للكذب ،
ثم قالوا : أو تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟
وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فما زلت أنعت حتى التبتس على (١) بعضُ النعت . قال :
فجئء بالمسجد ، وأنا أنظر حتى وضع دون دار عُمَيل أو عقال .
فنعته وأنا أنظر إليه .
فقال القوم : أمَّا النعت ، فقد والله ، أصاب .
وقد روى حديثَ المعراج والإسراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الاصل : إني . وما أثبتته من السند .

جماعة ، منهم : ابن مسعود ، وعلى ، وأبو ذر ، وأبي ، وحذيفة ، وأبو سعيد ، وجابر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأم هاني .

وقد ذكرنا في حديث أنس بن مالك ، من رواية شريك عنه ، وفي رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أنه قال : « رجعت إلى ربي فخطت عنى خمساً ولم أزل أراجع بين ربي وبين موسى ، ويحط عنى خمساً خمساً » . وهذا من أفراد مسلم .

والأول أصح ، لأنه قد اتفق البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك . ومن حديث أنس عن نفسه ، أنه حط عشرأ . فهذه الرواية التي فيها « فخطت خمساً خمساً » غلط من الراوي .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بي أتاني جبريل بالبراق مُسرجاً ملجماً ، فذهبت لأركبه ، فاستصعب علي . فقال جبريل : أجمد تفعل هذا ؟ والله ما ركبت نبي أكرم منه على الله تعالى .

فأرفض البراق عرقاً .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضمار
في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة

• عن كعب بن مالك قال : خرجنا في حجاج قومنا حتى قدمنا مكة ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق .

وكان معنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، وكنا نسكن من ممنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا :

يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه ، أن تكون خطيباً للنار غداً . ثم دعواته (١) إلى الإسلام وأخبرناه (١) بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا

فبينما تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا ليمض رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين نتسلل القطا .

حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن سبعون رجلا ، ومعهم

(١) الاصل : دعوته وأخبرته . وهو تحريف .

امراتان ، نسبية (١) بنت كعب ، أم محارة ، وأسماء بنت عمرو بن عدى .
فاجتمعنا في الشعب ، ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ، وهو على دين
قومه يومئذ ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فلما جلس [قال : يا معشر الخزرج ، قال : وكانت العرب إنما
يُسْمون] (٢) ، هذا الحى من الأنصار الخزرج ، أوسها وخزرجها : إن محمداً
منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ،
وهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وقد أبى إلا الانتطاع إليكم .

فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ،
فإنم وما حملتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مُسأموه وخاذلوه ، فمن الآن فدعوه في عز
ومنعة من قومه .

فقلنا : قد ضمعنا ما قلت .

فبكلم يارسول الله ، وخذ لنفسك وربك ما أحببت .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى الإسلام . ثم قال :

(١) نسبية هي امرأة زيد بن عاصم من النساء اللتاليات التي ضربت الرقم
القباسى الأعلى في البطولة ، فقد كان لها الموقف الشرف في الدفاع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد .

شهدت بيعة العقبة الثانية وبيعة الرضوان كما شهدت يوم الجامة وباشرت القتال
بنفسها وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلة الكذاب فقطعت يدها وجرحت
إثني عشر جرحاً ثم عاشت بعد ذلك دهراً .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من ابن هشلم .

أبايعكم على أن تمنعوني ، مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم .
فأخذ البراء بن مَعْرُور بيده ثم قال : والذي بيمينك بالحق نبياً ، لمنعتك
مما تمنع منه أُرْزُرنا (١) .
فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فنحن أهل الحرب وأهل الحِلَّة (٢) ورثناها كابراً
عن كابر .

فاعترض القوم أبو الهيثم بن التَّيَّهَان فقال :
يا رسول الله ، إن بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطموها ، يعني اليهود .
فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى
قومك ، وتدعنا .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بل الدمّ والهدم الهدم .
أتم مني وأنا منكم ، أحارب من حاربتم ، وأسلم من سلمتم .
وقال : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم (٣) .
فأخرجوا اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .
قال ابن إسحاق : فحدثني مَعْبُد في حديثه عن أبيه كعب قال :

كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم : البراء
ابن مَعْرُور ، ثم تتابع الناس (٤) :

(١) أُرْزُرنا : نساءنا . والمرب تسكنى عن المرأة بالإزار ، وتسكنى أيضاً
بالإزار عن النفس :

(٢) الحِلَّة : السلاح .

(٣) ابن هشام : ليكنوا على قومهم بما فيهم .

(٤) ابن هشام : ثم بايع بعد القوم .

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج الشيطان من رأس العقبة بأبعد (١) صوت سمعته قط : يا أهل الجبأجب . والجبأجب : المنازل .

هل لكم في مُدَّمِ والصُّبَاة (٢) معه ، قد أجموا على حربكم :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أربُّ العقبة ، أى عدو الله ، أما والله لأفرغنَّ لك .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجعوا إلى رحالكم .

فقال له العباس بن عبادة : والذى بعثك بالحق ، إن شئتَ لنميلنَّ غداً

على أهل منى بأسيا فنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أومرُ بذلك .

فرجعنا فمنا حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدَّت علينا جِلَّةُ قريش ، حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا :

يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ،

تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، والله إنه ما من العرب

أحدٌ أبغض إلينا ، أن تنسبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث من هنالك من مشركى قومنا ، يحلفون بالله ، ما كان

من هذا شيء وما علمنا .

وقد صدقوا ، لم يعلموا ما كان منا . قال : فبعضنا ينظر إلى بعض .

• عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الموسم :

(١) ابن هشام : بأنذ .

(٢) الصبابة : جمع صبابة . وقبوى : والصبيته .

من يؤوبني ؟ .

حتى بعثنا الله من يثرب ، فأويناه وصدقناه ، ثم قلنا :
حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطارد في جبال مكة ويخاف ؟ !
فرحل منا سبعون ، حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدنا شعب العتبة ،
فاجتمعنا عنده قلنا : يا رسول الله علام نبايعك ؟

فقال : تبايعوني على السمع والطاعة ، في النشاط والكسل ، والنفقة في
العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في
الله ، لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصروني ، فتمنعوني إذا قدمتُ
عليكم ، بما تمنيون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ، ولكم الجنة .
فقمنا إليه فبايعناه .

وأخذ بيده أسعد بن زُرارة ، وهو من أصغرهم وقال :
رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب أكباد الإبل ، إلا ونحن نعلم أنه
رسولُ الله ، وأن إخراجَه اليوم ، مفارقةُ العرب كافةً ، وقتلُ خياركم ،
وأن تَعْضَّكُم السيوفُ . فإما أتم قوم تصبرون على ذلك ، وأجرُكم على الله .
وإما أتم قوم ، تخافون من أنفسكم جُبَيْنةً (١) فثبَّتوا (٢) فهو أَعْدَرُ
لكم عند الله .

فقالوا : أمِطْ عنايا أسعد ، فوالله لا ندعُ هذه البيعة أبداً ولا نَسْلُبها
أبداً . فقمنا فبايعناه ، فأخذ علينا وشرط ، ويمطينا على ذلك الجنة (٣) .

(١) جينة : جيناً .

(٢) المسند : فبينوا . أى : كونوا على بصيرة وروية من أمركم .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، باختلاف يسير ، قال الحاكم :

هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة . ولم يخرجاه .

وقال الحافظ ابن كثير في سيرته : هذا إسناد جيد على شرط مسلم .

الباب الخامس والثمانون

في علم قريش ما جرى للانتصار ، وما تشاوروا
أن يفعلوا في ذلك

قال كعب بن مالك : لما تفرق الناس من منى وتنطس (١) القوم
الخبر ، وجدوه قد كان .

فخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عباد في أذخر ، والمذر
ابن عمرو .

فأما المذر ، فأعجز القوم .

وأخذوا سعدا ، فربطوا يديه إلى عنقه ، ثم أقبلوا به إلى مكة .

فجاء جبير بن مطعم والحارث بن أمية . فقالا :

قد كان يُحيز تجارتنا . فخلصاه .

قال ابن إسحاق : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج
إلى المدينة ، فخرجوا أرسالا (٢) ، وأقام ينتظر أن يُؤذن له ، ولم يتخلف عنه
أحد من المهاجرين إلا [من] أخذ وقتن (٣) سوى أبي بكر وعلى .
وكان أبو بكر يستأذنه في الخروج فيقول : لا تعجل .

(١) تنطس القوم الخبر : أ كثروا اليحث عنه .

(٢) أرسالا . أي : جماعات جماعات .

(٣) ابن إسحاق : إلا من حبس أو فتن .

فلما علم المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا داراً
تمنع ، علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج إليهم .
فاجتمعوا في دار الندوة ، يتشاورون في أمره .
ودار الندوة ، هي دار قصى بن كلاب ، وكانت قريش لا تقضى
أمراً إلا فيها .

فدخلوا يتشاورون ما يصنعون .

قال ابن إسحاق : وحدثني [من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله] (١)
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال :
لما اجتمعوا لذلك ، اعترضهم إبليس ، في هيئة شيخ جليل ، فوقف
على باب الدار .

فقالوا : من الشيخ ؟

قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتكم له ، فحضر معكم ، وعسى
أن لا يعدمكم منه رأيي ونصح .

فقالوا : ادخل . فدخل معهم وقد اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة .
فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان .
وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه ، فأجمعوا فيه رأياً .

فقال قائل منهم : اجسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا
به ما أصاب أشباهه من الشعراء .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا برأى ، والله لو حبستموه ،
نلجج أمره من وراء الباب إلى أصحابه ، فوثبوا ، فانزعوه من أيديكم .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

قال قائل : نخرجه من بين أظهرنا .

قال النجدي : والله ما هذا برأى . ألم تروا حُسنَ حديثه ، وحلاوة
منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟

ولو فعلتم ذلك ما أمنت (١) أن يحل على حيٍّ من العرب فيتغلب عليهم
بقوله حتى يبأيعوه ثم يسير بهم إليكم .

قال أبو جهل : والله ، إن لي فيه لرأياً ، ما أراكم وقعتم عليه بعدُ .

قالوا : ما هو ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلدًا تسبياً وسيطاً (٢) .

ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدون ، فيضربونه ضربة
برجل واحد ، فيقتلونه ، فنستريح .

فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تفرَّق دمه في القبائل كلها ، فلم تقدر بنو
عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعقل (٣) فمقلناه لهم .

قال الشيخ النجدي : القول ما قال هذا الرجل ، لا أرى لكم غيره .
فتفرق القوم على ذلك .

فأتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال :

لا تبيت هذه الليلة على فراشك ، الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت العتمة ، اجتمعوا على بابه ، ثم ترصدوه متى بنام ،
فَيَسْبُونَ عليه .

(٢) وسيطاً : شريفاً .

(١) ابن هشام : ما أمنت .

(٣) العقل : الدية .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن
أبي طالب :

تَمَّ عَلَيَّ فِرَاشِي ، وَتَسَجَ (١) بِيُزْدَى الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُصُ (٢)
إِلَيْكَ شَيْءٌ تَسْكُرُهُ مِنْهُمْ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينام في برده ذلك .
• عن ابن عباس في قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِيُثْبِتُوكَ (الأَنْفَالُ ٣٠) » (٣) .

قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم :

إذا أصبح فاقبضوه بالوثاق .

وقال بعضهم : بل اقتلوه .

وقال بعضهم بل : أخرجوه .

فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك .

فبات على (٤) عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم

تلك الليلة .

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار .

وبات المشركون ، يجرسون عليًا ، يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ، ناروا إليه ، فلما رأوه عليًا ، ردَّ الله مكرم فقالوا :

أين صاحبك ؟

(١) تسج : تغطى .

(٢) لا يخلص : لا يصل .

(٣) ليثبتوك : أى ليجرحوك جراحة لا تقوم معها اه من المختار من الصحاح .

(٤) وبذلك كان على أول فدائي في الإسلام وأشجع الصحابة أجمع .

قال : لا أدري .

فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ، اختلط عليهم ، فصعدوا في الجبل .
فمروا بالنار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ههنا ،
لم يكن نسج العنكبوت .
فكث فيه ثلاث ليال .

• وقال محمد بن كعب القرظي : اجتمعوا على بابه .

فخرج ، فأخذ حفنة من تراب ، فنثرها على رؤوسهم فلم يروه وقرأ :
« وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشىناهم فهم
لا يبصرون (سورة يس الآية ٩) » ثم انصرف حيث أراد .

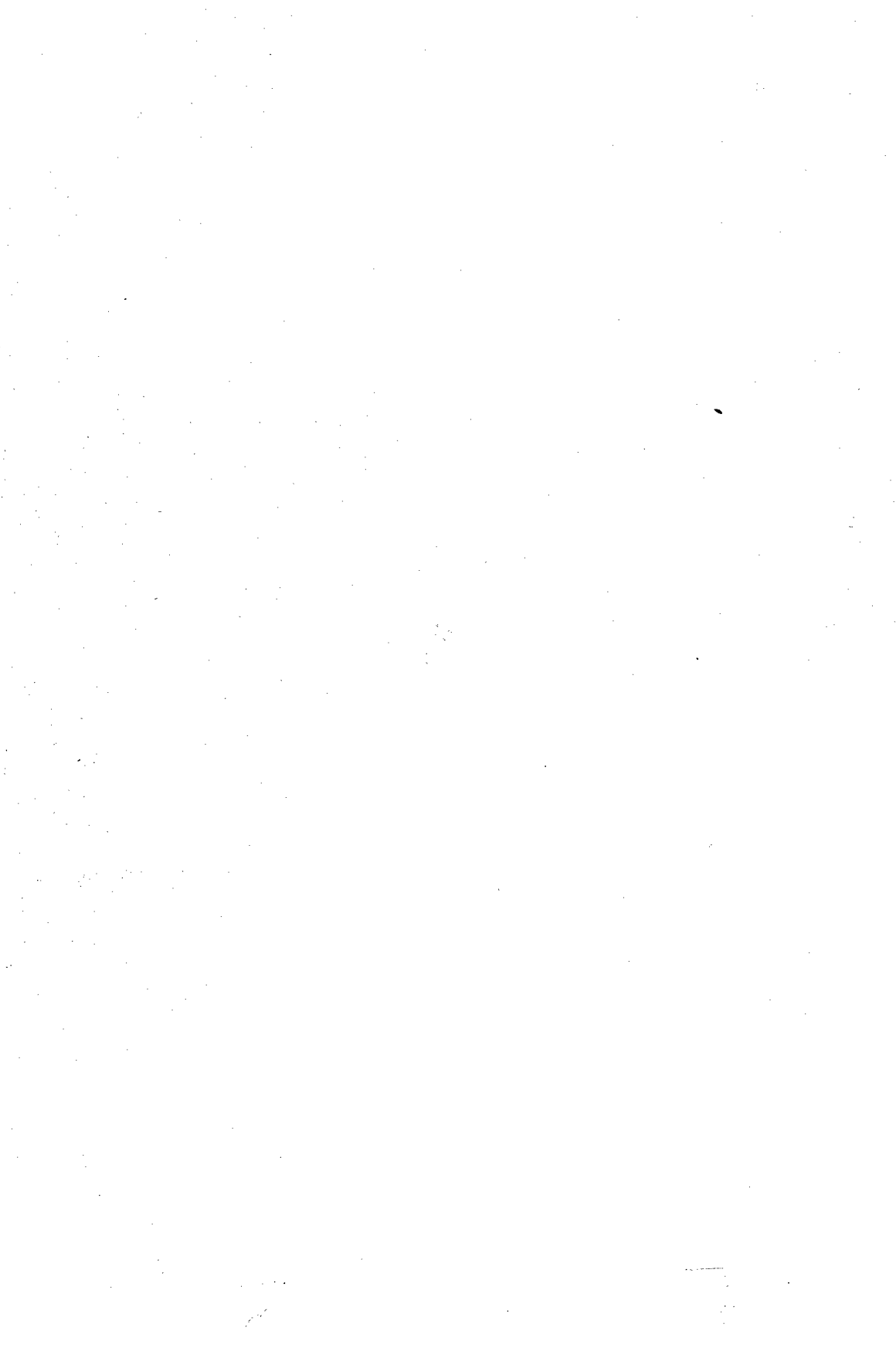
فأتاهم آت ، ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً .
قال : والله قد خرج عليكم محمد .

فجعلوا يطلّمون ، فيرون عليّاً عليه السلام ، عليه بُرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقولون : هذا محمد عليه بُرده . فأقام إلى الصباح .
قال علي : فقامت عن الفراش فرأوني .

• قال الواقدي عن أشياخه : إن الذين كانوا ينتظرونه : أبو جهل ،
والحكم بن أبي العاص ، وعُقبه بن أبي مُعيط ، والنضر بن الحارث ، وأمّية
ابن خلف ، وابن العَيْطلة ، وزمعة بن الأسود ، وطعمة بن عدى ،
وأبو لهب ، وأبي بن خلف ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج .



أبواب هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى الْمَدِينَةِ



الباب الأول

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار

- عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي حَرِّ الظَّهْرِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ .
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنمًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها .
قال أبو بكر : فداؤله ، أبي وأمي ، ما جاء به في هذه الساعة ، إلا أمرًا .
قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن ، فأذن له .
فدخل فقال لأبي بكر : أخرج من عندك .
فقال أبو بكر : إنما هم أهلك يا رسول الله .
قال : فإني قد أذن لي في الخروج .
فقال أبو بكر : الصُّحْبَةَ ، بأبي أنت ، يا رسول الله .
قال : نعم .
قال : فخذ إحدى راحتيَّ هاتين .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالتمن .
قالت عائشة : فجهزناهما أحبَّ الجهاز ، ووضعنا لهما سفرة في جراب .
فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به فم الجراب ،
فبذلك سميت ذات النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، بغارٍ في جبل
مُورٍ فكنا (١) فيه ثلاثَ ليالٍ .

بيت عندهما عبدُ الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ (٢) لَقِنٌ (٣) .
فِيْدِلِج (٤) مِنْ عِنْدِهَا بَسَحَرَ ، فيصبح مع قريش كباثٍ .

فلا يسمعُ أمراً يُكادان به ، إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين
يختلط الظلام .

ويرعى عليهما عامرُ بن فُهيرة ، مَوْلى أبي بكر ، مِنْحَةً من غنمٍ ،
فِيْرِيْحِهَا (٥) عليهما ، حتى تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِثْلٍ وهو

(١) البخارى : فكنا .

(٢) ثَقِفٌ ، أى : حاذق ، خفيف فِطِنٍ .

قال في الصحاح : ثَقِفَ الرجلُ ثَقْفًا وثِقافةً ، أى صار حاذقًا خفيفًا فهو
ثَقِفٌ مثل ضَخُّهُ فهو ضَخْمٌ ، ومنه : المثاقفة وثَقِفَ أيضاً ثَقْفًا مثل تَعَبَ
تَعَبًا لغة في ثَقِفَ ، أى صار حاذقًا فِطْنًا فهو ثَقِفٌ وثَقِفُ مثال حَذِرٍ وحَذَرٍ
ومثله فى القاموس إلا أنه زاد ثَقْفًا بفتح الحروف كلها ويتمشى هذا الوزن
إذا كان الفعل (ثَقِفَ) من الباب الرابع كفرح ، والخللاصة أن ثَقِفَ إن كان
من الباب الخامس كضخم يضحم فالوصف منه ثَقِفٌ مثل ضَخْمٌ وإن كان من
الباب الرابع مثل فرح يفرح فالوصف منه ثَقِفٌ مثل حَذِرٍ وفرِح .

(٣) قال فى الصحاح : لَقِنٌ : سريع الفهم . والاسم : اللقانة ، وفى

القاموس : اللَّقْنُ وَاللَّقَانَةُ وَاللَّقَانِيَّةُ : سرعة الفهم . لَقِنَ كفرح فهو لَقِنٌ
وَأَلْقَنَ : حفظ بالمجلة . ٥١ .

(٤) فيدلج : أى يعود ليلا من عندهما وقت السحر .

(٥) أى : فيذهب إليهما بالغنم ليلا .

لبنٍ مِنْحَتِهَا ، حتَّى يَنْعَقَ بِهَا عامر بن فُهَيْرَة بفلس (١) ، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر [رجلا] (٢) من بني الدَّيْل ، وهو على دين كفار قريش فأَمَّنَاهُ ، ودفعنا إليه راحتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحتيهما (٣) .

• وقد روينا عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر لما أراد أن يخرج ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى جبل ثور .

• وروى الواقدي عن أشياخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمنزل أبي بكر إلى الليل ، ثم خرجا إلى النار .
وكان خروجهما وقد بقي من صفر ثلاث ليالٍ .

(١) أى : ظلام الليل .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من صحيح البخاري .

(٣) الحديث جزء من رواية البخاري في صحيحه ٢ / ١٩١

الباب الثاني

في ذكر ما جرى في الغار

• عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما !
أخرجاه في الصحيحين .

• عن أنس قال : لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر : يا رسول الله دعني أدخل قبلك ، فإن كان فيه [شيء] كان بي قبلك . قال : ادخل . فدخل أبو بكر فجعل يلمس يديه فكلما رأى جُحراً ، قال بنوبه ، فشقّه ، ثم ألقاه الحجر ، حتى فعل ذلك بنوبه أجمع . قال : فبقى حجر فوضع عقيبته عليه .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أين نوبك يا أبا بكر ؟

فأخبره بالذي صنع ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال :

اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة .

فأوحى الله تعالى إليه : قد استجيب لك .

• عن عمر بن الخطاب أنه قال : والله لليلة من أبي بكر ويوم ،

خير من آل عمر .

هل لك بأن أحدثك بليته ويومه ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين حدثني .
قال : أمّا ليلته ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفياً من أهل
مكة خرج ليلاً ، فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة
عن يمينه ، ومرة عن شماله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف
هذا من فعلك .

فقال : يا رسول الله ، أذكر الرصد ، فأكون أمامك ، وأذكر الطلب ،
فأكون خلفك ، ومن عن يمينك ، وعن يسارك ، لا آمن عليك .

قال : فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى
حفيت رجلاه ، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حملة على كاهله (١) وجعل
يشدد به حتى أتى به الغار فأنزله .

ثم قال : والله بعثك بالحق ، لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء ،
نزل بي قبلك ، ففعل ، ولم ير شيئاً ، فحملة وأدخله .
وكان في الغار حرق ، فيه حيات وأفاع : .

فخشي أبو بكر أن يخرج منه شيء ، فيؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فألقمه قدمه .

فجعل يضربنه ويلسمنه - الحيات والأفاعي - وجعلت دمونه تنحدر .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا بكر ، لا تحزن إن الله معنا .

(١) كاهله . أي : ظهره ، قال في الصراح : الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما

يلي العنق وهو الثلث الأعلى ، وفيه ست فقرات . ١ هـ . المراد منه .

فأنزل الله سَكِينَتَهُ ، أى طمأنينته لأبى بكر :
فهذه ليلته .

• وقال الواقدي عن أشياخه : طلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الطَلَبِ ، حتى انتهت إلى باب الفار .

قالت : إن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم . فانصرفوا .

وقالت أسماء بنت أبى بكر : لم نَدْرُ بِالْحَالِ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، مُغْنِي غَنَاءَ الْعَرَبِ وَالنَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ ، يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَلَا يَرُونَهُ ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خَيْتِي أُمَّ مَعْبُدِ

وسياتى ذكر القصة إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث

في ذكر ما جرى له في طريقه إلى المدينة

• قال أبو الحسن بن البراء : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع الأول .

• وذكر محمد بن سعد ، أنه خرج من الغار ليلة الاثنين ، لأربع خلون من ربيع الأول .

قلت : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً .

وخرج معه أبو بكر وعامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط اللثبي ، وكان على دين قومه ، فأخذ بهم طريق السواحل .

• عن البراء بن عازب قال : اشترى أبو بكر من عازبٍ سرجاً (١) ، فقال : مُرِ البراء ، فليحمله إلى منزلي .

قال : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت ، حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه ؟

قال أبو بكر : خرجنا فأدْلَجْنَا (٢) فَأَخْمَتْنَا (٣) يومنا وليلتنا حتى أظْهَرْنَا (٤) وقام قائمُ الظهيرة .

(١) البخاري ١٥٣/٢ رحلا . (٢) أي : سرنا الليل كله .

(٣) البخاري : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا . ومعنى

(أحمتنا) أسرعنا وجدينا في السير . (٤) أي : دخلنا في وقت الظهر .

فَضَرَبْتُ بِيَصْرِي، هَلْ أَرَى طَلًّا أَوْى إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا بِصَخْرَةٍ، فَاهْوَيْتُ
إِلَيْهَا، فَإِذَا هُوَ بِتَيْبَةِ ظَلَمَهَا.

فَسَوَّيْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَشْتُ لَهُ فِرْوَةً وَقُلْتُ:
اضْطَجِعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَاضْطَجَعَ.

ثُمَّ خَرَجْتُ أَنْظُرَ هَلْ أَرَى أَحَدًا مِنَ الطَّلَبِ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ.
فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ يَا غَلامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ. فَسَمَاءُ فَعَرَفْتِهِ.

فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: هَلْ أَنْتِ حَالِبٌ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَأَمَرْتُهُ، فَاعْتَمَلْتُ شَاةً مِنْهَا، ثُمَّ أَمَرْتُهُ فَنَفَضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغَبَارِ.

ثُمَّ أَمَرْتُهُ فَنَفَضَ كَفَّهُ مِنَ الْغَبَارِ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ عَلَى فَمِهَا خَرْقَةٌ.

فَحَلَبْتُ لِي كُتْبَةَ (١) مِنَ اللَّبَنِ فَصَبَبْتُ عَلَى الْقَدَحِ (٢) حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ.

ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيَتْ. ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ.

فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يَدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، إِلَّا سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ

ابْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ حَلَقَنَا.

فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (٣).

حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَيْدٌ (٤) رَمَحَ أَوْ رَمَحَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ.

(١) الكُتْبَةُ: مِلءُ الْقَدَحِ. (٢) الْبَخَارِيُّ: فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ.

(٣) إِلَى هُنَا رِوَايَةُ الْبَخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ فِي مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ ٢ / ١٥٣

مَعَ اخْتِلَافٍ. (٤) قَيْدٌ: أَيُّ مَقْدَارِ طَوْلِ رَمَحٍ أَوْ رَمَحَيْنِ.

قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا . وبكت .

قال : لم تبكي ؟

قلت : أمّا والله ، ما على نفسي أبكى ، ولكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اكفناه بما شئت .

فساخت (١) قوائم فرسه إلى بطنها ، في أرض صلد .

فوثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله عز وجل ،

أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأعمن^{هـ} (٢) على من ورأى من الطلب .

وهذه كئنانتي ، فخذ منها سهماً ، فإنك ستمر بإبلى وغدوى في موضع

كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لي فيها .

ودعاه ، فانطلق ورجع إلى أصحابه .

• عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى [أن أباه أخبره أنه] (٣) سمع

سُرَاقَةَ يقول : جاءنا رُسُلُ كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأبى بكر ، دية كل واحد منهما لمن قتله (٤) أو أسره .

فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي ، أقبل رجل منهم حتى قام

علينا فقال :

يا سُرَاقَةَ ، إني رأيت آتفاً أسوداً (٥) بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه .

(١) ساخت . أى : دخلت في الأرض وغابت .

(٢) أصل العمه : التعجير والتردد . والمراد هنا : لآخفين طريقك وأمرك على من

ورأى ممن يطلبك . (٣) من البخارى .

(٤) البخارى : من قتله . وما هنا أوضح .

(٥) الأسودة : يكتنى بها عن الشخص . أى : أشتباحاً .

قال سراقه : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا [يبتغون ضالةً لهم] (١) ثم لبثتُ في المجلس ساعة .

ثم قت ، فدخلت ، فأمرت جاريتي أن تخرج بفروسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي .

وأخذت رمحي ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بُرْجَه (٢) الأرض ، وخفضتُ عاليه ، حتى أتيت فرسي ، فركبتها ، فرفعتها تقرب بي ، حتى دنوت منهم .

فعثرت بي فرسي ، فخررت (٣) عنها ، فقت .

فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزام فاستقسمتُ بها : أضرهم ، أم لا ؟

فخرج الذي أكره .

فركبتُ فرسي وعصيت الأزام .

حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، سأختُ يداً فرسي في الأرض ، حتى بلغنا الركبتين ، فخررتُ عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ولم تسكد (٤) تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار (٥) ساطع في السماء مثل الدخان .

فاستقسمت بالأزام ، فخرج الذي أكره فناديتهم الأمان (٦) .

(١) من صحيح البخاري . (٢) الزج : الحديدية في طرفي الرفع .

(٣) خررت . أي : سقطت ووقعت . (٤) البخاري : فلم تسكد .

(٥) البخاري : عشان ساطع . و « العشان » كالدخان ، وزناً ومعنى .

(٦) البخاري بالأمان .

فوقفوا ، فركبت فرسي ، حتى جئتهم .
ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الخبئس عنهم ، أن سيظهر أمرُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية .
وأخبرتهم أخباراً ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ،
فلم يرزأني ولم يسألاني [شيئاً^(١)] إلا أن قال : أخفِ عنا .
فسألته أن يكتب لي كتاباً أمن .
فأمر ، عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أدم .
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .
قال الزهري : وأخبرني عروة بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسأ
الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ثياب بيض .

(١) ليست في البخاري وابن إسحاق .

(٢) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه في باب الهجرة .

الباب الرابع

في ذكر حديث أم معبد

عن أبي معبد (١) الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
لما هاجر من مكة إلى المدينة ، هو ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، ودليلهم ،
عبد الله بن أريقط ، فرؤوا نخيمتي أم معبد الخزاعية .
وكانت امرأة جلدة برزة (٢) تحتبي ، وتقعده بفناء الخيمة ، ثم تسقى
وتطعم .

فسألوها تمراً ولحماً يشترونه ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، فإذا
القوم مرملون (٣) مُسْتِنُونَ (٤) ، فقالت : والله لو كان عندنا شيء
ما أعوزكم (٥) القرى .

(١) في دلائل أبي نعيم : عن حبيش بن خالد . وفي شرح اللواهب : عن أخي
أم معبد حبيش صاحب رسول الله .

(٢) الجلدة : القوية . برزة أي : جليلة عفيفة ، مسنة تبرز للرجال وتتحدث إليهم

(٣) مرملون . أي : فقراء ليس عندهم زاد قال في الصحاح : يقال أرمل

القوم : إذا نفذ زادهم ، وعام أرمل ، أي : قليل المطر .

(٤) مستنون . أي : يجدون عيشتهم ضيقة ، قال في المختار من الصحاح :

أسنت القوم : إذا أجدبوا . والسنت ككتفت : القليل الخير . وزاد في القاموس .

وأرض سئنة ومسنة : لم تثبت وعام سنيت ومسنت : جذب .

(٥) أعوزكم القرى : أي ما احتجتم إلى طلبه .

فَنظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ ، فَقَالَ :
مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبُدٍ !

فَقَالَتْ : هَذِهِ شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ (١) عَنِ الْغَنَمِ .

قَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟

قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ (٢) مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا ؟

قَالَتْ : نَعَمْ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنْ كَانَ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا (٣) .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّاةَ ، فَسَحَّ ضَرْعَهَا (٤) وَذَكَرَ اسْمَ
اللَّهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا فِي شَاتِهَا .

قَالَتْ : فَتَفَاجَّتْ (٥) وَدَرَّتْ (٦) ، وَاجْتَرَّتْ (٧) .

فَدَعَا يَا نَاءَ يُرْبِضُ الرَّهْطَ (٨) فَخَلَبَ فِيهِ ثَجَبًا (٩) حَتَّى عَلَاهُ الثُّمَالُ (١٠) .

(١) خَلَّفَهَا الْجَهْدُ ، أَي : أَخْرَجَهَا عَنِ النَّهَابِ مَعَ الْغَنَمِ إِلَى الْمَرْعَى شِدَّةَ هَزَالِهَا
وَضَعْفِهَا مِنْ قَلَّةِ الْغَدَاءِ .

(٢) أَجْهَدُ . أَي : أَضْعَفُ .

(٣) حَلَبًا ، أَي لَبَنًا . (٤) ضَرْعَهَا ، أَي : ثَدْيِهَا .

(٥) تَفَاجَّتْ . أَي : فَرِحَتْ وَبَاعَدَتْ مَا بَيْنَ رَجْلَيْهَا لِتَحْلِبَ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنَ
أَسَاسِ الْبِلَاغَةِ وَالصَّحَاحِ .

(٦) « دَرَّتْ » أَي : كَثُرَ لَبْنُهَا .

(٧) اجْتَرَّتْ : أَخْرَجَتْ مَا فِي مَعْدَتِهَا وَصَارَتْ تَأْكُلُهُ ثَلَانِيًا .

(٨) يَرْبِضُ الرَّهْطُ . أَي : يَسَعُ مَا يَكْفِي الْجَمَاعَةَ مِنَ اللَّبَنِ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْقَامُوسِ

وَالصَّحَاحِ . (٩) ثَجَبًا : كَثِيرَ السَّيْلَانِ وَالْإِنْصَابِ .

(١٠) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الثُّمَالُ الرَّغْوَةُ .

فسفاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب
صلى الله عليه وسلم آخرهم ، وشربوا جميعاً عللاً^(١) بمد نهل حتى أراضوا^(٢) .

ثم حلب فيه ثانية عَوْدًا على بدء فغادره^(٣) عندها ثم ارتحلوا عنها .

فقلَّ ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعتراً حَيْلاً عجافاً^(٤)
يتساوكن^(٥) هُزلاً ، مُحْنٍ قليل ، لا نقي^(٦) بهن .

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لكم هذا ، والشاة عازبة^(٧)
ولا حلوبة في البيت ؟

قالت : لا والله ، إلا إنه مرَّ بنا رجل مُبَارَك ، كان من حديثه كيت
وكيت .

قال : والله إنى لأراه صاحب قريش الذي تطلب . صفيه لي يا أم معبد .

قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة^(٨) متبلج^(٩) الوجه ، حسن الخلق ،

(١) عللاً بمد نهل . أى : تكرر شربهم قال في المختار من الصحاح : الملل ،
الشرب الثانى ، والنهل الشرب الأول .

(٢) أراضوا . أى : ارتووا واتسموا وانبسطوا . كما يستفاد من القاموس .

(٣) غادره . أى : ترك الإناء .

(٤) اعتراً حَيْلاً عجافاً . أى شيئاً غير حوامل وضعافاً .

(٥) يتساوكن . أى : تضطرب أعناقهن من شدة الهزال والضعف .

(٦) لا نقي بهن . أى : لا منع في عظامهن . قال في الصحاح : النقي : منع المظم

وشحم العين من السمن .

(٧) عازبة . أى : بعيدة وغائبة .

(٨) الوضاعة : الحسن .

(٩) متبلج . أى : مضى ، مشرق .

لم تَعْيَنُهُ تُجَلَّةٌ (١) ولم تُزْرَ بِهِ صُعَلَةٌ (٢) ، قَسِيمٌ وَسِيمٌ (٣) ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ (٤) ،
وَفِي أَشْفَارِهِ ، وَطَفٌ (٥) ، وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ (٦) ، أَحْوَرٌ (٧) أَكْحَلٌ (٨) أَرْجٌ
أَقْرَنٌ (٩) ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ ، فِي عُنُقِهِ سَطَعَ (١٠) ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَافَةٌ .

إِذَا صَمِتَ فَعَلِيهِ الْوَقَارُ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلَاهُ الْبِهَاءُ (١١) كَانَ مِنْطَقَهُ .
خِرَزَاتٌ تُنْظَمْنَ يَتَجَدَّرْنَ ، حَلَوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذَرٌ (١٢) .
أَجْهَرُ النَّاسِ وَأَجْمَلُهُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ ، رُبْعَةٌ
لَا تَشْتَوُهُ (١٣) عَيْنٌ مِنْ طُولٍ ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ (١٤) عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ، غُصْبَيْنِ بَيْنَ

-
- (١) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : التَّجَلَّةُ بِالضَّمِّ : عَظْمُ الْبِطْنِ .
(٢) أَى : لَمْ يَعْهَدْ صَفْرٌ فِي رَأْسِهِ قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الصُّعَلَةُ : الصَّغِيرُ الرَّأْسِ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّعَامِ . وَرَجُلٌ صَعَلَ وَامْرَأَةٌ صَعَلَاءُ .
(٣) قَسِيمٌ وَسِيمٌ . أَى حَسَنُ الْوَجْهِ وَجَمِيلٌ .
(٤) دَعَجٌ . أَى شَدِيدٌ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَقَمَاتِهَا .
(٥) الْأَشْفَارُ : حُرُوفٌ وَأَطْرَافُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبَتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ .
وَالْوَطْفُ : كَثْرَةُ شَعْرِ الْعَيْنِ وَالْحَاجِبِينَ كَمَا فِي الصَّحَاحِ وَالْقَامُوسِ .
(٦) صَحَلٌ : يُقَالُ فِي صَوْتِهِ صَحَلٌ . أَى بِمُوحَاةٍ . اهـ صَحَاحٌ .
(٧) أَحْوَرٌ . أَى شَدِيدٌ بَيَاضِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِهَا . اهـ . صَحَاحٌ .
(٨) أَكْحَلٌ . وَهُوَ الَّذِي يَمْلَأُ جَفُونَ عَيْنِهِ سَوَادَ خَلْقَةٍ . اهـ مَصْبَاحٌ .
(٩) الرِّجَجُ : دَقَّةٌ فِي الْحَاجِبِينَ وَطُولٌ . وَالْأَقْرَنُ : بَيْنَ الْقَرْنِ . وَهُوَ
الْمَقْرُونُ الْحَاجِبِينَ . (١٠) وَفِي عُنُقِهِ سَطَعَ . أَى : طَوِيلٌ . اهـ صَحَاحٌ .
(١١) الْبِهَاءُ : الْحَسَنُ . اهـ . صَحَاحٌ .
(١٢) قَوْلُهُ : فَصْلٌ ، أَى : فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَقَوْلُهُ : لَا نَزْرٌ
وَلَا هَذَرٌ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ : أَى : لَيْسَ بِقَلِيلٍ فَيَدُلُّ عَلَى عَمَى (عَجْزٍ) وَلَا بِكَبِيرٍ فَاسِدٍ
اهـ . وَالْهَذَرُ : التَّكَلُّمُ بِمَا لَا يَنْبَغِي . اهـ مَصْبَاحٌ .
(١٣) تَشْتَوُهُ : تَبْغِضُهُ مِنْ فَرَطِ طَوْلِهِ .
(١٤) لَا تَقْتَحِمُهُ . أَى : لَا تَحْتَقِرُهُ . اهـ . قَامُوسٌ .

عُضْنِينَ ، فهو أُبَيُّ (١) الثلاثة منظرًا وأحسنهم قَدًّا (٢) ، له رفقاء يُحْفُونَ به (٣) ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا (٤) لأمره ، مَحْشُودٌ مَحْشُودٌ (٥) ، لا عابس ولا مُفْنِدٌ (٦) .

قال : هذا والله صاحب قريش الذي ذُكِرَ له من أمره ما ذُكِرَ ، ولو كنت وافيته لالتستُ أَنْ أَصْحَبَهُ ، ولأفعلنَ إِنْ وَجِدْتُ إِلَى ذَلِكَ سِيلاً .

وأصبح صوتٌ بمكةً عاليًا بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيئِينَ حَلًّا خَيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدِ
هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ	فَأَفْلَحَ مَنْ أَمَسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
قِيَالُ قُصَيٍّ مَا رَوَى اللهُ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تُجَازِي وَسُودِدِ
سَلُوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِبِهَا وَإِنَابِهَا	فَإِنَّكُمْ إِنْ سَأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ	لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةَ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَقَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبِ	بِدَرَّتِهَا فِي مَصْدِرِ ثُمَّ مَوْرِدِ

(١) أبى . أى : أحسنهم .

(٢) قَدًّا . أى : قامه جسمه . اه صحاح .

(٣) يحفون به . أى : أطافوا به واستداروا . اه . صحاح .

(٤) تبادروا . أى : تسارعوا وتسابقوا إلى تنفيذ أوامره .

(٥) محشود . أى : مخدوم . محشود . أى : يحفون (يسرعون) لخدمته . اه . صحاح .

(٦) قوله : لا عابس . يعنى : ليس كالح الوجه . ولا مفند ، ليس فيه ضعف

الرأى من الحرم .

فأصبح القوم قد فقدوا نبيهم ، وأجدوا على خيمتي أم معبد .

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لَمَّا حَابَ قَوْمٌ زَالَ عَمَهُمْ نَدِيمُهُمْ وَقُدْسٌ مَن يَسْرِي إِلَيْهِ وَيَعْتَدِي
تَرَ حَلَّ عَن قَوْمٍ فَنَزَّالَتْ (١) أَعْمُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدِّدٍ
وَهَلْ يَسْتَمَوِي ضَلَالٌ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمِي وَهَدَاةٌ يَنْتَدُونَ (٢) بِمُهْتَدِي
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتَلَوُ كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَإِن قَالِ فِي يَوْمٍ مَقَالَةٌ غَائِبِ فَتَصُدُّ بِهَا فِي صَحْوَةِ الْيَوْمِ أَوْغَدِ (٣)
لِيَهِنَ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةٌ جَدَّهُ بِصُحْبَتِهِ ، مَن يُسْعِدِ اللَّهُ يُسْعِدِ
وَيَهِنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرَصَدِ

البرزة الكبيرة . والمُرْمَلون : الذين نفذ زادهم . والمُسْتَنْتُونَ من السنة
وذي الجذب . وكسر الخيمة جانبها . والجهر : المشقة . وتفاجت : فتحت
ما بين رجليها لتجلب . ويرُبيض الرهط : يثقلهم فيربضوا (٤) . والثمال :
الرغوة . والمعلل : مرة بعد أخرى . وأراضوا : أى رويوا . والحليل :
اللاقي لسن بموامل . والعاذب : البعيد في المرعى . والتبيلج : المشرق .
والثجلة : عظم البطن واسترخاء أسفله . والصعلة : صغر الرأس . والوسيم :
الحسن ، وكذلك التسيم . والدعج : سواد العين . والوطف : الطول .
والصحل : كالبحة . والأحور : الشديد سواد أصول الأهداب خلقة .
والسطم : الطول .

(١) في شرح المواهب : فضلت عقولهم . (٢) شرح المواهب : يهتدون .

(٣) شرح المواهب : في اليوم أو في نحي المد .

(٤) المواهب : حتى يربضوا .

وقولها : « إذا تكلم مما » أى علا برأسه ويده . وقولها : لا تقتحمه
عين : أى تحتقره . والمُفْنِد : الهرم . والصریح : الخالص . والضرّة :
لحم الضرع .

• عن أم معبد قالت : طلع علينا أربعة على راحلتين ، فنزلوا بى .
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة أريد أن أذبها له فإذا هي
ذات (١) درّ ، فأدنيتها (٢) منه فلمس ضرعها ثم قال : لا تذبجها . فأرسلتها .
وجئت بأخرى ، فذبجتها وطبختها لهم ، فأكل هو وأصحابه .
فتغدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأصحابه ، وزودتهم منها ،
ما وسعت سفرتهم ، وبقي عندنا لحمها أو أكثره .
وبقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها ، حتى كان
عام الرمادة ، زمن عمر ، وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة .
قالت : وكنا نخلبها صبوحا وغبوقا ، وما فى الأرض قليل ولا كثير .

(٢) فأدنيتها ، أى : قربتها .

(١) أى : ذات لبن .

الباب الخامس

في تورية أبي بكر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم إلى المدينة

• عن أنس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب وأبو بكر رديفه . وكان أبو بكر يُعرف في الطريق ، لاختلافه إلى الشام . وكان يمر بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟ فيقول : هادٍ يهدينى إلى الطريق .

فلما دنوا من المدينة ، بعث إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار ، إلى أبى أمامة أصحابه ، فخرجوا إليهما فقالوا : ادخلا آمنين مطاعين . [فدخلتا] (١) .

قال أنس : فما رأيت يوماً قط ، أنورَ ولا أحسنَ ، من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، المدينة . وشهدت وفاته ، فما رأيت يوماً قط ، أظلمَ ولا أقيحَ ، من اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس

في لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة
بريدة الأسلمي ، وتناوله باسمه وخدمة بريدة إياه

• عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يتطيّر ، وكان يتفأمل ، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل ،
فيمن يأخذ نبيّ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيرده عليهم ، حين توجه
إلى المدينة .

فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فتلقى نبيّ
الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ فقال : أنا بريدة :
فالتفت إلى أبي بكر الصديق فقال : يا أبا بكر برّد أمرنا وصالح .

ثم قال : ممن أنت ؟ قال : من أسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : سلّمنا .

قال : ممن ؟ قال : من بني سهم .

قال : خرج سهمك [يا أبا بكر] (١) .

فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟

(١) من شرح المواهب ، نقل عن البيهقي .

قال : أنا محمد بن عبد الله ، رسول الله .
فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
فأسلم بريدة ، وأسلم من كان معه جميعاً .
فلما أصبح ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لا تدخل المدينة إلا
ومعك لواء .

فلما عمامته ، ثم شدّها في رمح ، ثم مشى بين يديه . فقال : يا نبي الله
تنزل عليّ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن ناقتي هذه مأمورة .
فقال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم ، طائعين غير مُكرهين .

الباب السابع

في ذكر تلقي أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إليها

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة .

وكانوا يقدون كل غداة إلى الحرة^(١) ينتظرونه حتى يردم حر الظهيرة .
فأقبلوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم .

فلما أروا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من اليهود على أطم^(٢) من آطامهم
لأمر ينظر إليه .

فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مُبْيَضِينَ^(٣) يزول
بهم السراب .

فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته :

يا معشر العرب ، هذا جدكم الذى تنتظرونه .

فتار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر
الحرة ، فمدل بهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف .
فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً .

(١) أرض ذات حجارة سود ، كانت بها الوقعة المشهورة أيام يزيد .

(٢) الأطم : الحصن .

(٣) مبيضين : عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزبير وطلحة .

وقال ابن التين : يحتمل أن معناه مستعجدين . قال ابن فارس : يقال بانص ، أى

مستعجل . شرح اللواهب ١/٣٥٠ .

الباب الثامن

في ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

- قال الزُّهري : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .
- وروى حَنَش الصنعاني عن ابن عباس ، قال :
- ولدرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونَبِيُّ يوم الاثنين ، ورفَع الحِجْر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقُبِض يوم الاثنين ، صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع

في ذكر المكان الذي نزل به حين دخل المدينة

• عن أبي بكر الصديق قال : مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قَدِمْنَا المدينة ، فلتقاه الناس ، فخرجوا في الطرق وعلى الأباغر . واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، جاء محمد .

قال : وتنازع القوم ، أيهم ينزل عليه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزلُ الليلة على بني النجار ، أخوال عبد المطلب ، لأكرمهم بذلك .
فلما أصبح ، غدا حيث أمر .
قلت : بيان الخوولة ، أن هاشمًا تزوج امرأةً من بني عدى بن النجار ، فولدت له عبد المطلب .

وقد ذكرنا في حديث عائشة أنفًا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في بني عمرو بن عوف ، هم أهل قُباء (١) .
• قال ابن إسحاق : فنزل على كلثوم بن الهدم ، أخي بني عمرو بن عوف .

(١) قال في القاموس : قباء بضم القاف ويذكر ويقصر . موضع قرب المدينة المنورة ، وموضع بين مكة والبصرة وبالقصر اسم بلد بفرغانة .
وفي اللصباح : وعباء : موضع بقرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الجنوب نحو ميلين وهو بضم القاف ، يقصر ويمد ، ويصرف ولا يصرف .

وقيل : نزل على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً ، لا أهل له .
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، في بني عمرو بن عوف ،
يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسّس مسجدهم ،
ثم خرج عنهم يوم الجمعة .

وقيل : مكث فيهم بضعة عشر يوماً :

ثم ركب ناقته وأرخص لها الزمام ، فجعلت لا تمرُّ بدار من دور الأنصار
إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم وقالوا :

هلمّ يا رسول الله ، إلى التدد والعُدّة .

فيقول لهم : خلوا زمامها فإنها مأمورة .

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب المسجد ، وهو
يومئذ مرّبد ، فلم ينزل عنها .

فوقبت ، فسارت غير بعيد ، ثم رجعت إلى مبركها الأول ، فبركت
فيه ووضعت جرائنها (١) .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبل أبو أيوب ، رحّله .

فنزل على أبي أيوب ، فأقام عنده ، حتى بنى مسجده ومساكنه .

• وقال الواقدي عن أشياخه : لما قدّم رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، أقام ببني عمرو بن عوف .

فلما كان يوم الجمعة ، ارتفَاعَ النهار ، دعا براحلته ، وركب والناس معه

عن يمينه ويساره .

(١) أى : وضعت عنقها على الأرض .

فاعترضته الأنصار ، لا يترُّ بدار إلا قالوا : هلمَّ يا نبي الله ، إلى القوة والمنسة .
فيقول لهم خيراً ، ويقول : إنها مأمورة .

فبركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء أبو أيوب ، فخطَّ رحله ، وأدخله منزله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المرء مع رَحْله » .

وجاء أسعدُ بن زُرارة ، فأخذ بزمام راحلته ، فكانت عنده .

وما كان من ليلة ، إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتان

والأربعة ، يتناويون ، حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل

أبي أيوب .

وكان مقامه فيه سبعة أشهر .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زيدَ بن حارثة ، وأبا رافع ،

إلى مكة ، وأعطاهما خمسمائة درهم وبميرين .

فقدما بفاطمة ، وأم كلثوم ، ابنتيه ، وسودة ، زوجته ، وأسامة

ابن زيد (١) .

وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم ، بعيال أبي بكر ، فيهم عائشة .

فلما قدموا المدينة ، أنزلهم في بيت جارية بن النعمان .

● قال محمد بن حبيب الهاشمي : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

نزل قباء ، على كلثوم ، وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثة ، وسُمِّي

منزل المزاب .

وركب من قباء يوم الجمعة ، يؤم المدينة لجمع (٢) في بني سالم .

وكانت أول جمعة ، جمعها في الإسلام .

(١) زاد في اللواهب : « وأم أيمن وولدها أيمن » كافي رواية الطبراني .

(٢) أي: صلى الجمعة .

الباب العاشر

في ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، لعبت الحبشة بجوابها ، فرحاً بذلك .

• عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بجوار من الأنصار ، وهم يتغنَّون بثلث :
نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ وَحَبِيدَا مُحَمَّدًا مِنْ جَارِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله يعلم أني أحبكن » .

• عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جعل النساء والصبيان والولائد يقرنن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ نَفْيَاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ

الباب الحادي عشر

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن سلام حين دخل المدينة

• عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة انجفل^(١) الناس ، وكنت فيمن أتى .

فلما رأيت وجهه ، عرفت أنه غير وجه كذاب ، فسمته يقول :

أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا
بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

(١) انجفل القوم : اتقلموا (يعنى : أسرعوا) فمضوا .

الباب الثاني عشر

في فضل المدينة

- عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة » . أخرجاه .
وفي أفراد مسلم ، من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا يثبت أحدٌ على لأوائها وشدتها ، إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » .
- عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من استطاع أن يموت بالمدينة ، فليمت ، فإن مات بالمدينة ، شفعت له يوم القيامة » .
- عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« صيام شهر رمضان بالمدينة ، كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة بالمدينة كالف صلاة بما سواها » .
- عن أبي ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« غبار المدينة ، شفاء من الجذام (١) » .
- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« المدينة قبة الإسلام ، وقلب الإيمان ، وما بين الحلال والحرام » .

(١) أخرجه رزين ، وهو لا يوثق به .

الباب الثالث عشر

في ذكر بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس ، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه رجال من المسلمين . وكان مربرداً للتمر لتسهل وسُهيل غلامين يتيمين ، في حجر أسعد ابن زرارة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به :

هذا ، المنزل إن شاء الله .

ثم دعا الغلامين ، فساومهما بالبريد ، ليتخذاه مسجداً ، فقالا :

بل نهيه لك يا رسول الله .

ثم بناه مسجداً ، وطلق ينقل معهم اللبن في بنائه ويقول :

هَذَا الْجَمَالُ لَا حَمَالَ خَيْرٍ هَذَا أَبْرَهُ رَبَّنَا وَأَطْهَرَ

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْأَخِرَةِ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

• عن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة^(١)] .

فنزل في حَيٍّ يقال لهم : بنو عمرو بن عوف .

فأقام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بني النجار ، فجاءوا بالسيوف .

وكان في أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وأبو بكر ردفه ، وملاً^(١) بني النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبي أيوب .

وكان يجب أن يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مراتب الغنم ، وأنه أمر ببناء المسجد .

فأرسل إلى بني النجار^(٢) فقال :

يا بني النجار ، ثامنوني بمخاطبكم هذا .

قالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .

قال أنس : فكان فيه ما أقول لكم ، كان فيه قبور المشركين وخرب^(٣) ، وفيه نخل .

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين ، فنبشت ، ثم بالحرب ، فسويت وبالنخل فقطع .

فصنوا النخل ، قبله المسجد ، وجعلوا عضادتيه حجارة .

وجعلوا ينقلون الصخر ، وهم يرتجزون ، والنبي صلى الله عليه وسلم معهم وهو يقول :

(١) وملاً . أى : جماعة : (٢) البخارى : إلى ملاً بني النجار .

(٣) الحرب بفتح المعجمة وكسر الراء . جمع خربة كلمة وكلم ، وجوز الخطابى

أنه خرب بضم المهملة وسكون الراء وهى الخروق المستديرة فى الأرض .

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرَ الْأَحْرَةِ فَأَعِزِّهِ يَا نُصَّارِ وَالْمُهَاجِرَةِ (١)

• عن ابن عمر قال : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد . وعمده الخشب من النخل . فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً .

وزاد فيه عمر ، وبناه على بناءه ، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً .

ثم غيرَه عثمان ، وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة (٢) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

انفرد بإخراجه البخاري .

(١) حديث أخرجه البخاري في كتاب صلاة باب هل تبتش قبور مشركي

(٢) القصة : الحصة .

الباب الرابع عشر

في فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ؛ ومسجدي ؛
والمسجد الأقصى ، وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه ،
إلا المسجد الحرام .
- عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا
المسجد الحرام » .
- قال ابن عقيل : قوله : « صلاة في مسجدي » إشارة إلى ما كان
مسجداً في زمانه ، لا إلى ما أدخل في المسجد من الزيادة .
- عن أبي سعيد قال : تمارى رجلان في المسجد ، الذي أسس على
التقوى من أول يوم .
- فقال رجل : هو مسجد قباء . وقال الآخر : هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو مسجدي » .
أخرجه مسلم .

الباب الخامس عشر

في ذكر ما بين بيته ومنبره صلى الله عليه وسلم

- عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » .
أخرجاه .
- عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي .
أخرجاه .
- عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، وإن منبري على ترعة
من ترع الجنة .
وما بين المنبر ، وبيت عائشة ، روضة من رياض الجنة .
والترعة : الروضة على المكان المرتفع .

الباب السادس عشر

في ذكر بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه

- عن محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبي الرجاء :
أين كانت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟
فأخبرني عن أبيه عن أمه ، أنها كانت كلها ، في الشق الأيسر ، إذا
قمت إلى الصلاة ، إلى وجه الإمام في وجه المنبر ، هذا أبعدُهُ .
ولما توفيت زينب بنت خزيمة ، أدخلَ أمَّ سلمة بيتها .
قال محمد بن عمر : كانت لحارثة بن النعمان منازل قريبة من المسجد وحوله .
فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلاً تحوّل له حارثة عن
منزله ، حتى صارت منازلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه .
- قال ابن سعد : وأوصت سودة ببيتها لعائشة .
وباع أولياء صفية بنت حُيَيِّ بيتها من معاوية ، بمائة ألف وثمانين ألف درهم .
واشترى معاوية من عائشة منزلها ، بمائة ألف وثمانين ألف ، وقيل :
ثمانين ألف .
وشرط لها سكنها ، حياتها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من مجلسها
حتى قسمته .
وقيل : بل اشتراه ابنُ الزبير من عائشة ، بعث إليها خمسة أجمال ،
تحمل المال ، وشرط لها سكنها حياتها ، ففرقت المال .

فقيل لها : لو خبأت منه درهماً ؟ فقالت : لو ذكرتموني فطلت .
وتركت حفصة بيتها ، فورثه ابن عمر ، فلم يأخذله ثمناً ، فأدخل في المسجد .

• قال ابن سعد ، قال عبد الله بن يزيد (١) الهذلي :

رأيت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حين هدمها عمرُ بن
عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وزادها
في المسجد .

كانت بيوتاً مبنية باللبن ، ولها حُجْر من جريد ، عددتُ تسعة أبيات
بِحُجْرها ، ورأيت بيتَ أمِّ سلمة وحجرتها ، من لبن .

قال ابن شهاب : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل ؛
بَدَتْ أمُّ سلمة حجرتها بلبن ، فلما قدم قال : ما هذا البناء .
فقالت : أردت أن أكفَّ أبصارَ الناس .

فقال : إن شرَّ ما ذهب فيه مالُ المرء المسلم (٢) البنيانُ .

وقال عطاء الخراساني : أدركت حُجْر أزواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جريد النخل ، على أبوابها المسوح ، من شعر أسود .

فحضرتُ كتاب الوليد يُقرأ ؛ يأمر بإدخال حُجْر أزواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فما رأيت يوماً ، أكثر باكياً من ذلك اليوم ؟

فسمعت سعيد بن المسيَّب يقول يومئذ :

والله لو ددتُ أنهم تركوها على حالها ، حتى ينشأ أناس من أهل المدينة ،

ويُقدِّم القادم ، فيكون ذلك مما يزهدُّ الناس في التكاثر والتفاخر ! !

(١) الأصل : زيد . والتصويب من ابن سعد . (٢) ابن سعد : مال المسلمين .

الباب السابع عشر

في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يحبب الله إلى أصحابه المدينة

عن عائشة قالت : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي بيثة ،
فرض أبو بكر ، فكان إذا أخذته الحمى يقول :
كلُّ امرئٍ مُصِّحٌ في أهله والموتُ أدنى (١) من شرِّك (٢) نفعه
وكان يلايل إذا أخذته الحمى يقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ أَيْلَةً بَرَادٍ وَحَوْلِي إِذْخَرَ وَحَلِيل (٣)
وَهَلْ أُرِدُّنَ يَوْمًا مِيَاهَ حَجَّةٍ وَهَلْ يَهْدُونُ لِي شَامَةَ وَطَفِيل (٤)
اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما
أخرجونا من مكة .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفعلوا قال :
اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحببنا مكة أو أشد ، اللهم صحِّحْهَا ، وبارك
لنا في ساعها ومُدَّهَا ، وانقل حُمَّهَا فاجعلها بالْحِجَّة (٥) .

(١) أدنى : أقرب .

(٢) قال في المصباح : وشراك النمل : سيرها الذي على ظهر القدم .

(٣) الإذخر : حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة . والجليل : نبت ضعيف .

(٤) حجة : موضع على أميال من مكة ، كان به سوق في الجاهلية . وشامة

وطفيل : جيلان . (٥) الحجفة : قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة .

الباب الثامن عشر

في صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبة

• عن البراء قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، ثم صرفنا إلى الكعبة .

الباب التاسع عشر

في ذكر الوقت الذي حولت فيه

قال محمد بن حبيب الهاشمي : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ بشر بن البراء بن معرور في بني سَدَمَةَ ، وذلك في يوم الثلاثاء للنصف من شعبان ، فتغدى هو وأصحابه ، وجاءت الظهيرة فصلى بأصحابه ركعتين من الظهر إلى الشام .

ثم أمر أن يستقبل الكعبة ، ودارت الصفوف خلفه ، ثم أتم الصلاة فسبى مسجد القبلتين .

قال الواقدي : كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

وقال السُدِّي : حولت على رأس ثمانية عشر شهراً .

الباب العشرون

في نزول فرض رمضان

- عن أبي سعيد الخدري قال : أنزل فرض رمضان بعدما صُرفت القبلة إلى الكعبة بشهر ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر قبل أن تُفرض الزكاة في الأموال .

الباب الحادي والعشرون

في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يُحرس بالمدينة

- عن عائشة قالت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم قال : اللهم آتني رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة . إذ سمعتُ صوت السلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟ قال سعد بن أبي وقاص : أنا يا رسول الله ، أتيتُ أحرسك . قالت عائشة : فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيته . وفي رواية عن عائشة : فنزلت : « وَاللَّهُ بِمَعْصِمِكَ مِنَ النَّاسِ » (١) . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبّة آدم وقال : « انصرفوا أيها الناس ، فقد عصمني الله تعالى » .



ابواب و معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانت صورة نبينا صلى الله عليه وسلم وهيته وسميته تدلُّ العقلاء
على صدقه .

ولهذا قال عبد الله بن سلام : فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس
بوجه كذاب .

ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك .

وكان في صغره يُعرف بالأمانة والصدق وجميل الأخلاق .

وقد قال قيصر في حديث أبي سفيان : لم يكن ليذّر الكذّابَ على
الناس ويكذب على الله تعالى .

وسنذكر أمهات معجزاته أبواباً إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

في ذكر معجزة الأكبر وهو القرآن العزيز

لَمَّا غَلَبَ السَّحَرُ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِحُجَّتِهِ فِي مَعْجَزَاتِهِ ،
فَقَلَّقَ الْبَحْرَ ، وَأَلْقَى الْعَصَا .

وَلَمَّا غَلَبَ الطَّبُّ فِي زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِحُجَّتِهِ ، فَأَحْيَا الْمَوْتَى ،
وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ .

وَلَمَّا غَلَبَتِ الْفَصَاحَةُ وَقَوْلُ الشُّعْرِ وَالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُمْ بِالْقُرْآنِ .

وهو مُعْجَزٌ مِنْ أَوْجِهٍ :

أحدها : ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في الإيجاز والإطالة .

فتارةً يَأْتِي بِالْقِصَّةِ بِاللَّفْظِ الطَّوِيلِ : ثُمَّ يَعِيدُهَا بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ ، فَلَا يُحْمَلُ

بمقصود الأولى .

والثاني : مفارقتة لأساليب الكلام وأوزان الأشعار .

وبهذين المعنيين تحدث العرب ، فمعجزوا وتجيروا وأقروا بفضله ، حتى

قال الوليد بن المغيرة : والله إن له لخلوةً وإن عليه لطلاوةً (١) .

• عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع هو وثنان من قريش ،
وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسمُ ، فقال :

(١) قال في الصحاح : الطلاوة : بثلاث الطاء : الحسن والقبول .

إن وفود العرب ستقدّم عليكم ، وقد سمعوا بصاحبكم هذا ، فأجموا
فيه رأياً ولا تختلئوا ، فيكذب بعضهم بعضاً ، ويردّ قول بعضهم بعضاً .

قالوا : أنت قُلّ ، وأقم لنا رأياً تقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

فقالوا : تقول : كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو برمزمة

الكاهن وسحره .

فقالوا : تقول مجنون .

فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بمجنمه

ولا تخالجه ولا وسوسته .

فقالوا : تقول شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه

ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : تقول ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحّار وسحّرم ، فما هو بنفّته

ولا عقّده .

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن اتونه حلاوة ، وإن أصله لمُفْدَق وإن فرعه لمثمر .

فما أتم بقائلين من هنا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل ، وإن أقرب القول

أن تقولوا ساحر .

فقولوا : هو ساحر يفرّق بين المرء وزوجه وأحبه .

فتفرقوا عنه بذلك .

• وكان النضر بن الحارث بن كَلْدَةَ يقول : يا معشر قريش ، لقد نزل بكم أمرًا ما ابتليتُم بمثله ، والله ما هو بساحر ، ولا كاهن ، ولا شاعر ، ولا مجنون .

ولما حضر عتبة بن ربيعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه : « حَمَّ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » (١) إلى أن بلغ فقال : « أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم أن يكفَّ .

وقال لأصحابه : خِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ الْعَذَابُ .

قال المصنف رحمه الله : فلما تحمَّروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا ، نودى عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله تعالى : « فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ » .

ثم قال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا (٢) » .

ومعلوم أن النفوس الأبية ، إذا قرعت بمثل هذا ، استفرغت الوسع . فلما عدَّوا إلى المحاربة والقتال ، ووصوا بسبِّي الذراري وأخذ الأموال ، علم عجزهم . وهم معدن البلاغة والنصاحة ، والقرآن من جنس كلامهم .

ولما أقدم مُقَدِّمُهُمْ على معارضة نظر إلى السور القصار فعارضها ، لأن تأليف الطوال ، يبين به الفصاحة الزائدة على الحد .

(١) سورة فصلت . الآيات من ١ إلى ١٣

(٢) سورة البقرة ٢٣ و ٢٤ .

فعارض سورة الفيل . فقال : الفيل وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ،
وخرطوم طويل ، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل .

وقال : يا ضفدع ، تأنيث ضفدعين ، نُتِّي كم تنقن ، أعلاك في الماء ،
وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدِّرين ، ولا الشراب تمنعين .

قال : ومن المعائب شاة سوداء ، تحلب لبنا أبيض .

فظهرت فضائحهم بمثل هذا ، ولو سكتوا كان أصح لهم .

ومن طمس على قلبه ، أبو العلاء المعرّي ، فإنه جمع كلاما سماه :
« الفصول والغايات » يعارض (١) بزعمه السور والآيات .

وقد رأيت ، فإرأيت أبرد من ذلك الكلام ولا أسمع !

وقد جعله على حروف المعجم في آخر كلماته ، فن حرف الألف :

« كان النعال على عصيِّ الطلح ، يعارضون الركائب في الموادج ،
والظلماء تستغفر لهم ، فخبب القمر وضيء الشمس ، وهينئاً لتاركي الثوق
طلائح في غيطان الغلاة ، يحوم عليها ابن داية ، ويظيف بها السرحان ،
وسنان أورك ، ترد الألبان لبنها أقعد من الغطاء » (١) .

وكله من هذا الجنس البارد .

(١) لا نوافق المؤلف رحمه الله على هذا الظن ، فإن كتاب « الفصول
والغايات » لأبي العلاء الذي يتحدث عنه مليء بشواهد الإيمان والتوحيد ، وليس
فيه أدنى شبهة بممارسة القرآن ، وقد نشره الأستاذ محمود حسن زناتي سنة ١٩٣٨
وأثبت في مقدمته براءته من هذه التهمة .

(٢) لم يرد هذا النص في « الفصول والغايات » المطبوع ، لأن أول حرف
الألف مفقود من هذا الكتاب ، وفي هذا النص تحريف .

قال ابن عقيل : وحكى لى أبو محمد بن مسلم النحوى قال : كنا نتذاكر
إعجاز القرآن ، وكان ثمَّ شيخ كبير الفضل ، فقال : ما فيه ما يعجز
الفضلاء عنه .

ثم ترقى إلى غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ، ووعد أنه سيناديهم بعد ثلاثة
أيام بما يعلمه ، مما يضاهاى القرآن .

فلما انقضت الأيام الثلاثة ، صعد واحد ، فوجده مستنذا يابسا ، وقد
جفت يده على القلم .

* * *

قلت : وقد كان المرتضى العلوى يقول بالصرفة ، وأن الله تعالى صرف
العرب عن الإتيان بمثله ، لا أنهم عجزوا .

قال ابن عقيل : الصِّرفُ عن الإتيان بمثله ، دالٌّ على أن القدرة لهم
حاصلة ، فإن كان فى الصِّرف نوعُ إعجاز ، إلا أن كون القرآن فى نفسه
ممتنعا على الإتيان بمثله لستى نعود إليه ، أكبرُ فى الدلالة وأعمُّ لفضيلة
القرآن .

وما قولٌ من قال بالصرفة ، إلا بمثابة من قال : إن عيون الناظرين
إلى عصى موسى ، تمخَّل لهم أنها حية وثعبان ، لا أنها فى نفسها انقلبت .

قال : والتحدى للمصروف عن الشيء ، لا يحسن ، كما لا يتحدى
العجم بالعربية .

هذا قول ابن عقيل .

وأنا أقول : إنما يَصْرَفون عن الشيء ، بتغيير طباعهم عند نزوله
أن يقدروا على مثله .

فهل وُجِدَ لأحد منهم قَبْلَ الصَّرْفَةِ ، منذ وجد العرب ، كلامٌ يقاربه
مع اعتمادهم الفصاحة ؟

والثالث في معجز القرآن : ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير
الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب ، مع كون الآتي بها أممياً لا يكتب
ولا يقرأ ، ولا عُلِمَ بمجالسة الأخبار ولا الكهان .

ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأخبار ، لم يُذْرِكْ
ما أخبر به القرآن .

والرابع : إخباره عن الغيوب المستقبلية الدالة على صدقه قطعاً ، لوقوعها
على ما أخبر ، كقوله : « فتمنّوا الموت » (١) ثم قال « ولن يتمنوه أبداً » .
وقوله : « فاتوا بسورة من مثله » (٢) [ثم قال] : « ولن تفعلوا »
فما فعلوا .

وقوله : « قل للذين كفروا ستغلبون » (٣) .
وغلبوا .

وقوله : « لتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين » (٤) ودخلوا .

وقوله في أبي لهب : « سيصلى ناراً ذات لَهَبٍ وامرأته » (٥) وهذا
دليل على أنهما يموتان على الكفر ، وكذلك كان .

والخامس : أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض .

(٢) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة البقرة ٩٤

(٤) سورة الفتح ٢٧

(٣) سورة آل عمران ١٢

(٥) سورة السد . الآية ٣ و ٤

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء ٨٢).
وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١) :

قال ابن عقيل : حفظ جميعه وآياته وسوره ، التي لا يدخل عليها تبديل ،
من حيث عجز الخلائق عن مثلها .

فكان القرآن حافظ نفسه ، من حيث عجز الخلائق عن مثله .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ، ما آمن عليه
البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى الله عز وجل إليّ ، فأرجو أن
أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة .

قال أبو الوفا ، علي بن عقيل : إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو مُنْتَقَى إليه ، فانظر إلى كلامه ،
كيف يمتاز عن القرآن ، وتلخّص ما بين الكلامين والأسلوبين ، ومعلوم
أن كلام الإنسان ، يتشابه وما للنبي صلى الله عليه وسلم ، كلمة تشاكل
نمط القرآن .

قال ابن عقيل : ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحداً أن يستخرج
منه آيةً قد أخذ معناها من كلام قد سبق ، فإنه ما زال الناس يكشف
بعضهم عن بعض فيقال : المتنبى أخذ من البُحْتري .

قال : وقد سئل علي بن عيسى فقيل له : لو كان هذا الكتاب العزيز
يترجم (٢) ما الذي كان ينبغي [أن] يترجم به ؟

(١) سورة الحجر ٩

(٢) يترجم : يوضع له عنوان يميزه ويدل عليه .

قال : كان ينبغي أن يترجم بآية منه ، لا بشيء من كلامنا .

قالوا : وما هذه الآية التي يترجم بها ؟

قال : قوله تعالى : « هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَتْلُمُوا أَنَّامًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاحِدٌ وَرَيْدٌ كَرُّ أُولَئِكَ الْأَنْبَابِ » (١) .

قال ابن عقيل : ما أصاب ابن عيسى عندي ، لأنه إنما يترجم الكتاب تعريفاً ، لئلا يختلط كتاب بكتاب .

فإذا كان هذا الكتاب ممتنع النظير ، سيوجد النظر في نفسه لا يختلط

به غيره ، فلماذا يترجم ؟!

ولو جاز أن يترجم كما تترجم الكتب - مع تمييزه بإعجازه ، وعدم اختلاطه بغيره ، وليعلم كلام من هو وتأليف من هو كمادة آيات الكتب - جاز أن يكتب على جبهة الحيوانات ، كالفرس والبعير ، وعلى جبهة الآدمي : « هذه صنعة الله » !

فلما لم يحسن ذلك ، للعلّة التي بيّنتها ، بطل أن الترجمة سائفة .

وأنا لا أسوّغ له ترجمة .

ولو وجدنا هذا المصحف العزيز ، ملقاً في برية ، ما جاء به أحد ، أخبرنا بما فيه من الدليل أنه من عند الله .

فكيف وقد جاء به المصوم مؤيداً بالمعجزات ؟!

* * *

قال المصنف رحمه الله : وقد استخرجت معنيين مجيبين :

أحدهما : أن معجزات الأنبياء ذهبت بموتهم ، فلو قال ملحدُ اليوم :
أى دليل على صدق محمد وموسى ؟ فقيل له : محمد شقَّ له القمر ، وموسى
شق له البحر ، لقال : هذا محال .

فجعل الله سبحانه هذا القرآن معجزاً لمحمد صلى الله عليه وسلم يَبْقَى
أبداً ، ليظهر دليلُ صدِّقه بعد وفاته ، وجعله دليلاً على صدق الأنبياء ، إذ هو
مصدِّق لهم ومخبر حالهم .

والثاني : أنه أخبر أهل الكتاب بأن صفة محمد صلى الله عليه وسلم
مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل ، وشهد لحاطب بالإيمان ، ولعائشة
بالبراءة ، وهذه شهاداتٌ على غيبٍ .

فلو لم يكن في التوراة والإنجيل صفتُه ، كان ذلك منقراً لهم عن الإيمان
به ، ولو علم حاطب وعائشة من أنفسهما ، خلاف ما شهد لهما به ، نفرا
عن الإيمان .

الباب الثاني

في معجزة بشق القمر

قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فعلت تؤمنون ؟ قالوا : نعم . فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا .

فانشق القمر فرقتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا فلان يا فلان ، اشهدوا .

وذلك بمكة قبل الهجرة .

قال مجاهد : انشق القمر ، فوقت فرقة فوق الجبل ، وذهبت فرقة من وراء الجبل .

وقال ابن زيد : لما انشق كان يرى نصفه على قُصَيْمَانَ (١) ، والنصف الآخر على أبي قبيس .

• عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه .

(١) قُصَيْمَان : بصيغة التصدير . جبل مشرف على الحرم من جهة الغرب . سمي بذلك ، لأن جرهما كانت تجمل فيه سلاحها من الدرق والقسى والجباب ، فكانت تغمغ . أى : تصوت .

قال ابن فارس : التغمغ . حكاية أصوات الترسة وغيرها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .
أخرجاه .

وفي لفظ انشق القمر شقة فوق الجبل ، وشقة يسترها الجبل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

• عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرهم آية ، فأراه القمر شقتين ، حتى رأوا حِراءَ (١) بينهما .
قال البخارى : عن ابن عباس : انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .

أخرجاهما .

• عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال قوم : هذا سحرٌ ، سحرهم ابنُ أبي كبشة ، فاسألوا الذين يقدم عليكم ، فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق ، وإلا فهو سحر .
فقدم السفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه ، قد انشق القمر .
• عن ابن عمر في قوله تعالى : « اقترَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » (٢) .
قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين .

(١) قال في اللصباح : وحراء ، وزان ، كتاب : جبل بمكة ، يذكر ويؤنث
قاله الجوهري . واقصر في الجمهرة على التأنيث وهو أى : (حراء) مقابل ثبير .

(٢) سورة القمر . الآية ١

الباب الثالث

في إظهار معجزاته في تكثير الطعام^(١)

• عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق .

وكانت عندي شوية عنز جذعة سمينة فقلت :

لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمرتُ امرأتِي ، فطحنَت لنا شيئاً من شعير ، وصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فلما أمسينا ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا ، قال :

قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز الشعير ، فأحبُّ أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزلي .

ولإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

فلما قلت له ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر .

(١) كان تكثير الطعام وللإمداد ، بمعنى البركة فيهما أو الإمداد من عند الله ، إكراماً من الله لرسوله وللمؤمنين معه ، وكانت الضرورة تقتضي ذلك .

قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ، فجلس فأخرجناها إليه .

قال : فبارك ، وسمى ، ثم أكل . وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا ، وجاء ناس حتى صدر^(١) أهل الخندق عنها .

أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : توفي عبد الله بن عمرو بن حرام ، يعني أباه ، أو استشهد ، وعليه دين فاستعنت برسول الله صلى الله عليه وسلم على غرمائه ، أن يضعوا من دينه شيئاً . فطلب إليهم ، فأبوا .

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فصنّف تمرّك أصنافاً ، المعجوة على حدة ، وعذق [ابن] زيد على حدة وأصنافه^(٢) ثم ابعث إلى . ففعلت .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس في أعلاه أو في وسطه ثم قال : كلّ للقوم . قال : فكَلت لهم حتى أوفيتهم^(٣) . وبقى تمرى ، كأن لم ينقص منه شيء .

انفرد بإخراجه البخارى^(٤) .

(١) صدر أهل الخندق : يريد : أنهم تركوا الطعام كما هو وقد شبعوا جميعاً .

(٢) البخارى : فقال صنّف تمرّك كل شيء منه على حدته ، عذق ابن زيد على

حدة واللبن على حدة والمعجوة على حدة ، ثم أحضرهم حتى آتيتك .

(٣) أوفيتهم : أى أعطيت كل واحد حقه كاملاً .

(٤) الحديث ذكره البخارى فى كتاب الاستقراض وأداء الديون ، مخالفاً لهذه

الرواية ، ويظهر أن للؤلّف رواها بالمنى ، وللمحدث بقية فى البخارى ١/٣٣٦

• عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال :
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فأصاب الناس
مُحَمَّصَةً .

فاستأذن الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نَحْر بعض ظَهْرهم ،
وقالوا : يبلِّغنا الله به .

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همَّ أن
يأذن لهم في نحر بعض ظهْرهم ، قال :

يا رسول الله . كيف بنا إذا نحن لتقينا القوم غدًا جِيعاء رجالاً ؟ !
ولكن إن رأيت - يا رسول الله - أن ندعو الناس ببقايا أزوادهم ،
نجمعها لهم ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله تعالى سيبلِّغنا بدعوتك .
أو قال : سيبارك لنا في دعوتك .

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يَحْمُونَ
بالخثوة من الطعام وفوق ذلك ، وكان أعلامهم ، من جاء بصاع من تمر .
فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ، فدعا ما شاء الله أن
يدعو ، ثم دعا الجيش بأوعيتهم ، وأمرهم أن يَحْمُوا .
فأبقى في الجيش وعاء ، إلا مملوءة ، وبقي مثله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله . لا يلقى الله عبد مؤمن بهما
إلا حُجبت عنه النار يوم القيامة .

• عن عمر بن الخطاب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ، فقلت : يا رسول الله خرج إلينا الروم ، وهم شباع ، ونحن
جِيعاء ، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم .

فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس :

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَأْتِنَا .

فَخَزَرْنَا جَمِيعًا مَا جَاءُوا بِهِ ، فَوَجَدُوهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ صَاعًا .

فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِهِ فَدَعَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا وَلَا تَتَّبِعُوا .

فَأَخَذُوهُ فِي الْجُرْبِ وَالغَرَائِرِ ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَقْدُّ قَمِيصَهُ فَيَأْخُذُ فِيهِ ،

حَتَّى صَدَرُوا ، وَإِنَّمَا نَحْوُ مَا كَانُوا يَحْزِرُونَ .

• عَنْ أَبِي إِبَاسٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي غَزَاةٍ فَأَصَابَنَا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضُ ظَهْرِنَا .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَمَعْنَا مِزَاوِدَنَا ، فَبَسَطَ لَهُ نَطْعًا

فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّطْعِ .

فَتَطَاوَلْتُ لِأَحْزَرِهِ ، فَإِذَا هُوَ كَرَبِضَةِ الْعَنْزِ (١) وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً .

قَالَ : فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبَعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ حَشُونَا جُرْبِنَا .

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ .

• عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سَلِيمٍ : لَقَدْ سَمِعْتُ

صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِيمًا ، أَعْرَفُ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ

مِنْ شَيْءٍ [قَالَتْ : نَعَمْ] (٢) .

فَأَخْرَجَتْ أَقْرَابًا مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خَمَارًا لَهَا ، فَلَفَّتِ الْخَبِيزَ

بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي ، وَرَدَّتْنِي (٣) بَعْضَهُ ، ثُمَّ أُرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) كَرَبِضَةُ الْعَنْزِ . أَيْ : مِقْدَارُ مَسَاحَةِ مَا تَأْوِي إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ .

(٢) مِنَ الْبُخَارِيِّ ، بَابُ عِلَامَاتِ النَّبِوَةِ . (٣) الْبُخَارِيُّ : وَلَا تَقْنِي بَعْضَهُ .

قال : فذهبت به ، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
ومعه الناس ، فقامت عليهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟
فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم .

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن معه : قوموا :
فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته .

فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالناس ، وليس عندنا من الطعام ما يطعمهم .
فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحة ، حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأقبل أبو طلحة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلا .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمّي (١) يا أم سليم ، ما عندك .
فأتت بذلك الخبز .

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتّ ، وعصرت أم سليم عكّة
لها فادمتّه .

ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله أن يقول :
ثم قال : ائذن لعشرة . فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا .
فأكل القوم ، وشبعوا ، والقوم ثمانون رجلا .

(١) هلمى . أى : أحضرى .

أخرجاه (١).

• عن أنس بن مالك قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله .

قال فصنعت أمي ، أم سليم حنيسا (٢) ، فجعلته في تور (٣) فقالت :

يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقل : بعث بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام وتقول لك : إن هذا لك منا قليل .

قال فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

إن أمي تقرئك السلام ، وتقول لك : إن هذا لك منا قليل .

فقال : ضعه .

ثم قال : اذهب فادع فلانا وفلانا ، أو من لقيت . وسمي رجلا .

قال : فدعوت من سمى ومن لقيت .

قال : قلت لأنس : كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، هات التور .

فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في باب الأظعمة من الصحيحين من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي

طلحة عن أنس .

(٢) قال في المصباح : (الحيس) تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويسجنان

بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبق كالتريد وربما جعل معه سويق اه . ومثله في

المصباح والقاموس .

(٣) التور : إناء من صفر أو حجارة : ورواية البخاري : « في برمة » .

ايتخلف عشرة عشرة ، لياً كل كل إنسان مما يليه .
قال : فأكلوا حتى شبِعوا ، وخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى
أكلوا كلهم .

ثم قال : يا أنس ارفع .

فما أدرى حين وُضعت [كان (١)] أكثر أم حين رُفِعت ؟ !

• عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال : كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد
منكم طعام ؟

فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فُعِجَن .

ثم جاء رجل مشرك مُشَعَانٌ (٢) طويل ، بغنم يسوقها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطية ؟ أو قال : هِبَةٌ ؟
قال : بل بيع .

فاشترى منه شاةً فصُنعت .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يُشَوَى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة ، إلا قد حَزَّ رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم حَزَّةً من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه [إياه] (٣) وإن
كان غائباً خبأ له . قال : وجعل منها قصعتين .

(١) من اللواهب .

(٢) للشعان : التائر الرأس .

(٣) من اللواهب .

قال : فأكلنا أجمعون ، وشبعنا ، وفضل في القصمتين (١) ، فحملناه على
بغير . أو كما قال .

أخرجاه .

• عن علي رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بني عبد المطلب ، ثم دعا بئس (٢) فشربوها حتى رووا ، وبقى الشراب
كأنه لم يُمسَّ أوله بشرب ، فقال :

يا بني عبد المطلب ، إني بُعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، وقد
رأيتم مني هذه الآية ، فأياكم ييا يعني علي أن يكون أخي وصاحبي ؟

قال : فلم يقم إليه أحد . قال : فقامت إليه ، وكنت أصغر القوم .

قال : فقال : اجلس . ثم قال : ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه ،
فيقول لي : اجلس .

حتى إذا كانت الثالثة ، ضرب بيده على يدي .

• عن سكرة بن جندب قال : بينا نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم
أثني بقصة فيها تريد . قال : فأكل ، وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها
إلى قريب من الظاهر ، يأكل كل قوم ، ثم يجيء قوم فيتعاقبونه .

قال : قال له رجل : هل كانت تمدُّ بطعام ؟

قال : أمّا من الأرض فلا [إلا] أن تكون كانت تمدُّ من السماء .

• عن أبي أيوب الأنصاري قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبي بكر طعاما ، قدرنا يكفيهما ، فأتيتهما به .

(١) رواية للمواهب : ففاضت القصمتان .

(٢) قال في الصحاح : (النس) القدح العظيم والرفد ، أكبر منه ، وجمعه عساساه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب ، فادع لي ثلاثين من
أشراف الأنصار .

قال : فسق ذلك عليّ ، ما عندي ما أزيده .

قال : وكأني تناقلت .

فقال : اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار .

فدعوتهم فجاءوا فقال : اطعموا .

فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ثم بايعوه قبل أن يخرجوا .

ثم قال : اذهب فادع لي تسعين من الأنصار .

قال : فأنا أخوف بالتسعين والستين مني بالثلاثين .

قال : فدعوتهم ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله

وبايعوه قبل أن يخرجوا .

قال : فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً ، كلهم من الأنصار .

• عن أبي هريرة قال : نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم ضيف ، فالتمس

له شيئاً يطعمه ، فلم يجد له شيئاً ، ثم وجد لقمة ، فجزأها أجزاء ، ثم أتاه بها

فقال : سمّ وكل .

فأكل وفضلت فضلة .

فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك لرجل صالح .

الباب الرابع

في ذكر معجزة في تكثير السمن

عن أم أنس بن مالك قالت : كانت لي شاة فجمعت من سمنها ما ملأت به عكّة (١) ، فقالت : يا زبيبة ، امضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العكّة يأتدم بها .

فضت بها إليه فقالت : يا رسول الله ، إن أم سليم ، أرسلت إليك بهذه العكّة لتأتدم بها . فقال : خذوها ففرعوها وردوها عليها .

فانصرفت بها ، وأم سليم غائبة عن المنزل ، فعلقها على وتد . فلما رجعت أم سليم ، رأت العكّة مملوءة سمناً تقطر .

فقالت : يا زبيبة ، ألم أتقدم إليك بمحمّل العكّة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالت : لقد حملتها ، وإن لم تصدقيني فاسأليه .

فضت فقالت : يا رسول الله ، كنت وجهت إليك بعكّة سمن لتأتدم بها . قال : قد وصلت .

(١) قال في الصحاح (العكّة) بالضم : آنية السمن . قال ابن السكيت : يقال

لمثل الشكوة مما يكون فيه السمن عكّة . والجمع المكك والمكك . ٨١ .

قلت : والشكوة وعاء من آدم للماء واللبن . والجمع شكوات وشكاه . ٨١ .

من هامش الصحاح .

قالت : والذى بعثك بالهدى ودين الحق ، لقد وجدتها مملوءة سمناً تقطر .
قال : أفتعجبين ، أن أطعمك الله كما أطعمت نبيّه ؟ اذهبى فكلّى واطعمى .
فانصرفت ففرغت منها فى عكة لنا ، وأبقيت ما تأدّمنا به شهراً أو شهرين .

• عن جابر أن أم مالك الفهريّة ، كانت تهدى فى عكة لها سمناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبيّنا بنوها يسألونها الإدام وليس عندها شيء ، عدت إلى عكّتها التى كانت تهدى فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت فيها سمناً ، فما زال يأدم لها أدمّ بيتها حتى عصرته .

فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أعصرته ؟ قالت : نعم .

قال : لو تركتته ما زال ذلك لك مقياً .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الخامس

في معجزة في تكثير التمر

• عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بتمرات ، فقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة .

قال : فصفهن بين يديه ، ثم دعا وقال لي : اجملهن في ميزودك ، وأدخل يدك ولا تنثره .

قال : ففعلتُ منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ، وآكل وأطعم ، وكان لا يفارق حِقْوِي (١) ، فلما قتل عثمان ، انقطع حقوي فسقط .

• عن أبي هريرة قال : أُصبتُ بثلاث : موت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت صُوَيْحِبَهُ وخويدمه ، ومقتل عثمان ، وبالْمِزُودِ .
قالوا : وما المِزُودُ ؟

قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابنا للناس مَخْمَصَةٌ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة هل من شيء ؟

قلت : نعم شيء من تمر في مزود . قال : فَأَتِنِي بِهِ .

فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ ، فَأَخْرَجَ قَبْضَةً فَبَسَطَهَا ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي عَشْرَةَ .

فَدَعَوْتُ لَهُ عَشْرَةَ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا .

ثم أدخل يده ، فأخرج قبضة فبسطها ، ثم قال : ادع لي عشرة .

(١) الحقو : موضع شد الإزار .

- فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا .
فما زال يصنع ذلك ، حتى أطعم الجيش كله وشبعوا .
ثم قال لي : خذ ما جئت به ، وأدخل يدك ، واقتصر ولا تسكنه .
قال أبو هريرة : قبضت على أكثر ما جئت به .
أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطعمت .
وحياة أبي بكر ، وأطعمت .
وحياة عمر ، وأطعمت .
وحياة عثمان ، وأطعمت .
فلما قتل عثمان ، انتهب بيتي ، فذهب المزود .
- عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة وأصحابهم عوز^(١) من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة ، عندك شيء ؟
قلت : نعم شيء من تمر في مزود لي . قال جئ به .
فجئت به على النطم فبسطته ، فأدخل يده ، فقبض على التمر ، فإذا هو واحد وعشرون تمرة ، ثم قال : بسم الله .
فجعل يضع كل تمرة ويسمى ، حتى أتى على التمر ، فقال به هكذا ، فجمعه .
فقال : ادع فلاناً وأصحابه .
فدعوت فلاناً وأصحابه ، فأكلوا وشبعوا وخرجوا .
ثم قال : ادع فلاناً وأصحابه . فأكلوا وشبعوا وخرجوا .
وفضل تمر ، فقال لي : اقم . فقمعت ، فقال : كل . فأكلت وأكل .

(١) عوز . أى : احتياج وانتقار .

وفضل تمر فأدخله في المزود فقال :

يا أبا هريرة ، إذا أردت شيئاً ، فأدخل يدك ، ولا تكفأ ، فيكفأ عليك .
قال : فما كنت أريد تماًراً إلا أدخلت يدي فأخذت ، ولقد جهزت
منه خمسين وسقاً في سبيل الله ، وكان معلقاً خلف رحلي ، فوقع زمن
عثمان ، فذهب .

• عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : بعثتني أمي
عمرة بنت رواحة ، فأعطتني تماًراً في ثوبي فقالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك
وخالك ، عبد الله بن رواحة بغدائهما .

فانطلقت بذلك ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس
أبي وخالتي .

فقال : تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟

قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثت به أمي إلى أبي بشير بن سعد ،
وخالتي عبد الله بن رواحة ، يتفديان به .

قال : هاتيه . قالت : فصبته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاملأهما .

وأمر بشوب ، فبسط ، ثم دحى التمر عليه ، ثم قال لإنسان :

اصرخ في أهل الخندق : هلموا إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر عنه

أهل الخندق ، وإنه ليستقط من أطراف التوب .

الباب الساتس

في معجزته في تكثير الماء

• عن عمران بن حصين قال : كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنا أنسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل ، وقفنا وقعةً ، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس .

فكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ، كان يسميهم أبو رجاء ، ونسيهم عوف ، ثم عمر بن الخطاب الرابع .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نام لم يُوقظ حتى يكون هو يستيقظ ، لأننا لا ندرى ما يحدث له في نومه .

فلما استيقظ عمر ، ورأى ما أصاب الناس ، وكان رجلاً أجوف جليداً ، قال : فكبر ورفع صوته بالكبير ، حتى استيقظ بصوته رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا إليه الذي أصابهم ، فقال : لا ضير ، أو لا تضير ، ارتحلوا .

فارتحلوا فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء (١) فقوضاً ونودي بالصلاة فصلى بالناس .

فلما انتبل من صلاته إذا هو برجل ممتاز لم يصل مع القوم ، قال : ما منكم يا فلان ، أن تصلى مع القوم ؟

(١) أى : بالماء .

فقال : يا رسول الله ، أصابتني جفابة ولا ماء .

قال : عليك بالصَّعِيد .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكا إليه الناس العطش .
فنزل . فدعا فلاناً ، كان يسميه أبو رجاء ، ونسيه عوف ، ودعا علياً فقال :
اذهبا فابغيا (١) لنا الماء .

قال : فانطلقا فلقيا امرأة بين مَرَادَتَيْن (٢) أو سَطِيحَتَيْن (٣) من ماء
على بعير ، فقالا لها : أين الماء ؟ فقالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ،
ونفرنا خلف .

فقالا لها : انطلقي إذن . قالت : إلى أين ؟

قالا : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : هذا الذي يقال له الصابي ؟ قالا : هو الذي تمنين ، فانطلقي .

فجاءا إليها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدماهما الحديث ، فاستنزولها
عن بعيرها (٤) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء ، فأفرغ منه من
أفواه المزادتين أو السطيحيتين ، وأوكأ (٥) أفواههما ، وأطلق العزالي (٦) ،
ونودي في الناس :

أن اسقوا ، واستقوا .

(١) فابغيا . أى : اطلبوا . (٢) المزادة : القربة للتخذه للماء .

(٣) السطيحة : تشبه للمزادة ، أو وعاء من جلدين سطح أحدهما على الآخر .

(٤) أى اطلبوا منها النزول ، وقد استجازوا أخذ ماؤها لأنها كانت حربية ،

أو لضرورة العطش .

(٥) أوكأ . أى : ربط أفواه القريتين برياطهما .

(٦) العزالي : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية .

فسقى من شاء واستقى من شاء ، وكان آخر ذلك أن أعطى الذى أصابته
الجنابة إناءً من ماء ، فقال : اذهب فأفرغه عليك .

قال : وهى قائمة تنظر ما يفعل بمائها .

قال : وايم الله ، لقد أفلح عنها وإنه ليخيّل إلينا ، أنها أشدُّ مثلثةً منها
حين ابتدأ فيها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجموا لها .

فجموا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة ، حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً ،
وجعلوه فى ثوب ، وحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعلمين والله ما رزئنا^(١)
من مائتك شيئاً ، ولكن الله عز وجل هو الذى سقانا » .

قال : فأتت أهلها وقد احتبست عنهم ، فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟

قالت : العجب ! لتينى رجلان ، فذهبا بي إلى هذا الذى يقال له الصابى ،
ففعل بمائى كذا وكذا ، فوالله إنه لأسحر من بين هذه وهذه .

وقالت يا صبيها السبابة والوسطى فرفعتها إلى السماء . تعنى السماء والأرض .
أو إنه لرسول الله حقاً .

قال : فكان المسلمون يُغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون
الصَّرمَ^(٢) الذى هى منه ، فقالت يوماً لقومها : ما أرى أن هؤلاء القوم
يدعونكم عمداً ، فهل لكم فى الإسلام ؟

(١) رزئنا : نقصنا .

(٢) الصَّرم : القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين . ٥١ . للصباح .

فأطاعوها فدخلوا في الإسلام .
أخرجاه (١) .

• عن البراء قال : اتهينا إلى الحديبية وهي بئر قد نُزحت ، ونحن أربع عشرة مائة . قال : فنزع منها دلواً ، فتمضمض النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ثم حَجَّ فيه ودعا . قال : فروينا وأروينا .

• عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه .

حتى إذا كانوا بذي الحليفة ، قد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، فسار يعدل بهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية على نمد (٢) قليل الماء يبرّضه الناس تبرّضاً (٣) فلم يلبثه الناس أن نزحوه .

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهماً من كنفاته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه .

قال : فوالله ما زال يجيش لهم بالرّى ، حتى صدروا عنه .

• عن البراء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير . فأتينا على ركيّ زمة ، بمعنى قليلة الماء فنزل فيها ستة ، أنا سادسهم فأدليت إلينا دلو ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شقة الركيّ ، فجعلنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثها .

فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغمس يده فيها وقال ما شاء الله أن يقول .

(١) البخارى في التيمم وعلامات النبوة . ومسلم في الصلاة من حديث عوف ، حدثنا أبو رجاء .

(٢) التمد : الماء القليل .

(٣) ينبرضه الناس : يأخذونه قليلاً قليلاً . والبرض : الشيء القليل .

فعادت إلينا اللؤلؤ بماء فيها .

قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق .

قال : ثم ساحت ، حتى جرت نهراً .

• عن زياد بن الحارث الصدائي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، ثم أتى وفد من قومي بإسلامهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن لنا بئراً ، إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتئنا إليه .

فإذا كان الصيف ، قل ماؤها ، فنفترقنا على مياه حولنا .
وإننا لا نستطيع أن نتفرق اليوم ، كلٌّ من حولنا لنا عدو .
فادع الله أن يسعنا ماؤها .

فدعا بسبع حصيات ، ففرقهن في يده ، ودعا ثم قال :
إذا أتيتموها ، فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى .
فاستطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد .

• عن أبي إياس قال : جاء رجل بإداوة فيها نقطة من ماء ، فأفرغها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ، فتوضأنا كلنا نُدَغِقُهُ دَغِقَةً (١)
أربع عشرة مائة .

ثم جاء بعد ، ثمانية ، فقالوا . هل من طهور ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد فرغ الوضوء .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي قتادة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ، وتأتون الماء غداً ، إن شاء الله .

(١) دغق الماء . إذا دغقه وصبه صباً كثيراً واسماً .

فانطلق الناس لا يَلْوِي أحد على أحد .

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ حَتَّى ابْتَهَرَ اللَّيْلَ (١) وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ .

فَنَمَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ .
فَأْتَيْتُ فَدَعَمْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَوْقَظَهُ (٢) حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ .
ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ ، فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَوْقَظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ ، مَالٌ مَيْلَةً أَشَدَّ مِنْ [الْمَيْلَتَيْنِ] (٣)
الْأُولَيَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ (٤) ، فَأْتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : مِنْ هَذَا ؟ قُلْتَ : أَبُو قِيَادَةَ .

قَالَ : مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرُكَ مِنِّي ؟

قُلْتَ : مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مِنْذُ اللَّيْلَةِ .

قَالَ : حَفِظْكَ [اللَّهُ] بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهِ .

ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَانَا نَخْفَى عَلَى النَّاسِ ؟ ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ ؟

قُلْتَ : هَذَا رَاكِبٌ . ثُمَّ قُلْتَ : هَذَا رَاكِبٌ آخِرٌ ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا ،
فَكُنَّا سَبْعَةَ رَاكِبٍ .

(١) ابهار : بالوحدة وتشديد الراء : ايض . وقيل : اتصف أو ذهب معظمه ، إذ بهرة كل شيء أكثره . وفي القاموس : ابهار الليل : اتصف ، أو تراكت ظلمته أو ذهب عامته وبقي نحو ثلثه .

(٢) الرواية كما في صحيح مسلم : من غير أن أوقظه .

(٣) من صحيح مسلم . (٤) ينجفل أي: يزول عن راحلته .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق فوضع رأسه [ثم] قال :
احفظ علينا صلاتنا (١) .

فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس
في ظهره فقمنا فزعين ، ثم قال : اركبوا .

فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل فدعا بميضة كانت معي
فيها شيء من ماء ، فتوضأ منها (٢) وبقي فيها شيء من ماء .

ثم قال لأبي قتادة : احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نيا .

ثم أذن بلال بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ،
ثم صلى الغداة ، فصنع كما [كان] يصنع كل يوم ، وركب وركبنا معه .

فجعل بعضنا يهمس إلى بعض : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ؟
فقال (٣) : أما لكم في أسوة ؟ ثم قال :

أما إنه ليس التفريط في النوم ، وإنما التفريط على من لم يصل الصلاة
حتى ينجى ، وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها .

فاتبيننا إلى الناس وهم يقولون : يا رسول الله ، هلكننا عطشاً .
فقال : لا هلك عليكم .

ثم قال : أطلقوا لي عُمرى (٤) . ودعا بالمیضة (٥) .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم .

(١) صحيح مسلم . احفظوا . (٢) زاد في مسلم وضوءاً دون وضوء .

(٣) صحيح مسلم : ثم قال . (٤) العمر : القدر الصغير .

(٥) قال في الصباح : والميضة : بكسر اللام مهموز ويمد ويقصر : للمطهرة
يتوضأ منها (يعني كالأبريق ونحوه) وزاد في القاموس : للموضع يتوضأ فيه ومنه .

فلم يقدُ أن رأى الناس ماءً في الميضاة ، فتكأبوا (١) عليها .
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أحسنوا أئماً كلُّكم سيَّزوى .
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبُّ وأسقيهم ، حتى ما بقي غيرى
وغيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم صبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : اشرب .
قلت . لا أشرب حتى يشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : إن ساقى القوم آخراً شرباً .
فشربتُ وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى الناس [الماء]
جامينِ رِواءٍ (٢) .

(١) مسلم : تكأبوا . قلت : أى : ازدحموا .

(٢) جامين : نشاطاً مستريحين . هذا والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه ،
فى كتاب الصلاة فى قضاء الفاتية ، واستحباب تمجيله ، شرح النووى على مسلم ٨٣/٥

الباب السابع

في ذكر نبع الماء^(١)

من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان بالزَّوراء
فَأَتَى بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ لَا يَغْمُرُ أَصَابِعَهُ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَوَضَّأُوا .
فَوَضَعَ كَفَّهُ فِي الْمَاءِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَأَطْرَافِ
أَصَابِعِهِ ، حَتَّى تَوَضَّأَ الْقَوْمُ .
فَقُلْتُ لِأَنْسَ . كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا ثَلَاثًا .
أَخْرَجَاهُ .

• عن عبد الله قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اطلبوا من معه
ماء ، ففعلنا .

(١) قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه
صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن ، في مشاهد عظيمة ، ورويت من طرق كثيرة
يفيد مجموعها ، العلم القطعي للاستفاد من التواتر المعنوي .
ولم يسمع بمثله هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث نبع الماء
من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه .
وذكر المزي صاحب الشافعي ، أن هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب
موسى ، لأن الحجر مألوف منه خروج الماء ، ولا كذلك البدن .

فَأْتَى بِمَاءٍ ، فَصَبَهُ فِي إِيْنَاءٍ ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ ، فَجَعَلَ الْمَاءَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ .

ثم قال : حَتَّى عَلَى الطَّاهِرِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ .

فَلَأَتْ بَطْنِي مِنْهُ ، وَاسْتَقَى النَّاسُ (١) .

أَخْرَجَهُ الْبِخَارِيُّ .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ فِي الْعَسْكَرِ مَاءٌ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ . يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ فِي الْعَسْكَرِ مَاءٌ .

قال : هل عندك شيء ؟

قال : نعم . قال : فَأْتِنِي بِهِ .

قال : فَأَتَاهُ بِإِيْنَاءٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ .

قال : فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ فِي فَمِّ الْإِيْنَاءِ ، وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ ، فَانْفَجَرَتْ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيُونَ ، وَأَمَرَ بِلَالٍ فَقَالَ : نَادِ فِي النَّاسِ الْوَضُوءَ الْمُبَارَكِ .

• عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَأْتَى بِتَوْرٍ (١) مِنْ مَاءٍ .

فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَهُ ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، قَالَ :

فَرَأَيْتَ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) استقى الناس . أى شربوا .

(٢) قال في القاموس : التور : إيْناء يشرب فيه . زاد في الصباح (تذكره

العرب) والجمع أتوار .

فقال : حَتَّى عَلَى الْوَضُوءِ ، والبركة من الله تعالى .

قال الأعمش : فأخبرني سالم بن أبي الجعد قال : قلت لجابر بن عبد الله :
كم كان الناس يومئذ ؟ قال : كنا ألفاً وخمس مائة .
أخرجه البخارى .

عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين يديه ركوة (١) ، فتوضأ منها ، ثم أقبل على الناس نحوه فقال :
مالكم ؟

قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ما يتوضأ به ، ولا نشرب إلا ما في
ركوتك .

فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين
أصابعه ، كأمثال العيون .

قال : فشربنا وتوضأنا .

فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟

قال : لو كنا مائة [ألف] لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .
أخرجاه .

عن جابر قال : أتينا المسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر :
ناد ، توضأوا . فقال : ألا وضوء إلا وضوء .

فقلت : يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة .

(١) قال في المصباح : الركوة معروفة وهي دلو صغيرة والجمع ركاء . مثل كلب
وكلاب اه . يعنى : السطل أو الجرذل الصغير على التعبير العامى .

وكان رجل من الأنصار يُبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في أشجَاب له ، فقال لى : انطلق إليه .

فانطلقت ، فلم أجد إلا قطرة في عزلاء شَجْبٍ (١) لو أنى أفرغته لشربه يابسه .

فقال : اذهب فأنتى به . فأخذه بيده .

فجعل يتكلم بشيء ما أدري ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه وقال : يا جابر ، ناد بِجَفْنَةٍ (٢) . فقلت : يا جفنة الركب . فأتيتُ بها تُحْمَلُ . فوضعتها بين يديه ، فقال بيده في الجفنة ، فبسطها وفرّق بين أصابعي ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : يا جابر صُبَّ عَلى ، وقل بسم الله . فصببت عليه ، وقلت : بسم الله .

فرايت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، ثم فارق الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر ، ناد : من كان له حاجةٌ بماء .

فأتى الناس فسقوا ، حتى رووا .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه من الجفنة (٣) .

(١) العزلاء : قم القربة الأسفل ، أو مصب الماء من الزاوية . والشجيب : عود يعلق عليه القرب والثياب والأواني بالماء .

(٢) قال في القاموس : الجفنة : القصعة . ومثله في الصحاح . والجمع : جفنان وجفنات بفتح الجيم والقاء والنون .

(٣) أخرجه مسلم في غزوة بواط مفصلاً مخالفاً لما هنا .

الباب الثامن

في معجزه في تكثير اللبن

عن أبي هريرة قال : والله إني كنت لأعتمد على كبدى بالأرض^(١) من الجوع ، ولقد قدمت على طريقهم الذى يخرجون منه .
فرَّ أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته ، إلا لَيْسَتْ بِيْ .^(٢) ، فلم يفعل .

فرَّ عمر ، فسألته فلم يفعل .

فرَّ أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فعرف ما بوجهي وما في نفسي ، فقال : يا أبا هريرة . قلت : لبيك يا رسول الله . قال الحق . فاتبعته ، فاستأذنت فأذن لي ، فوجد لبنا في قدح فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقالوا : أهدها فلان ، أو آل فلان^(٣) .

قال : أبا هريرة . قلت لبيك يا رسول الله . قال : انطلق إلى أهل الصفة .

قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال .

إذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها ، وبعث إليهم منها .

(١) دلائل النبوة للبيهقي « لا أعتمد بكبدى على الأرض » وفي أبي نعيم : على

كبدى من الجوع .

(٢) أى ليطلب منى أن أذهب معه إلى بيته . (٣) أبو نعيم : فلان أو فلانة .

وإذا جاءت الصدقة ، أرسل بها إليهم ، ولم يُصَبَّ منها .
قال : فأخزنتي (١) ذلك : وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً
أتقوى بها بقية يومي وليتي . قلت : أنا الرسول (٢) إذا جاء القوم كنت
أنا الذي أعطيهم ، فما يبقى لي من هذا اللبن .

ولم يكن بدٌّ من طاعة الله وطاعة رسوله ، فانطلقت ، فدعوتهم ، فأقبلوا
فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ، ثم قال : أبا هريرة ،
خذ فأعطيهم .

فأخذت القدح ، فجعلت أعطيهم .

فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروي ، ثم يردُّ القدح .
وأعطيته الآخر فيشرب حتى يروي ، ثم يرد القدح ، حتى أتيت
على آخرهم .

ودفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأخذ القدح ، فوضعه في يده وبقي فيه فضلة .

ثم رفع رأسه ، فنظر وتبسم وقال : أبا هريرة .

قلت : لبيك يا رسول الله .

قال : بقيتُ أنا وأنت . قلت : صدقت يا رسول الله .

قال : اقمدا واشرب . قال : قمعدت فشربت .

ثم قال لي : اشرب . فشربت .

(١) أبو نعيم : فسأفتي ذلك .

(٢) أبو نعيم : أنا والرسول فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم . وفي

الخصائص . وإني لرسول .

فما زال يقول اشرب واشرب حتى قلت :

لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد لها في مسلكا .

قال : ناولني القدح . فرددت إليه القدح ، فشرب الفضلة .

• عن نافع - وكانت له صحبة - قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، وكنا زهاء أربع مائة رجل ، فنزلنا في موضع ليس فيه ماء ، فشق ذلك على أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، العطش .

قال : فجاءت شويهة لها قرنان ، فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها ، فشرب حتى روي وسقى أصحابه حتى روي .

ثم قال : يا نافع ، املكها الليلة وما أراك تملكها .

قال : فأخذتها فوثدت لها وتداً ، ثم ربطتها بحبل .

ثم قت في بعض الليل فلم أر الشاة ، ورأيت الحبل مطروحاً .

فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته من قبل أن يسألني .

فقال لي : يا نافع ، ذهب بها الذي جاء بها .

الباب التاسع

في ظهور معجزته بمجيء الشجر إليه (١)

• عن يعلى بن مرة الثقفي قال : بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلاً فقام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض ، حتى غشيتها ، ثم رجعت إلى مكانها .
فلما استيقظ ، ذكرت ذلك له فقال : هي شجرة استأذنت ربها عز وجل ، في أن تسلم عليّ ، فأذن لها (٢) .

• عن يعلى بن مرة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى الجبانة (٣) حتى أبرزنا .

قال : ويحك ، انظر هل ترى من شيء يواريني ؟

قلت : ما أرى شيئاً يواريك ، إلا شجرة ، ما أراها تواريك .

(١) ليس هناك في رواية تلك الأخبار مصادمة للعقل أو جنوح إلى الخرافة ، فهي أمور ممكنة لقدرة الله عز وجل والقصد بها إكرام رسوله ، لكنها ليست ذات شأن بالنسبة لدعوة الإسلام وإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي ليست متواترة ، ولا يانزم الإيمان بها إلا بعد ثبوت صحة النقل .

(٢) رواه البغوي في شرح السنة . والطبراني وأحمد والبيهقي .

(٣) قال في المصباح : الجبانة : مثل الباء وثبوت الهاء أكثر من حذفها ،

هي : للصلى (بتشديد اللام) في الصحراء .

وربما أطلقت على المقبرة لأن الصلى - غالباً - تكون في المقبرة .

قال : فما قُرْبُهَا ؟ قلت : شجرة مثلها ، أو قريباً منها .
قال : فاذهب إليهما فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ،
أن تجتمعا بإذن الله تعالى .

قال : فاجتمعتا . فبرز لحاجته ، ثم رجع فقال :
اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما أن ترجع
كل واحدة منكما إلى مكانها ، فرجعت .

• عن جابر بن عبد الله قال : مررتاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نزلنا وادياً أقيح^(١) ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى
م حاجته ، فاتبعته بإداوة^(٢) من ماء : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم
ير شيئاً يستتر به :

وإذا شجرتان بشاطيء الوادي .
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداها .
فأخذ بفضن من أغصانها فقال : اتقادي معي بإذن الله تعالى .
فاتقادت معه ، كالبعير المخشوش^(٣) الذي يصانع قائده .
حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بفضن من أغصانها فقال :
اتقادي كلّي بإذن الله تعالى . فاتقادت معه كذلك ، حتى إذا كان
بالمصنف^(٤) مما بينهما ، لأم بينهما فقال : التثما بإذن الله تعالى علي . فالتأمتا .

-
- (١) أقيح . أي : واسع .
(٢) قال في الصباح : الإداوة (بكسر الهمزة) الطهرة وجمعها : أداوى
بفتح الواو . ١٠٥ . قلت : معناه في لغتنا الدارجة : الإبريق ونحوه .
(٣) المخشوش : الذي وضع له الخشاش وهو عود يجعل في فم البعير لينقاد بسهولة .
(٤) إذا كان بالمصنف . يعني : وسط الشجرتين .

قال جابر : نخرجت أحضر (١) مخافة أن يحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربني فيبتعد ، فجلست فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق (٢) .

• عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسنا حتى نزلنا موضعا ليس فيه شجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر اتبعني بقاء . فاتبعته حتى اتبهينا إلى موضع فيه شجر .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، إيت هاتين الشجرتين فقل لهما :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما انضماماً .

فأقبلتا تتخذان الأرض خدّاً حتى انضمتا .

فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا جابر إيتهما ، فقل لهما : يعودان إلى موضعهما .

• عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أسلمتُ فأرني شيئاً أزددُ به يقيناً .

قال : فما الذي تريد ؟ قال : ادع تلك الشجرة فلتأتك .

قال : اذهب فادعها .

فأتاها الأعرابي فقال : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأتت على جانب من جوانبها فمطعت عروقها ، ثم مالت على الجانب (٣)

(٢) رواه مسلم .

(١) أحضر : أعدو وأجرى .

(٣) أبو نعيم : الجانب .

الآخر فقطعت عروقها ، حتى أت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

فقال الأعرابي : حسبي حسبي .

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : ارجعي .

فرجعت ، فجلست على عروقها (١) .

• عن ابن عمر قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين تريد ؟

قال : إلى أهلي . قال : فهل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟

قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : ومن يشهد [على] ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة .

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تحذو الأرض خذاً ، حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً أنه كما قال . ثم رجعت إلى منبتها .

ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتبعوني أتيتكم بهم ، وإلا رجعت فكنت معك (٢) .

• عن ابن عباس ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بم أعرف أنك رسول الله ؟

(١) رواه البزار في مسنده وأبو نعيم في الدلائل ، ونقله في الشفاء .

(٢) رواه الحاكم في مستدرکه بإسناد جيد .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ هذا العذقُ من هذه النخلة فجاء ، تشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم .

فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض ثم جعل ينقرُ (١) حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : عُدْ . فعاد إلى مكانه .
قال : أشهد أنك رسول الله . وآمن (٢) .

• عن أبي عبيدة بن عبد الله قال لى مسروق : أخبرنى أبوك أن شجرة أُنذرت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن .

* * *

فإن قال أهل الإلحاد : هذا سحر .

قلنا : السحر خيال وشعبذة لا حقيقة . قال الله تعالى :

« يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى » (٣) .

قال ابن عقيل : لو كان السحر قلباً للأعيان ، لساوى الإعجاز ، وتعذر علينا العلمُ بصدق الصادق ، لأن الله سبحانه لم يجعل لنا طريقاً إلى العلم إلا كون المعجز دالاً على الصدق بكونه معجزاً عنه .

فتى قلنا : إن الساحر يقلب الأعيان ، كما نقول في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تبق ميزة ، وإنسدَّ الطريقُ إلى حصول التحقيق .

قال : فإن قال قائل : فأى ثقة تبق لنا بالدركات مع قوله : « وما قتلوه

(١) ينقر : يثب .

(٢) رواه الترمذى وصححه ، وكذا رواه البخارى فى التاريخ ، وأبو يعلى ،

وابن حبان والبيهقى .

(٣) سورة طه ٦٦

وما صكّبوه ولكن شبه لهم» (١) . وقد أخبر عز وجل أن المقتول غيره ؟
فالجواب : أن القادر سَلَبَ حينئذ المدارك ، حسب الأصلح ، على
ما اقيضت الحكمة صيانته ، وتعجيز الكفار عما عزموا عليه .

ولو عُدت الثقة بالمدارك ، جاز عدم الثقة بحلاوة العسل ، كما يتطرق
من الغرض من المطاعم والأمزجة ، فَيُدْرِكُ في حالٍ مُرًّا .

فإن قال قائل : فما فائدة وقوع ما يجانس المعجزة من السحر والكهانة

وغير ذلك ؟

فالجواب : أن المراد ، التكليف ، لتخليص المعجزة من الشعبة ،
ليَحْظَى الفارقُ بثواب الاجتهاد .

وما يزال السحرة يطعن بعضهم في بعض ، والرسالُ متساعدون .

الباب العاشر

في تحرك الجبل لأجله
وسكونه لأمره

• عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حراء ، فتحرك الجبل ، فضربه برجله ، ثم قال : اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولو شئت أن أسمي التاسع .
اسميت .

فأكثروا عليه : أخبرنا . فقال : أنا .

الباب الحادى عشر

فى ذكر شكوى البهائم إليه

وذلل المستصعب منها له

• عن [عبد الله بن (١)] جعفر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حائطاً من حيطان الأنصار ، وإذا جل . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفرأه (٢) ، فسكن ، فقال : من صاحب الجمل ؟

فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله .

قال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى مآكك الله عز وجل ، إنه شكأ إلى أنك تجيعه وتدئبه (٣) .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن يعقوب بن مرة قال : كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ جاء جمل نخب (٤) حتى ضرب بجرانه بين يديه ،

(١) من اللواهب ، وفى الأصل : عن ابن جعفر .

(٢) ذفرأه . مثنى « ذفر » وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه .

(٣) تدئبه : تتمبه .

(٤) قوله : نخب . هكذا فى الأصل ولعل الصواب (أخبت) أى : خضع

وتواضع ولم تذكر للماجم (خبت) ثلاثيا بالمعنى المراد هنا .

ثم ذرفت عيناه ، فقال : ويحك ، انظر لمن هذا الجمل ، إن له لشأنا .

فخرجت ألتمس صاحبه ، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه .

فقال : ما شأن جملك هذا ؟

قال : لا أدري والله ما شأنه ، عملنا عليه حتى عجز عن السقاية .

فأبتمرنا البارحة ، أن ننجزه ، ونقسم لحمه .

قال : فلا تفعل ، هب لي أو بعني . قال : بل هو لك يا رسول الله .

قال : فوسمه بميسم الصدقة ، ثم بعث [به] إليه .

• عن أنس قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسمون (١)

عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم ، فمنعهم ظهره ، فجاءوا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه ، استصعابه ، وقالوا : قد عطش الزرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا .

فقاموا ، فدخلوا الخائط والجمل في ناحيته .

فشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

فقال الأنصاري (٢) : إنه يا نبي الله ، قد صار مثل الكلب ، وأنا

نخاف عليك صولته .

فقال : ليس عليّ منه بأس .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل نحوه حتى خرّ

ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته ، أذلّ ما كان

حتى أدخله في العمل .

(٢) اللواهب : الأنصار .

(١) يسنون : يسقون .

فقال له أصحابه : يا نبي الله ، هذا بهيمة لا يعقل ، يسجد لك ، ونحن
نعقل ، ففتح أحنى أن نسجد لك .

قال : لا يصلح : لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح أن يسجد بشر
لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها (١) .

• عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
من سفر .

حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان الأنصار ، وإذا فيه جبل لا يدخل
الحائط أحد إلا شدَّ عليه .

قال : فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء ، حتى أتى الحائط ،
فرغا البعير وجاء واضعاً شفره (٢) إلى الأرض حتى برك بين يديه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هاتوا خطاما » فخطمه . ودفعه
إلى صاحبه .

قال : ثم التفت إلى الناس فقال :

إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله ، إلا عاصى
الجن والإنس .

• عن جابر قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فإذا
جبل بارٍ ، حتى إذا كان بين السماطين ، خرَّ ساجداً .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للناس : من صاحب الجبل ؟

(١) رواه أحمد واللساني بإسناد جيد . ورواه ثقات مشهورون كما قاله المنذرى .

(٢) الأصل مشرفة . وهو تصحيف . وما أثبتته عن أحمد .

فإذا فتية من الأنصار قالوا : هذا لنا يا رسول الله .
قال : فما شأنه ؟ قالوا سئنا عليه منذ عشرين سنة ، وكانت به شحمة ،
فأردنا أن ننحره ، فنقسمه بين غلماننا فانفلت منا .
قال : تبيعونه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله .
قال : أما لا ، فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .
فقال المسلمون عند ذلك : يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك
من البهائم .
قال : لا ينبغي أن يُسجد لشيء ، ولو كان ذلك ، كان النساء
أحق أن يسجدن لأزواجهن .
وفي رواية أخرى أنه قال : إن بعيركم هذا يشكوكم ، يزعم أنكم
استملمتموه شاباً ، حتى إذا كبر أردتم نحره (١) .

(١) هذا الحديث ضعيف السند ، وكذلك أكثر أحاديث هذا الباب .

الباب الثاني عشر

في ذكر معجزته التي ظهرت في المركوب

• عن أنس قال : فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصوت على فرس عُرِّي لأبي طلحة ، ورجع وهو يقول : لن تراعوا (١) .

قال أنس : وكان الفرس يُبَطِّأ ، فما سبق بعد ذلك .

• عن جابر قال : كنت أسير على جبل فأعنيا ، فأردت أن أُسَيِّبَهُ .

فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه برجله ، ودعاه فصار سيرا
لم يسير مثله (٢) .

أخرجاه .

(١) أى : لا تخافوا . (٢) كان هذا في غزوة ذات الرقاع .

الباب الثالث عشر

في رميه في وجوه المشركين
بكفّ من تراب فملاً أعينهم

• عن أنس قال انهزم المسلمون بَحْنَيْنِ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بقلته الشهباء وكان يسميها دُلْدُل .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : دُلْدُل ، البَدِي . فالزقت بطنها بالأرض .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب ، فرمى بها في وجوههم وقال : حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ .

فانهزم القوم ، وما رمينا بسهم ولا طعنا برمح .

وفي رواية : فما خلق الله منهم . إنساناً ، إلا ملاً عينه تراباً .

وسند كثر طرق هذا الحديث في غزاة حنين ، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع عشر

في إشارته إلى الأصنام فوقعت

• عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم [مكة يوم الفتح] (١) وحول الكعبة ستون ، وثلاثمائة صنم ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » (٢) .
أخرجه .

• عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، وفي يده رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » . جاء الحق ، وما يبدي الباطل وما يعيد . فجعلت تستلقى من غير أن يمسه .

الباب الخامس عشر

في إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغائبات

قال المصنف رحمه الله : قد سبق ذكر أشياء منها : أنه أخبر بأن الأرضة^(١) أكلت ما في الصحيفة التي كتبها المشركون بالبراءة من بني هاشم من ظلم وجور .

• عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَتَفْتَحَنَّ عَصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كَسْرَى الَّذِي فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ .

• عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده .

والذي نفس محمد بيده ، لَتُنْفِقَنَّ كَنْوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . »

• عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده .

وأيام الله لَتُنْفِقَنَّ كَنْوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٢) . »
أخرجاهما في الصحيحين .

(١) قال في الصباح : الأرضة : دويبة (دودة) تأكل الخشب ، يقال : أرضت الحشبة بالبناء للمفعول ، فهي مأروضة . وجمع (الأرضة) أرض . مثل : قسبة وقصب ، وقصبات .
(٢) سقط هذا الخبر من ت .

قال المصنف رحمه الله : وربما أشكل هذا الحديث وقال قائل :
فقد ملك بعد كسرى وقيصر جماعة سُمُّوا بهذا الاسم ، فإن كل ملك
كان لفارس ، يسمى كسرى ، وكل ملك كان للروم ، يسمى قيصر .
فالجواب : أنه ما ملك من كان لملكه طائل ولا ثبوت ، وما زال
ملكهم متزلا حتى انمحق .

• عن أنس قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة ، فترأينا الهلال ،
وكنت حديد البصر فرأيتُهُ ، فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ قال : سأراه ،
وأنا مستلقي على فراشي .

ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر ، قال :
إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرنا مصارعهم بالأمس يقول :
هذا مصرع فلان غداً ، إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان غداً ،
إن شاء الله .

قال : فجعلوا يصرعون عليها .

قال : قلت : والذي بعثك بالحق ما أخطأوا تيك ، كانوا يصرعون عليها .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر .
فقال لرجل ممن يدعى الإسلام : هذا من أهل النار .

فلما حضرنا القتال ، قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة .

فتميل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت إنه من أهل النار ، فإنه قاتل

اليوم قتالا شديداً وقد مات .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إلى النار .

فكاد بعض القوم أن يرتاب .
فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمّت ، ولكن به جراح شديد .
فلما كان من الليل ، لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال :
الله أكبر ، أشهد أنى عبد الله ورسوله :
ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ،
فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .
أخرجاه ، من حديث سهيل بن سعد .

• عن أبى حميد الساعدي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك فقال : إنها ستهب عليكم ريح شديدة ، فلا يقوم فيها رجل ، ومن له بعير فليوثق عقاله (١) .

قال أبو حميد : فمقلناها (٢) ، فلما كان من الليل ، هبت علينا ريح شديدة (٣) فقام فيها رجل ، فألقته فى جبل طيب (٤) .
أخرجاه .

عن قوتبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) فليوثق عقاله . أى : ليربطها برباط قوى لا ينفك .

(٢) فمقلناها . أى : ربطناها .

(٣) قال فى الصباح : هبت الريح هبواً . من باب قعد (الباب الأول) حاجت : وهب من نومه هباً من باب قتل (الباب الأول) أى : استيقظ . وهب السيف يهب من باب ضرب (الباب الثانى) هبّة : اهتز ومضى . ومنه قيل : أتى امرأته هبّة .
أى : وقعة .

إن الله عز وجل زَوَى^(١) لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ،
وإن مُلْكُ أمتى سيبلىغ ما زوى لى منها ، وإنى أعطيت الكثرين ،
الأحر والأبيض .

قال الصنف رحمه الله : هذا قاله وهو محسور^(٢) ولا سلطان له على بلد ،
فكان كما قال ، وقد بلغ ملكُ أمته ، من أول المشرق ، من بلاد الترك ، إلى
آخر بلاد المغرب ، من بلاد البربر ، وبحر الأندلس .

• عن أبى سعيد الخدرى قال : أخبرنى أبو قتادة ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبى ذر قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأنا مضطجع فى المسجد ، فغمزنى برجله ، فاستويت جالساً فقال لى :
يا أبا ذر ، كيف تصنع إذا أخرجت منها ؟
فقلت : أرجع إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى بيتى .
قال : فكيف تصنع ، إذا أخرجت منها ؟
فقلت : إذن آخذ سيفى ، أضرب به من يخرجنى . فقال : حقراً ! بل
تقاد معهم حيث قادوك ، وتُساق معهم حيث ساقوك ، ولو عبد أسود .

(٤) زوى : جمع . قال فى الصحاح : وزويت الشيء : جمته وقبضته .
وفى الحديث « زَوَيْتَ لى الأرض ، فأريت مشارقها ومغاربها » .
فيكون المعنى هنا : إن الله جمع لى أطراف الأرض فرأيت الخ .
(٢) محسور . أى : متعب حزين .
(٣) الباغية : الظالمة المعتدية على السلطان الحق ، لأنها عدلت وانحرقت عن
الصراط السوى .

قال أبو ذر : فلما نُفِيت إلى الرَبْدَةِ (١) أَمَت الصلاة ، فتقدم رجل أسود كان على نَعَمِ الصدقة ، فلما رآني أخذ يرجع لِيَدْمَنِي ، فقلت : كما أنت ، بل أنقاد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

• عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال :

من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ، ثم يقبضه إليه ؟ فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه مني أبداً .

قال : فبسطت ثوبي ، أو قال : نَمَرْتِي ، ثم حدثنا ، فقبضته إلى ، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه .
أخرجاه .

• عن عبد الله بن رافع أنه سمع علياً يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا والزيبر ، والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خانج ، فإن بها طعينة ، معها كتاب ، فخذوه منها .

فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالطعينة فقلنا : أخرجى الكتاب . قالت : ما معي من كتاب .

قلنا : لتخرجن الكتاب ، أو لتلقين (٢) الثياب . فأخرجت الكتاب .
فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه :

من حاطب ابن بلتعنة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الأصل : البريدة . (٢) الرواية المشهورة (اتلقين) بالنون في أوله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟
قال : لا تعجل علي يا رسول الله ، إني كنت امرأاً مُلصَقاً في قريش ،
ولم أكن من أنسبهم ، وكان من كان من المهاجرين ، لهم قرابات يحمون
أهلهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ فيهم يداً
يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك ككفراً ، ولا ارتداداً عن ديني ،
ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد صدقكم .

فقال عمر : دغني أضرب عنق هذا المنافق .

فقال : « إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك أن الله أطلع على أهل بدر ،
قال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .
أخرجاه .

• عن أبي بكر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ،
وكان الحسن بن علي يثب على ظهره إذا سجد ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم من سَفَر ، فلما
كان قُرْب المدينة ، حاجت ريح تكاد تدفع الراكب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هبَّت هذه الريح ، لموت منافق
مات بالمدينة » .

فقدم المدينة ، فإذا منافق عظيم من المنافقين ، مات ذلك اليوم .

• عن عبد بن حاتم قال : بيننا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

إذ أتاه رجل ، فشكاً إليه الفاقة (١) ثم أتاه آخر ، فشكاً إليه قَطْعَ السبيل .
فقال : يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبتت عنها .
فقال : إن (٢) طالت بك حياة لترين الظعينة (٣) ترحل من الحيرة حتى
تطوف بالكعبة ، لا تخاف [أحدا] (٤) إلا الله .

قلت ، بيني وبين نفسي : فأين دُعَار طيء الذين قد سَمَّروا البلاد (٥) ؟!
وإن طالت بك حياة ، لَتُفْتَحَنَّ كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هُرْمَز ؟ ! .

قال : كسرى بن هرمز .

وإن طالت بك حياة لترين الرجل يُخْرَجُ مِلءَ كَفِّه ذهباً وفضة ،
يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه (٦) .

قال عدى : فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ،
لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرْمَز .

(١) الفاقة : الفقر . (٢) البخاري : « قال فإن » .

(٣) يعنى : أن المرأة تسافر من الحيرة الخ قال في المختار من الصحاح الظعينة .
أى : المرأة ما دامت في الهودج على الإبل . ومثله في التاموس والصحاح .
وفي المصباح : الظعينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها ، ثم سميت بهذا
الاسم ، وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مضمونة . اهـ .
(٤) من البخارى .

(٥) دُعَار طيء : مفسدوهم الذين يقطعون الطريق . وسَمَّروا البلاد : ملأوها
شراً وفساداً ، وهو مستعار ، من استعمار النار .

(٦) اختدم المؤلف الحديث فلم يذكر : وليلقين الله أحداكم يوم يلقاه وليس
بينه وبينه ترجمان ... إلى نهايته .

وإن طالت بكم حياة لتروُنَّ ما قال أبو القاسم ، صلى الله عليه وسلم ،
يُخْرَجُ مِثْلَهُ . كَفَهُ ! . أَخْرَجَاه .

• عن أبي موسى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط
من حيطان المدينة ، فجاء رجل يستفتح .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتتح له وبشره بالجنة .

فإذا هو أبو بكر رضى الله عنه .

ثم استفتح رجل آخر فقال : افتتح له وبشره بالجنة .

فإذا عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة .

ثم استفتح رجل آخر ، وكان متكئاً فجلس ، فقال :

افتتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . فإذا عثمان .

ففتحت له وبشرته بالجنة ، فأخبرته بالذى قال : فقال : الله المستعان .

أَخْرَجَاه .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تقوم الساعة ، حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعْرُ (١) ، وحتى تقاتلوا الترك ،
صغار الأعين [حمر الوجوه] (٢) ذُلف الأنوف (٣) كأن وجوههم المَجَانُ (٤)
المُطْرَقة (٥) .

(١) نعالهم الشعر : يجعلون نعالهم من حبال صغرت من الشعر . أو المراد :
طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم .

(٢) من البخارى . (٣) ذلف الأنوف : صغارها .

(٤) المجان : جمع « مجن » وهو : الترس . و « المطرقة » : التى ألبست
الطراق ، وهى جلدة تلتصق على قدر الدرقة .

(٥) انفرد به البخارى من هذا الوجه . ونحوه عن أحمد والجماعة ، إلا النسائى .

• عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً ، إذ جاءه ذو الخوالبصرة ، وهو رجل من بني تميم . فقال يا رسول الله ، أعدل .

قال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ! فقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل .

فقال عمر : ائذن لي فيه ، فأضرب عنقه .

فقال : دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

يُنظَرُ إلى نَصَلِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنظَرُ إلى رِصافِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنظَرُ إلى نَضِيئِهِ ، وهو قدحه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنظَرُ إلى قُدْذِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم .

آيَاتُهُمْ رجل أسود ، إحدى عَضُدَيْهِ مثل ندى المرأة ، أو مثل البضعة تَدْرَدِرُ (١) يخرجون على حين فُرْقَةٍ من الناس .

قال أبو سعيد : وأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه .

وأمر بذلك الرجل فَالْتَمَسَ فَأَتَى به حتى نظرت إليه على نَعْتِ النبي صلى الله عليه وسلم الذي نَعْتَهُ (٢) .

(١) تدرد : تتحرك وتذهب وتجيء .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى عدة مواضع من صحيحه ، ومسلم أيضاً ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى سعيد .

والرُضاف : جمع رُضفة ، وهي عَقَبَةٌ تُتْلَوَى على مَدْخَلِ النُّصَلِ في السَّهْمِ .
والتَّضَيُّ : القِدْحُ قَبْلَ أَنْ يَبْحَثَ . والقُدْذُ : ريش السهم .
والمعنى : أنه مَرَّقَ عاجلاً فلم يعلّق به دم .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى بصفية يوم خيبر
وأتى بزوجها وأخيها ، وكان قد أعطاهما الأمان على أن لا يكتبتا شيئاً ، فإن
كتماه استحلّ دماءهما .

فأما أحدهما ، فصدّقه ولم يكتبته .
وأما كنانة - وهو زوج صفية - فكتبته مسك الجمل ، وكان فيه حلي
كثير ، فقال :

يا كنانة ، إنك قد أعطيتني أن لا تكتبني شيئاً ، فأين مسك الجمل ؟
فقال : ما كتبته شيئاً .
فأتاه جبريل فأخبره بمكانه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : اذهبوا ، فإنه في مكان
كذا وكذا .

فلما أتى به ، أمر بهما ، فضربت أعناقهما ، وقال لبلال : خذ بيد صفية .
فأخذ بيدها فمر بها بين القبيلتين ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، حتى روى في وجهه .

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخيرها بين أن يمتقها ،
فترجع إلى من بقي من أهلها ، أو تسلم ، فيتخذها لنفسه .
فقال : أختار الله ورسوله .

فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس : انصرفوا عن أمكم .

حتى إذا كان على ستة أميال من خير ، مال يريد أن يُعرس بها ،
فأبت ، فوجد عليها في نفسه .

فلما كان بالصهباء ، مال إلى دومة هناك ، فظاوعته .
فقال : ما حملك على إباتك ؟

قالت : خشيت عليك ، قرب يهود . فأعرس بها .

وبات أبو أيوب ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدور
حول خبائه .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوطاء ، قال : من هذا ؟

قال : خالد بن زيد . قال : مالك ؟

فقال : ما نمت هذه الليلة ، مخافة هذه الجارية عليك .

فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع .

• عن عبد الله بن عباس قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أبا سفيان في الطواف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا أبا سفيان ، أما كان بينك وبين هند كذا وكذا ؟

فقال أبو سفيان في نفسه : أفشيت^(١) على هند سرّي ، لأفعلن بها ،

ولأفعلن .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طوافه ، لحق أبا سفيان فقال :

« يا أبا سفيان ، لا تظلم هنداً ، فإنها لم تُفش إلى من سرك شيئاً » .

فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله ، فمن أنياك بما في نفسي ؟!

(١) أفشيت أي : أذاعت ونشرت .

• عن عاصم بن كليب قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من الأنصار قال :

خرجت مع أبي وأنا غلام ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلقانا رجل فقال :

يا رسول الله ، فلانة تدعوك وأصحابك إلى طعام .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فقمعدنا مقاعد الغلمان من آباتهم فجىء بالطعام .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، وضعوا أيديهم .

فنظر القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلوك أكلة فكفوا أيديهم .

قال : فلاك الأكلة ، ثم لفظها ، وقال : لحمُ شاة ، أخذت بغير إذن أهلها .

فقامت المرأة فقالت : يا رسول الله ، أردت أن أجمعك وأصحابك على طعام ، فبعثت إلى البقيع . فلم أجد شيئاً يباع ، فبعثتُ إلى أخي : أن ابعث إليّ شاتك .

فلم يكن أخي ، ثمّ ، فذرع أهله إلى الشاة .

• عن أنس قال : نعى النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب مؤنثة على المنبر .

فبدأ يزيد ، ثم بجعفر ، ثم بابن رَوَاحَة . ثم قال :

وأخذ اللواء خالد بن الوليد ، وهو سيف من سيوف الله تعالى .

• عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أرسل عائشة إلى امرأة

فقالت :

ما رأيت طائلا . قال : لقد رأيت خالا بخدّها ، اقشعرت منه ذؤابتك .

قالت : ما دونك سِرٌّ ، ومن يستطيع أن يكتمك !

• عن سليمان بن صُرَد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : نفروم ولا يفروننا .

قال أبو نعيم : لحق الله ذلك ، ففزام ولم يُفَزَ بعد ذلك .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يظهر هذا الدين ، حتى يمازج البحار ، وحتى تُخاض البحار بالخليل في سبيل الله » .

• عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً له ليّ : مَنْ أشقى الناس ؟

قال : الذي عمّر الناقة ، يا رسول الله . قال : صدقت .

فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا أعلم لي يا رسول الله .

قال : « الذي يضرب على هذه » .

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى يافوخه (١) .

فكان على رضى الله عنه يقول لأهل العراق :

أما والله ، لوددت أنه انبعث أشقاها فحضب هذه ، يعني لحيته ، من هذه ، ووضع يده على مُقَدِّم رأسه .

(١) قال في الصباح : اليافوخ : وسط الرأس ، ولا يقال (يافوخ) حتى يصلب ويشند بعد الولادة . وفي القاموس : ضرب يافوخه . وهو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

• عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف . وكان من ثمود ، وكان بهذا الحزم يُدْفَع عنه . فلما خرج منه ، أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه . وآية ذلك ، أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه . أصبتهوه معه .

فابتدره الناس ، فاستخرجوا منه الغصن .

• عن ابن عمر قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء في الليلة [التي] قتل فيها العنسي ليبشرنا ، فقال : قُتِلَ الْأَسْوَدُ الْبَارِحَةَ ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مَبَارَكٌ . قيل : من ؟ قال : فيروز بن فيروز (١) .

• عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة ، بكيت فقال : لا تسكى ، وأبشري ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم :

ليموتنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين . وليس من أولئك النفر أحدٌ ، إلا وقد مات في قرية أو جماعة ، وأنا الذى أموت بالفلاة (٢) ، والله ما كذبت ولا كُذِّبْتُ ، فأبصرى الطريق .

(١) عند ابن كثير : فيروز فيروز .

(٢) الفلاة : الأرض التي لا ماء فيها . والجمع (فلا) مثل (حصاة)

و (حصى) ٨١ . مصباح .

قالت : قتلت : فإنه قد ذهب الحاج ، وفتطعت الطريق .
قالت : فكنت أشتد إلى الكتيب ، ثم أرجع إليه فأمرضه ، فإذا أنا
برجال على رءوسهم ، فألحقت^(١) بثوبى ، فأسرعوا ، وقالوا : مالك ؟

قلت : رجل من المساكين يموت .

قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر .

قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم .

فقدوه بأبائهم وأمهاتهم ، فكفنته أحدهم ، ودفنوه .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صنفا من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سياط كأذنان البقر ، يضربون بها الناس .

ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت

النائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يخرجن ريحها ، وإن ريحها ، لَيُوجَدُ من مسيرة

كذا وكذا .

• عن أبي نوفل قال : لما قتل ابن الزبير ، أرسل الحجاج إلى أمه

أسماء فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ، أن في قيف كذاباً

ومُبيراً^(٢) ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير ، فلا إخالك إلا إياه .

انفرد بإخراجه مسلم . والكذاب هو المختار بن عبيد .

(١) ألحقت بثوبى . أى : أشرت بثوبى إلى الرجال وهو تمييز مجازى كما فى

أساس البلاغة .

(٢) مبير . أى : ظالم سفال للدماء ، ومفسد فى الأرض .

• عن أبي هارون العبدى قال : كنا إذا دخلنا على أبي سعيد الخدرى قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنه سيأتيكم رجال من أقطار الأرض ، ليتفقوا ، فإذا أتوكم ، فاشتوصوا بهم خيراً .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ ، وَيُسْمَعُ مِنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ .

• عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، أن نبى الله صلى الله عليه

وسلم كان يزورها كل جمعة ، ولأنها قالت يوم بدر :

أَتَأْذَن لِي ، فَأُخْرَجَ مَعَكَ ، أَمْرَضَ مَرَضًا كَمَا ، وَأَدَاوَى جِرْحًا كَمَا ،

لَعَلَّ اللَّهُ يُهْدِي لِي شَهَادَةً ؟

قال : قَرَّبِي ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُهْدِي لَكَ شَهَادَةً .

وكانت أعتقت جارية لها وعلماً عن دبر (١) منها ، فطال عليهما ،

فبشاهها في قطيفة حتى ماتت ، وهربا .

فبني عمر فقيل له : إن ورقة قتلها غلامها ، وجاريتهما وهربا .

فبني عمر في الناس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يزور

أم ورقة ويقول : انطلقوا تزوروا الشهيذة ! وأني بهما ، فضليهما .

• عن ابن عباس قال : لما أسر العباس ، وطُلب منه الفداء قال :

ليس لي مال .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذي وضعتَه بمكة ،

(١) الدبر : الموت . يعنى ، قالت لها : أتتا — بعد موتى — حُرَّان

النوع من الصنق يسميه الفقهاء بـ « التدبير » .

حين خرجت ، عند أم الفضل وليس معكم أحد ؟ وقلت : إن أصبت في سفري هذا ، فلفضل كذا ، وأتم كذا ، ولعبد الله كذا ؟

قال : والذي بشعك بالحق ، ما علم بهذا أحد من الناس ، غيري وغيرها ، ^(١) وإني أعلم أنك رسول الله .

• وقد روى محمد بن إسحاق ، أن عمير بن وهب جلس مع صفوان ابن أمية بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وهو في الحجر . وكان عمير من شياطين قريش ، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة .

وكان ابنه وهب بن عمير ، في أسارى بدر فذكر أصحاب القليب ومصابهم . فقال صفوان : والله ما في العيش بعدهم من خير . فقال له عمير : صدقت ، والله ، أما والله لولا ديني علي ، ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم . فقال صفوان : فقل دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي ، أسوتهم كأسوتهم .

قال عمير : فآتم علي شأني وشأنك . قال : أفعل . ثم إن عميراً أمر بسيفه فشجذ وسُم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة . فراه عمر قد أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا عدو الله ، عمير قد جاء ، ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حَرَّشَ بيننا ، وحرزنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(١) في الأصل (وغيرك) وهو تحريف لمخالفته لسباق الكلام

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير ، قد جاء متوشحاً سيفه .
قال : فأدخله عليّ :

فأقبل عمر حتى أخذ بمحالة سيفه في عنقه ، فللبّبه بها .
وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون .
ثم دخل به عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رآه ، وعمر أخذ بمحالة سيفه في عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير .
فدنا ثم قال : أنم صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من
تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عمير ؟
قال : جئتُ في فداء أسير لي في أيديكم ، فأحسنوا إليّ .

قال : فما بال السيف في عنقك ؟

قال : قبجها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً .

قال : اصدقتني في الذي جئت له . قال : ما جئت إلا لذلك .

فقال : بل قدمت أنت وصفوان في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب
من قريش ، ثم قلت :

لولا دينٌ عليّ ، ولى عيال ، لخرجت حتى أقتل محمداً .

فتحمّل لك صفوانُ بن أمية بدّيتك وعيالك ، على أن تقتلني ، والله

حائلٌ بيني وبينك .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ! قد كنا نكذبك ، وهذا أمر لم

يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله

الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقَّهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره . ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله ، وإلى دين الإسلام ، لعل الله أن يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك .

فأذن له ، ففحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش :
أبشروا بوقعة تأتيتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه .
فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بدمع أبداً .

فلما قدم مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه ، فأسلم على يديه ناس .

* * *

قال المصنف : قال أبو الوفا بن عقيل : إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الإعلام بالغائبات والمستقبالات ، فيه مخاطرة عظيمة ، لأن الأسود ومسيمة ، فضحهما تخيمتهما فخرج الخبر على خلاف ما أخبرا به .

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : « سَيَصِلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » .

فلو أنه أسلم ، كان في هذا ما فيه ، وإنما طالع العواقب ، وذلك دليل على أنه كان شديد الثقة .

فالحمد لله الذي ثبته على ذلك ، وأنه بان لا يخاف أن ينهدم بأمور توجب التهم ، وإنما هو صادر عن قادر على الإتمام .

الباب السادس عشر

في إلالة الصخر له صلى الله عليه وسلم

• عن جابر قال : مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم يحفرون الخندق ثلاثاً ، لم يذوقوا طعاماً .

فقالوا : يا رسول الله . إن ههنا كُدْيَةٌ (١) من الخيل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رشوها بالماء .

ثم أخذ للمقول (٢) وقال : بسم الله . فضر بها ثلاثاً ، فصارت كشيياً (٣)
تهال (٤) .

قال جابر : فحانت منى التفاتة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
شدَّ على بطنه حجراً .
أخرجاه .

(١) الصخرة العظيمة . قال في القاموس : (الكدية) بالضم : شدة الدهر
كالكادية . والأرض الفليضة والصفاة (أى : الصخرة للمساء) العظيمة ، والشئ
الصلب بين الحجارة والطين . ا هـ . المراد منه .

وفي الصحاح والمصباح : الكدية : الأرض الصلبة ، والمعنى المراد المناسب هنا
ما أثبتناه في صدر الكلام .

(٢) المول : الفأس .

(٣) كشيياً . أى : ككومة الرمل . قال في القاموس : الكشييب : التل من الرمل .

(٤) تهال . أى : تهتت وتصب ، لأنها صارت كالرمل الناعم الذي لا يتاسك .

• عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بجعر الخندق ، فمرضت لنا صخرة في مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المعاول .
فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء فأخذ المعول وقال :
بسم الله .

و ضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت
مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الخمر من مكاني هذا .

ثم قال : بسم الله . و ضرب ضربة أخرى ، فكسر ثلث الحجر وقال :
الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأنظر المدائن ، وأبصر
قصورها البيض من مكاني هذا .

ثم قال : بسم الله ، و ضرب ضربة أخرى ، قطع بقية الحجر فقال :
الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأنظر إيوان صنعاء
من مكاني هذا .

الباب السابع عشر

في ذكر حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم

• عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة .

فقال امرأة من الأنصار ، كان لها غلام نجار : يا رسول الله ، إن لي غلاماً نجاراً ، أفلا أمره ، يتخذ لك منبراً يخطب عليه ؟ قال : بلى .

قال : فاتخذ له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة ، خطب على المنبر قال : فَأَنَّ الجذع الذي كان يقوم عليه كما يَبْنِي الصبي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا بكى لنا فَوَدَّ من الذِّكْرِ (١) .

• عن الطقيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة ، حتى يراك الناس وتُسمعهم خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات .

فأما صنع المنبر ، ووضع في موضعه ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر ، فرأى إليه ، خارا الجذع حتى كاد أن ينشق .

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسحه بيده ، حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر .

(١) رواه الإمام أحمد .

- فلما هدم المسجد ، وغير ، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب .
فكان عنده في داره ، حتى بلي وأكلته الأرضة ، وعاد رُفَاتاً (١) .
- عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يُسند ظهره إليها .
فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً ، فبنوا له منبراً ، له عقتان .
فلما قام على المنبر يخطب ، حنّت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- قال أنس : وأنا في المسجد ، فسمعت الخشبة تحن حنين الواله (٢) ،
فازالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت (٣) .
فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ، ثم قال :
يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه ،
لمكانه من الله عز وجل ، فأنتم أحق أن تشاققوا إلى لقاءه (٤) !
- عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فلما أخذ المنبر ، تحول إليه ، فحن الجذع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسحبه .
أخرجه البخاري .
- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فأتاه رجل رومي فقال : اصنع لي منبراً أخطب عليه .

(١) رواه أحمد ، ومثله عن الشافعي .

(٢) الواله : الذي ذهب عقله وتحمير من شدة الفرح والحب والحزن . كما

يستفاد من المصباح والصحاح .

(٣) روى هذه الزيادة البغوي .

(٤) رواه أحمد .

فصنع له منبره هذا الذي ترون .

فلما قام عليه يخطب ، حنَّ الجذع حين الناقة إلى ولدها .

فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضَّته إليه ، فسكت ، فأمر به أن يُدَقَّن ويحفر له .

• عن ابن بُريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذاه خطب ، قام فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فأَتَى بِجذع نحلة فحفر له ، وأقيم إلى جنبه .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب وطال القيام عليه ، استند إليه فاتكأ عليه .

فبصر به رجل كان ورد المدينة ، فقال لمن يليه من الناس :

لو أعلم أن محمداً يَحْمَدُنِي في شيء يرتُق به ، لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ايتوني به . فأَتَى به ، فأمره أن يصنع له هذه المراقى ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك راحة .

فلما فارق النبي صلى الله عليه وسلم الجذعَ ، وعمد إلى الذي صنَّع له ، جَزَعَ الجذع ، فحنَّ كما تحنُّ الناقة ، حين فارقه النبي صلى الله عليه وسلم .

فسمع بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع الجذع ، رجع إليه ، فوضع يده عليه وقال :

اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه ، فتكون كما كنت ، وإن شئت فأغرسك في الجنة ، فتشرب من أنهارها وعيونها ، فيَحْسُنْ بنبتك ، وتُشمر ، فبأ كل أولياء الله من ثمرتك ، فعلتُ » .

فرغم أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : نعم قد فعلت .
مرتين .

فستل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحب أن أغرسه في الجنة .

• عن أبي بن كعب ، عن أبيه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلى إلى جذع وكان عريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع .

فقال رجال من أصحابه : ألا نجعل لك شيئا تقوم عليه يوم الجمعة حتى
يرك الناس ، ويسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات ، فقام عليها كما كان يقوم .

فأضنى إليه الجذع فقال له : اسكن . ثم التفت فقال :

إن تشأ أغرسك في الجنة ، فيأكل منك الصالحون ، وإن تشأ أن
أعيدك رطبا كما كنت .

فاختار الآخرة على الدنيا .

فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، دُفع إلى أبي ، فلم يزل عنده إلى
أن أكلته الأرضة .

* * *

قال ابن عقيل : لا ينبغي أن يتعجب من حنين الجذع ، ومحى الأشجار
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن من جعل في المغناطيس خاصية تجذب
الحديد إليه ، يجوز أن يجعل في الرسول خاصية تجذب إليه .

الباب الثامن عشر

في تسبيح الحصى في يد، صلى الله عليه وسلم

• عن أبي ذر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس في مكان ، هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبَّحن ، حتى سمعت لهن حينئذ كنين النحل ، ثم وضعهن نخرسن . ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبَّحن حتى سمعت لهن حينئذ كنين النحل . ثم وضعهن نخرسن .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر حتى سمع لهن حينئذ كنين النحل ثم وضعهن فنخرسن .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهن حينئذ كنين النحل ، ثم وضعهن نخرسن .

الباب التاسع عشر

في ستره عن قصد أذاه من المشركين

- عن ابن عباس قال : لما نزلت « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر . فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بذيبة ، فلو قت لا تؤذيك . قال : إنها لن تراني . فجاءت فقالت : يا أبا بكر ، صاحبك هجاني بشعره . قال : لا ، ما يقول الشعر . قالت : أنت عندي مصدق ، وانصرفت . فقال يا رسول الله ، إنها لم ترك ؟ قال : لا ، لم يزل ملكٌ يسترفي منها بجناحه . امرأة أبي لهب ، هي أم جميل بنت حرب ، أخت أبي سفيان .

الباب العشرون

في دفع من أراد أذاه من الانس

- عن جابر بن عبد الله قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قفلت معهم ، فأدركته القافلة في وادٍ كثير العضاة (١) .
- فنزول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، فعلق بها سيفه .
- قال جابر : فبينما نومة .
- ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، فنجئناه ، فإذا أعراني عنده جالس .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اختط سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت ، وهو في يده صلتاً (٢) .
- فقال لي : من يمنع مني ؟ قلت : الله . هو ذا جالس .
- ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- أخرجاه .
- عن جابر بن عبد الله قال (٣) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) العضاة : شجر عظيم له شوك .

(٢) صلتاً : مجرداً من غمده ، بمعنى مصلت .

(٣) كذا ولعلها : أن رسول الله الخ .

لما رجع من غزاة بنى محارب ، جاءه رجل يقال له غورث بن الحارث ،
حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

من يمنعك مني ؟ قال : الله . فسقط السيف من يده .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك مني ؟

قال : كمن خير آخذ .

قال : أتشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

نحلي سبيله .

• عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعقر محمد وجهه فيكم بين

أظهركم ؟ قال : فقتيل نعم .

فقال : واللوات والعزى ، إن رأيتنه يفعل ذلك ، لأطأن على رقبته ،

ولأعقرن وجهه في التراب .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، زعم ليطأ عنقه قال :

فما فاجأه منه ، إلا وهو ينكص على عقبه ، ويتقى بيديه .

فقالوا له : مالك ؟ قال : إن بيني وبينه تخندقاً من نار ، وهو لا وأجنحة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا مني ، لاختطفته للملائكة

عضواً عضواً .

انفرد بإخراجه مسلم .

• حكى الواقدي عن أشياخه قال : جاءت الظهر يوم الفتح .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذّن بالظهر فوق الكعبة ،

وقريش فوق الجبال ، وقد فرّ وجوههم وتغيّبوا .

فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال عكرمة (١) بن أبي جهل :
لعمري لقد رفع لك ذِكْرِك ، أما الصلاة فنصلي ، ووالله ما نحب من قتل الأُحبة .
وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع بهذا اليوم .
وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ! ليقنى مت قبل أن أسمع بلالا ينهق
فوق الكعبة !

وقال الحكم بن أبي العاص : هذا واللات ، الحادث الجلل (٢) ، يصيح
عبد بنى جُحج ، ينهق على بَيْدِيَّة أبي طلحة .
وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيفيره .
وقال أبو سفيان بن حرب : أما أنا ، فلا أقول شيئاً ، ولو قلت شيئاً ،
لأخبرتَه هذه الحصاة .

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم ، فأقبل حتى وقف
عليهم فقال : أما أنت يا فلان ، فقلت كذا ، وأنت يا فلان ، فقلت كذا .
فقال أبو سفيان : أما أنا يا رسول الله فاقلتُ شيئاً .
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن عكرمة قال : قال شيبه بن عثمان : لما غزا النبي صلى الله عليه
وسلم حنيناً : فذكرت أبي وعمي قتلهما على وحمزة ، فقلت : اليوم أذكرك
فأرى من محمد .

فجنته من خلفه ، فدنوت منه ودنوت حتى لم يَبْق إلا أن أسوره بالسيف
سورة ، رُفِع إلى شواظ من نار كأنه البرق ، فنكصت القهقري .

(١) في الأصل « يقول » ، والصواب (قال عكرمة .. الخ) لأن للقرر في قواعد
النحو أن يكون جواب (لما) فعلاً ماضياً . (٢) في الأصل « الجليل » وهو تحريف

فالتفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تعال يا شيبه .
فوضع يده على صدرى ، واستخرج الله الشيطان من قلبى .
فرفعت إليه بصرى ، وهو أحبُّ إلىَّ من سمعى وبصرى .

• عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أن رجلا من بنى مخزوم ، قام
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده فِهر^(١) يرمى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فما أتاه وهو ساجد ، رفع يده وفيها الفهر ، ليدفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فبيست يده ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : جُبِنتَ عن الرجل ؟
قال : لا ، ولكن هذا فى يدي لا أستطيع أرسله .

فتعجبوا من ذلك ، ووجدوا أصابعه قد بيست على الفهر .
فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا : هذا شئ يراى .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا فى حديث الحكيم قالوا له : ما رأينا أمجراً
منك فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا تلوّمونا ، لقد تواعدنا له .

فما دنونا منه ، سمعنا صوتاً خلفنا ، ظننا أنه ما بقى بتهامة جبال
إلا أقيت .

ثم تواعدنا ليلة أخرى فرأيت الصفا والمروة ، التقتا فحالتا بيننا وبينه .

(١) الفهر : الحجر الصغير قدر ما يملأ الكف .

الباب الحادي والعشرون

في كيفية هلاك بعض من آذاه

عن أنس قال : كان رجل نصراني (١) فأسلم ، وكان يقرأ البقرة وآل عمران .

وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، وكان يقول :
ما يدرى محمد إلا ما كتبت له .

فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا :
هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا . فآلقوه .

فحفروا له وأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض . فقالوا :
هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا على صاحبنا .

فحفروا له ، وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض .
فعدوا أنه ليس من الناس ، فآلقوه .

قال المفسرون قوله تعالى : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » بين أنهم قوم كانوا يستهزون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، والمستهزون يطوفون بالبيت فمر بهم الوليد بن المغيرة .

(١) الاصل : كان رجلاً نصرانياً . وهو تحريف ، والحديث أخرجه البخاري وأحمد .

فقال جبريل : كيف تجرد هذا ؟ قال : بنس عبد الله . قال : قد كُفيت .
وأوماً إلى ساقه فرمَّ برجل يريش نبلاً ، فتعلقت شظية من نبله بإزاره ،
فمنعه الكبر أن يُطامن لينزعها ، فرض فمات .

ومرَّ العاص بن وائل ، فقال جبريل : كيف تجرد هذا ؟

قال : بنس عبد الله . فأشار إلى أخمص قدمه ، فمات .

ومرَّ الأسود بن عبد يفوث فقال : كيف تجرد هذا ؟ قال : بنس عبد الله .

فأشار إلى بطنه فمات حَبْنًا (١) .

ومرَّ الحارث بن قيس فقال : كيف تجرد هذا ؟ قال : بنس عبد الله .

فأوماً إلى رأسه فانتفخ رأسه فمات .

قال عكرمة : هلك المستهزئون قبل يدر .

قال ابن السائب : هلكوا في يوم وليلة .

(١) الحبن : داء يصيب البطن .

الباب الثاني والعشرون

في دفع من قصد أذاه من الشياطين

• عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة ، فتقطع على صلاتي ، فأمكنني الله منه فندعته ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه كلكم أجمعون ، فذكرت دعوة أخى سليمان « رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » . قال : فرددته خاسئاً .

ومعنى فدعته : خنفته ..

عن أبي التَّيَّاح قال : قلت لعبد الرحمن بن حُيَيْش : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين ؟

قال : تحدّرت عليه الشياطين تلك الليلة من الجبال والأودية ، يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار ، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء جبريل فقال : يا محمد ، قل . فقال : ما أقول ؟ قال :

قل : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق وذراً وبرا ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق [إلا طارقاً] يطرق بخير يا رحمن .

قال فظننت نارهم وهزمهم الله تعالى .

الباب الثالث والعشرون

في بيان أنه كان له شيطان

• عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ، ففرت عليه ، فجاء فعرف ما أصنع فقال : مالك يا عائشة أغرتِ ؟
قالت : ومالي لا يفار مثلي على مثلك .

قال : فأخذك شيطانك ؟ ! قلت : أومى شيطان ؟ قال : نعم .
قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ !
قال : نعم ، ولاكن ربي أعانتى عليه فأسلم .
انفرد بإخراجه البخارى .

وأكثر الرواة يقولون : « أسلم » بفتح الميم ، إلا سفيان بن عيينة
قال : فأسلم بضمها ، وليس بصحيح ، لأنه في بعض الألفاظ قال : « فلا يأمرنى
إلا بخير » .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فُضِّلْتُ
على آدم بمُخَصَّلتين : كان شيطاني كافراً فأعانتى الله عليه فأسلم ، وكن أزواجى
عوناً لى .

وكان شيطان آدم كافراً ، وكانت زوجته عوناً عليه .

الباب الرابع والعشرون

في دفع أذى الهوام عنه

• عن أبي أمامة قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخُفَّيه
يلبسهما ، فلبس إحداهما ، ثم جاء غراب فاحتمل الأخرى ، فرمى بها
فخرجت منه حيَّة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،
فلا يلبس خُفَّيه حتى ينفضهما .

الباب الحادي عشر والعشرون

في إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت

• عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال : أصيبت عين أبي قتادة بن النعمان الظفري يوم أحد ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهي في يده فقال :
ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله .

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك ،
فلم تفقد منها شيئاً .

قال : يا رسول الله ، إن الجنة لجزاء جزيل ، وعطاء جليل ، ولكني
رجل مُبتلى بحب النساء ، إن يقلن أعور ، فلا يرُدَّنِي ، وإلكن تردّها لي ،
وتسأل الله لي الجنة .

فقال : أفصل يا أبا قتادة . ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيهِ إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة .

قال : فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : من أنت يا فتى ؟

فقال :

أنا ابنُ الَّذِي سَأَلَتْ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ قُرِدَتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَحْسَنِ تَحَالُهَا وَيَا أَحْسَنَ مَا عَيْنٍ وَيَا طِيبَ مَا يَدِّ

فقال عمر : بمثل هذا ، فليتوسل إلينا المتوسلون .

ثم قال :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَفِيَانَ مِنْ لَبِنٍ شَيْبَا يَمَاءِ قَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

الباب السادس والعشرون

في كلام الجدار بحضرته

• عن أبي أسيد [الساعدي] البدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل ، لا ترم (١) منزلك غداً أنت وبنوك ، فإن لى فيكم حاجة .

فانتظروه فجاء فقال : السلام عليكم .

قالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : بخير . قالوا : كيف أصبحت يا رسول الله ؟ قال : بخير ، أحمد الله .

فقال : تقاربوا ، ليزحف بعضكم إلى بعض . ثلاثاً .

فإذا أمكنوه اشتمل عليهم بملائته وقال : هذا العباس عمى ، وصنو (٢) أبى ، وهؤلاء أهل بيتى ، اللهم استرهم من النار كسترى إياهم بملائتى هذه . قال : فأمنت أسكفة (٣) الباب وحوائط البيت . آمين ثلاثاً (٤) .

(١) لا ترم . أى الزم منزلك ولا تفارقه .

(٢) الصو : المثل . (٣) أسكفة الباب : عتبة .

(٤) الحديث رواه البيهقي وابن ماجه فى سننه ، عن عبدالله بن عثمان الوقاصى ،

قال عنه ابن معين : لا أعرفه وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مشبهة .

الباب السابع والعشرون

في تكليم الظبية (٢) له

• عن أبي سعيد الخدري قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله ، حُتني حتى أذهب فأرضع خِشني (٢) ثم أرجع فتربطني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« صَيْدُ قومٍ وربطة قوم » فأخذ عليها ، فخلفت له ، فخلها .
فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت ، وقد نفضت ما في ضرعها .
فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أتى خباء أصحابها . فاستوهبها منهم ، فوهبوا له ، فخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في بعض شأنه ، فإذا هو بظبية في رحل قوم ، فنادته : يا رسول الله . فوقف وقال : ما شأنك ؟

(١) روى حديث الظبية البيهقي من طرق من حديث أبي سعيد ، وضمه جماعة من الأئمة . وذكره القاضي عياض في الشفاء بلا سند عن أم سلمة . ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل .

قال السيحاوي : حديث الغزاة اشتهر على الألسنة وفي المدائح النبوية وليس له - كما قال ابن كثير - أصل ، ومن نسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كذب ،
(٢) قال في المصباح : الحشف (بكسر الحاء) ولد الغزال . يطلق على الذكر والأنثى والجمع خشوف . مثل حمل وحمول .

قالت : إن لي خِشْفين وها جِيع ، فأطلقني لأنطلق فأرويهما ، وأرجع إليك فتشدني .

قال : أتفعلين ؟ قالت : نعم ، وإلا يعذبني الله عذاب العشار (١) .
فخلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مكانه ، فما لبث أن جاءت
وضرعتها فارغ من اللبن .

فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستوهبها من الرجل ، فوهبها
له فأطلقها .

• عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء ،
فإذا مناد ينادى : يا رسول الله . فالتفت فلم ير شيئاً . ثم التفت فإذا ظبية
موثوقة فقالت : يا رسول الله ، أدن مني . فدنا منها فقال : هل لك من حاجة ؟
قالت : نعم ، إن لي خِشْفين في ذلك الجبل ، فحلّني حتى أذهب
فأرضعهما ، ثم أرجع إليك قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبني الله عذاب العشار ،
إن لم أفعل .

فأطلقها ، فذهبت فأرضعت خشفها ، ثم رجعت ، فأوقفها النبي صلى الله
عليه وسلم .

واتبه الأعرابي فقال : ألك حاجة يا رسول الله ؟ قال : نعم ، تطلق هذه .
فأطلقها ، فذهبت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك
رسول الله .

(١) العشار : المكاس . يعنى [الذى يأخذ الضرائب على أموال الناس وعلى

تجارهم] .

الباب الثامن والعشرون

في كلام الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عمر أن أعرابياً صاد ضَبًّا ، فجعله في كُفِّهِ ، يريد أن يجيء إلى أهله فيذبجه ويشويه ، ويأكله ، فإذا هو بجماعة فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : على رجل يذكر أنه نبي ، وهو محمد بن عبد الله .
فجاء حتى شقَّ الناس ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والللات والعزى ، ما سلَّمْتُ على ذى مُهْجَةٍ أبغض إلىَّ منك (١) ، ولولا أن يُسميني قومي العَجُول ، لعجبتُ عليك فقتلتك فسَرَرْتَ بقتلك الأسود والأبيض ، وأرحتُ بني هاشم وغيرهم ، إذ تسبُّ آلهتنا .
فعرفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أخا بني سليم : ما حملك على الذى قلت ، ولم تكرمنى فى مجلسى ؟
قال : وتكلمتُ أيضاً اللات والعزى (٢) ، لا آمنت بك ، حتى يؤمن بك هذا الضب . فطرح الضب بين يديه .
فقال عمر : ائذن لى أضرب عنقه .
فقال : أما علمت أن الحلیم كاد يكون نبيا !

(١) فى شرح المواهب عند الدارقطنى : فاتاه فقال : يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أ كذب منك .

(٢) كذا بالأصل . والرواية عند ابن كثير البداية ١٩٤/٦ : وتكلمنى أيضاً - استخفاها بالرسول - اللات والعزى الخ . ولعلها أصوب مما هنا .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضب فقال له : يا ضب .

قال : لبيك وسعديك . بلسان عربي مبين يفهم القوم جميعاً .

فقال له : يا ضب من تعبد ؟

قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ،

وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، قد أفلح من

صدقك ، وخاب من كذبتك .

قال الأعرابي : لا أبتغى أثراً بعد عين ! أشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بشعري وبشري ، وسري

وعلايتي .

والله لقد أتيتك ، وما على وجه الأرض أحد هو أبغضُ إليّ منك ،

ولأنتَ الآن ، أحب إلي من سمعي وبصري ، ووالدي ، وولدي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هدانا لهذا .

• عن ابن عباس قال : خرج أعرابي من بني سليم يتبدي في البرية ،

فإذا هو بضب ، فاصطاده ، ثم جعله فى كفه ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه

وسلم فناده :

يا محمد ، أنت الساحر ، ولولا أنى أخاف أن قومى يسمونى العجول

لضربتك بسيفي هذا .

فوثب له عمر ليطش به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

اجلس أبا حفص ، فقد كاد الخليم يكون نبيا .

ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأعرابي ، فقال له :

أَسْلَمَ تَسْلَمَ مِنَ النَّارِ .

فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالْعَزَى ، لَا أَوْ مِنْ حَتَّى يُؤْمِنَ بِكَ هَذَا الضَّبُّ .

ثُمَّ رَمَى الضَّبَّ مِنْ كَمِهِ . فَوَلَّى الضَّبُّ هَارِباً .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا الضَّبُّ أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ .

فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَ : أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

ثُمَّ أَنْشَأَ الضَّبُّ يَقُولُ :

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ صَادِقٌ فَبُورِ كَتَ مَهْدِيًّا وَبُورِ كَتَ هَادِيًّا
شَهَرْتَ لَنَا دِينَ الْخَنِيفَةِ بَعْدَ مَا عَبْدَنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاعِيَا
فَيَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَيَا خَيْرَ مُرْسَلٍ إِلَى الْجِنِّ ثُمَّ الْإِنْسِ لَتَبَيْكَ دَاعِيَا
أَتَيْتَ بِيُرْهَانَ مِنَ اللَّهِ وَاضِحٍ فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ الْقَوْلِ وَاعِيَا
فَبُورِ كَتَ فِي الْأَحْوَالِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَبُورِ كَتَ مَوْلُودًا وَبُورِ كَتَ نَاشِيَا

ثُمَّ سَكَتَ الضَّبُّ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ . وَاعْجِبًا ! ضَبٌّ اصْطَدَّتْهُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ ،
ثُمَّ أَتَيْتَ بِهِ فِي كَتَمِي ، يَكْلِمُ مُحَمَّدًا بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ ! !

أَنَا لَا أَطَّابُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ .

ثُمَّ نَزَفَتْ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَقَالَ : عَلِمُوا الْأَعْرَابِيُّ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ (١) .

(١) حَدِيثُ الضَّبِّ هَذَا مَشْهُورٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَلَكِنَّهُ غَرِيبٌ ضَعِيفٌ . قَالَ الْمِزْي :
لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ وَلَا مَتْنُهُ . وَهُوَ مَطْعُونٌ فِيهِ وَقِيلَ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ .

فصل

فإن قال قائل : ما رويتم من المعجزات لم يُنقل نقلَ التواتر .
قلنا : مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً ، كشجاعة عليّ ، وجود حاتم .
ثم عندنا ، القرآن الذي لا يُرتاب فيه ، فمعجزه قائم أبداً ، ينادي على
منار التحدى : « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ » .
ثم إذعان الملوك لنبينا صلى الله عليه وسلم مع فقره وضعفه ، وإقرار أهل
الكتاب بصفته ، من أكبر الأدلة .

الباب السابع والعشرون

في إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي

• عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقدمه المدينة ، فقال : يا رسول الله ، إني سألك ثلاث خصال ، لا يعلمهن
إلا نبي .

قال : سئل . قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول ما يأكل منه
أهل الجنة ؟ ومن أين يُشبه الولدُ أباه وأمه ؟

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبرني بهن جبريل آنفأ .

قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

قال : أمأ أول أشراط الساعة : فنار تحشرهم إلى المشرق تخرج
من المغرب .

وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأما شَبه الولد أباه وأمه : فإذا سَبَق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع إليه
الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إليها .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله .

ثم قال : يا رسول الله ، إن اليهود قومٌ بِيْهْت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي
يَبْهَتُونِي عِنْدَكَ ، فأرسل إليهم فأسألم عن أيِّ رجل ، ابنُ سلام فيكم ؟

فأرسل إليهم فقال : أيُّ رجل ابنُ سلام فيكم ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وعللنا وابن عللنا ، وأفقهنا وابن أفقهنا .

قال : أرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا : أعاده الله من ذلك !

قال : فخرج ابنُ سلام فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقالوا : شرنا وابن شرنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا .

فقال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

انفرد بإخراجه البخارى .

• عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، نحن نسألك عن خمسة أشياء ، فإن أنت أنبأتنا بها ، عرفنا أنك نبي واتبعناك .

قال : فأخذ عليهن ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا :

والله على ما نقول وكيل .

قالوا : حدثنا عن علامة النبي .

قال : تنام عيناه ولا ينام قلبه .

قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة ، وكيف تُذكر ؟

قال : يلتقي الماءان ، فإن علا ماء المرأة ماء الرجل أنتت ، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكّرت .

قالوا : صدقت .

قالوا : ما حرّم إسرائيل على نفسه ؟

قال : كان يشتكى عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه ، إلا ألبان الأبل ،

فحرم لحومها . قالوا : صدقت .

قالوا : أخبرنا ما هو الرعد ؟

قال : ملك من الملائكة ، موكل بالسحاب ، بيده أو في يده ، مخراق من نار ، يَزْجُرُ به السحاب ويصرفه حيث أمره الله تعالى .

قالوا : فما هذا الصوت الذي يُسمع ؟ قال : صوته .

قالوا : صدقت .

إنما بقيت واحدة ، وهي التي إن أخبرتنا بها ، اتبعناك ، أنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر من السماء ، فمن يأتيك بالخبر من صاحبك ؟

قال : جبريل .

قالوا : جبريل ! ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال ، ذاك عدونا من

الملائكة ، لو قلت ميكائيل ، الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطار !

فأنزل الله تعالى : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ -

الآية » (البقرة ٩٧) .

• عن عبد الله قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

يحدث أصحابه . فقالت قریش : يا يهودى : إن هذا يزعم أنه نبي .

قال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي .

قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد ، مم يخلق الإنسان ؟

قال : يا يهودى من كلِّ يَخْلُقُ ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة .

فأما نطفة الرجل ، فنطفة غليظة ، منها العظم والعصب .

وأما نطفة المرأة ، فنطفة رقيقة ، منها الدم واللحم .

فقام اليهودى فقال : هكذا كان يقول مَنْ قَبْلَكَ .

• عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد .

فدفعته دفعةً كاد يُضرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟

فقلت : ألا تقول يا رسول الله !

فقال اليهودى : إنما أدعوه باسمه الذى سماه به أهله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمد الذى سماني به أهلى .

فقال اليهودى : جئت أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ينفعك شئ ، إن حدثتكم ؟

قال : أسمع بأذنى .

فحك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودٍ معه . فقال : سل .

فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض

والسموات ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الظلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازةً ؟ قال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟

قال : زيادة كبد النون .

قال : فما غذاؤهم فى أثرها .

قال : يُبخر لهم ثور الجنة ، الذى كان يأكل من أطرافها .

قال : فما شرايبهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسى سلسيلا .

قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض ، إلا نبي
أورجل أو رجلان .

قال : ينفعك إن حدثتكَ ؟ قال : أسمع بأذني ، جئت أسألك عن الولد .

قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مَنِيُّ

الرجل مَنِيَّ المرأة ، أذكرا ياذن الله ، وإذا علا مَنِيُّ المرأة مَنِيَّ الرجل ،
أنثا ياذن الله .

فقال اليهودي : لقد صدقتَ ، وإني لك لنبي . ثم انصرف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه

ومالي علم بشيء منه ، ثم أتاني الله به .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثلاثون

في رؤيته الأشياء من وراء ظهره

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبل علينا بوجهه قبل أن يكبّر ، فيقول : تراصوا واعتدلوا ، فإني أراكم من وراء ظهري .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قبلي ها هنا ، فوالله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري .

الحدِيثان في الصحيحين .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموها الصفوف ، فإني أراكم من خلف ظهري .

الباب الحادي والثلاثون

في أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء .

• عن عائشة رضی الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة ، كما يرى في الضوء .

الباب الثاني والثلاثون

في إجابة دعائه

- عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر :
أين على ابن أبي طالب ؟
فقيل : هو يشتكى عينيه .
قال : فأرسلوا إليه ، فأُتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه ، ودعاه له ، فبرئ ، كأن لم يكن به وجع .
أخرجه .
- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان أبي يَسْمُرُ مع عليّ ،
وكان عليّ يلبس ثياب الصيف في الشتاء ، وثياب الشتاء في الصيف .
فقيل : لو سألته ، فسأله ، فقال :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليّ ، وأنا أَرْمَدُ العين يومَ خيبر .
فقلت : يا رسول الله ، إني أَرْمَدُ العين . ففعل في عيني وقال :
اللهم أذهب عنه الحرَّ والبردَ . فإ وجدتُ حرًّا ولا برداً ، منذ يومئذ .
- عن يعقوب بن مَرْة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر ، حتى إذا كنا ببعض الطريق ، مررنا بامرأة جالسة معها صبي
لها ، فقالت :
يا رسول الله ، هذا أصابه داء يؤخذ في النوم ، ما أدرى كم مرة .

قال : ناولينييه . فدفعته إليه . فجعله بينه وبين واسطة الرّحل ، ثم فرّاه (١) فتمل فيه ثلاثاً ، وقال : « بسم الله يا عبد الله ، أحسأ يا عدو الله » ثم ناولها لياه .

وقال : « القينا في الرّجعة في هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل .

قال : فذهبنا ورجعنا ، فوجدناها في ذلك المكان معها شياء ثلاث .

فقال : « ما فعل صبيّك ؟ » قالت : والذي بعثك بالحق ، ما حسّسنا منه شيئاً حتى الساعة ، فاجترّ هذا الغنم .

قال : انزل نخذ منها واحدة ، ورؤدّ البقية (٢) .

• عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : يا رسول الله ، إن به كمأ وإنه يأخذه عند طعامنا .

قال : فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا ، ففتح ثعّة (٣) فخرج من فيه ، مثلُ الجرو الأسود . فسعى (٤) .

• عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، إذ قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله أن يسقينا . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قرعة (٥) .

(١) فرّاه . أى : فتحّه . (٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) ثغ : قاء . وقيل : سعل .

(٤) تفرد به أحمد . وفيه فرقد السنجي وهو سبيء الحفظ .

(٥) القرعة : انقطة من السحاب .

فتار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادرٌ على لحيته .

قال : فَمَطِرْنَا يَوْمَنَا وَمِنَ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ ، وَالَّذِي يَلِيهِ ، إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخِرَى .
فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ ، أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ فَقَالَ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَهْدَمُ الْبِنَاءُ ، وَغَرِقَ الْمَالُ ، فَادْعِ اللَّهَ لَنَا .
فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ حَوَالِنَا وَلَا عَلَيْنَا .

قال : فَمَا جَعَلَ يُشِيرُ بِيَدَيْهِ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا انْفَرَجَتْ ، حَتَّى صَارَتْ الْمَدِينَةَ فِي مِثْلِ الْجَوْبَةِ (١) حَتَّى سَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا .
قال : وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ ، إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ . أَخْرَجَاهُ (٢) .

● عن أنس بن مالك أنه سئل : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضع يديه في الدعاء ؟

قال : نعم ، بينا هو في جمعة يخطب الناس ، فقيل له : يا رسول الله قحط المطر ، وأجذبت الأرض ، فادع الله عز وجل .

فرفع يديه ، حتى رأينا بياض إبطيه ، فاستسقى وما في السماء سحابة .
فما قضينا الصلاة ، حتى إن الشاب القريب الدار ليئمه الرجوع إلى أهله ، فدامت جمعة . فلما كانت الجمعة الأخرى ، قالوا :

يا رسول الله ، تهدمت البيوت ، واحتبس الركبان ، وهلك المال .
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بيده هكذا ، ففرق بين يديه : « اللَّهُمَّ حَوَالِنَا وَلَا عَلَيْنَا » . قال : فتكشفت عن المدينة .

(١) قال في الصحاح : الجوبة : الفرجة في السحاب وفي الجبال . وانجابت السحابة : انكشفت . والجوبة أيضاً : الحفرة المستديرة الواسعة ، أى : صار الغيم والسحاب محيطاً بآفاق المدينة . (٢) في مواضع من كتاب الصلاة .

• عن عائشة بنت سعد أن أباهما حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وادياً دَسَّساً لا ماء به ، وسبقه المشركون إلى القُلب ، فنزلوا عليها ، وأصاب المسلمين العطش ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجم النفاق^(١) .

وقال : بعض المنافقين : لو كان نبياً كما يُزعم ، لاستسقى لقومه كما استسقى موسى .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أو قالوها ! عسى أن يسقيكم . ثم بسط كفيه وقال :

« اللهم جَلِّنا سحاباً كثيفاً مُقدَّودقاً ، تضحك منه الأرجاء ، تُمطرنا منه رذاذاً قد قطع ، سَجَلاً نعاقاً^(٢) ، يا ذا الجلال والإكرام . »

فأردَّ يديه من ردائه ، حتى أظلقنا سحابة تتلون في كل صفةٍ وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات السحاب .

قال : ثم أمطرنا الضروبَ التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفعم السيلُ الوادى ، فشرب الناس وارتووا .

• عن أنس قال : لما كان يوم الحُدَيْبية ، دبَّط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح ، من قبيل جبل التَّنعيم ، يريدون غرَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا عليهم ، وأخذوا مللَ عنان فعفا عنهم ، ونزلت هذه الآية : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ

(١) نجم النفاق . معناه : ظهر واستعلن واضحا .

(٢) الرِّدَّاد : المطر الضعيف ، والسَّجَل المطر الغزير . والنعاق المرتفع الصوت .

يَدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ
أَعْيُنُهُمْ» (١).

- عن عمرو بن أخطب قال : استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءً ، فأنثته بقدر فيه ماء ، وكانت فيه شعرة فأخذتها ، فقال : اللهم جملها .
قال : فرأيته ودو ابن أربع وتسعين سنة ، ليس في لحيته شعرة بيضاء .
• عن أنس قال : دعا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
اللهم أكثر ماله وولده ، وأطول حياته .
فأكثر الله مالى ، حتى إن كنز مالى يُحمل فى السنة مرتين ، وولدى
لصلى ، مائة وستة .

- عن نوفل ، عن أبيه قال : كان ابن أبى هب يسبُّ النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عتبة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك » .

نخرج يريد الشام فى قافلة مع أصحابه ، فنزلوا منزلاً فقال :
والله إنى لأخاف دعوة محمد . قال : فةالواله : كلاً .
قال : فخطوا المتاع وقعدوا حوله يحرسونه .
قال : فجاء السبع ، فانتزعه فذهب به .

- عن جابر ، عن بلال قال : أذنتُ بالصبح فى ليلة باردة ، فلم يأت أحد ، ثم أذنتُ فلم يأت أحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما شأنهم يا بلال ؟

قلت : كبدتم (٢) البرد . فقال : « اللهم اكسر عنهم البرد » .

(١) سورة الفتح آية ٢٤

(٢) كبدتم : شق عليهم وضيق ، من الكبد وهو الشدة والضيق . أو أصاب

أكبادهم ، وهو أشد البرد . النهاية ٢/٤ .

قال بلال : فلقد رأيتهم يتروّحون :

• عن أنس ، أن أبا طالب مرض ، فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا بن أخي ، ادعُ ربك الذي تعبد به أن يعافيني .

قال : « اللهم اشفِ عمي » فقام أبو طالب ، كأنما أنشط من عقال .

قال : يا بن أخي ، إن ربك الذي تعبد به أيطيعك .

قال : وأنت يا عماء ، لو أطعت الله لأطاعك .

* * *

فصل

ولما ظهرت معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبعه المؤمنون عملاً بالدليل ، لا تقليداً .

ولهذا كانوا يتعرضون ليعرفوا السبب ، فيقولون : واصلت ونهيتنا ، وفعلت كذا . فيبين لهم سبب ذلك :

فما أذعنّت له القلوب وشاع الإسلام ، صَدَّيْتُ قلوبُ مكذِّبيه وحاسديه .

فرضى اليهود بالخلود في النار ، اتباعاً لمقتضى الحسد ، مع علمهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخذ قوم يقولون ، بزعمهم ، مثل القرآن ، كسيلة فإنه قال : يا ضفدع نقيّ كم تنقّين .

وسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي فنبت شعره ، فمسح على رأس صبي فقرع .

وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق في بئر فحاشت بالرى ، فصق هو في بئر فيست .

* * *

فلما فشا الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتحت البلدان ، اجتمع جماعة من الملحدين فقالوا : لا طاقة لنا بالمسلمين ، فهاؤوا حتى نظهر الإسلام وتدخل فيه الآفات .

وهم الباطنية ، يظهرون الإسلام والتعبد ، ومقصودهم الجهال واصطيادهم .

فإذا تنكروا منهم ، كاشفوا بالإلحاد .

قال ابن عقيل : لو اجتمعت برئيس الباطنية ، سلكت معه طريق الإزراء على عقله وعقول أتباعه .

فكنت أقول : الآمال طرق ووجوه ، ووضع الأمل في جهة الإياس محق .

وقد طبقت شريعة الإسلام الأرض وتمكنت .

فلها تجتمع كل سنة بعرفة ، وكل أسبوع في الجمعة ، ومجامع في المساجد .

فتي تحدثون أنفسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر في الآفاق ، وكل يوم يؤذن على مائتي ألف منار باسم هذا الرسول .

وغاية ما أنتم عليه حديث في خلوة ، لو ظهر لم يؤمن هلاك قائله .

فلا أعرف أحق منكم !

ها إلى أن يحيى باب المناظرة !

* * *

قال المصنف : وقد اندس جماعة من الملحدين في المسلمين ، كأبي العلاء
المعري وابن الراوندي قبله ، فماتاً على أقبح صفة .
واندس منهم جماعة في الحدّثين ، فوضعوا أحاديث يقصدون بها شين
الشريعة وتناقضها .

فأظهر الله علماء يكشفون فضائحهم ويبينون الصواب من الخطأ .
وأظهر قوم التكهن ، فأقبلوا يخبرون عن الغيوب ، وأخذ قوم
يتكلمون على ما في القلوب ، والمنجم عمّا يكون غداً .
كل ذلك ليظهروا أن دين الإسلام لم يأت بمعجزة .
ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

* * *

قال ابن عقيل : ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم
أن الباري سبحانه ، إنما يمهل الكذاب يسيراً ، ثم يستأصله بالعذاب :
فيجوز أن يمهل من يكذب عليه سنين ، ثم يثبت شريعته بعده ؟ !
وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله ، وحلّل السبت ، ثم ينصر أتباعه
على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز ؟ !
حاشاه أن يفعل ذلك ، إذ لو فعله لم يتبين الصدق من الحال .
ألم تسمعه تعالى يقول : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا
مِنْهُ بِالْيَمِينِ » (الحاقة ٤٤ و ٤٥) .
فن طعن في صدقه ، طعن في عدل الباري وحكمته ، لأن الطعن يتوجه
على المعين .

قال : ولقد فاضت أشعة معجزاته على أصحابه .
فكتب عمر إلى نيل مصر ، ونادى سارية ، فأسمعه .
وجيء بكنوز كسرى ، قسمت في مسجده صلى الله عليه وسلم .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	يهودى يعترف بذكر محمد	٣	كلمة الناشر
٨٨	في التوراة	٥	مقدمة المصحح
	أخبار اليهود يخبرون تبعاً	٢١	مقدمة المؤلف
٨٩	بظهور محمد وصفته	٢٣	تراجم الأبواب
	الزبير بن باطا يعرف محمداً ثم	٦٥	أبواب بداية نبينا
٩٠	ينسكروه	٦٧	ذكر التنويه بذكر نبينا
٩٠	اليهود ينكرون نبوة محمد حسداً	٧٠	ذكر الطينة التي خلق منها
	عمر بن الخطاب يسأل أخبار	٧٢	دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد
٩٢	اليهود		بيان ذكره في التوراة والإنجيل
	حديث أبي سفيان عن أمية	٧٣	« يجدونه مكتوباً عندهم »
٩٤	ابن أبي الصلت	٧٤	ميثاق الله على النبيين
	حديث عاصم بن عمر بن قتادة	٧٤	صفة رسول الله في التوراة
٩٨	عن اليهود	٧٥	روايات عن كعب الأخبار
٩٩	قصة سلمان الفارسي	٨١	خبر عن مالك بن سنان
	حديث جبير بن مطعم عن	٨٢	معرفة أبي عامر الراهب بالرسول
١٠٠	نصارى بصرى		استفتاح اليهود على الأوس
	حديث صفية بنت حيي عن	٨٣	والخزرج بمحمد
١٠٢	أبيها وأمها	٨٤	للغيرة بن شعبة يحمي عن المقوقس
١٠٣	حديث مجيريق اليهودى وإسلامه		الراهب يخبر ورقة بن نوفل
	المشركون يسألون أخبار اليهود	٨٦	عن محمد
١٠٤	عن محمد	٨٦	كيف سماك أبوك محمداً ؟
١٠٥	إسلام عمرو بن عبسة	٨٧	خبر عن سلمة بن وقش

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ذكر طريق مكة في شعيا	١٢٢	خبر أساقفة نجران	١٠٦
ذكر الحرم في كتاب شعيا	١٢٣	«خبر الدين اسودت وجوهم»	١٠٦
تعليق لابن قتيبة على هذه الأخبار	١٢٣	خبر سهل مولى عثيمة النصراني	١٠٦
رتعيق لمؤلف غيرها	١٢٥	خبر عن عمر بن عتس	١٠٧
إعلام كعب بن غالب بعثته	١٢٦	بما أوحى الله إلى عيسى	١٠٧
صلى الله عليه وسلم	١٢٦	حديث لوهب بن منبه عن شعيا	١٠٨
ذكر منام رآه نصر بن ربيعة		رجل من أهل الشام يبشر نساء	
يدل على وجوده صلى الله		قريش بمحمد	١٠٨
عليه وسلم	١٢٨	من أعلام نبينا الموجودة في التوراة	١٠٩
ذكر نسب محمد صلى الله عليه وسلم	١٣١	تعليق لابن قتيبة على هذا الخبر	١٠٩
ذكر طهارة آباءه وشرفهم	١٣٢	ومن أعلامه في التوراة «جاء الله	
بيان أن جميع العرب ولدوا		من سيناء . . .»	١١٠
رسول الله	١٣٤	«إني أقيم لبي إسرائيل نبياً من	
قوله: «ولدت من نكاح»	١٣٥	إخوتهم . . .»	١١١
ذكر منام رآه عبد المطلب يدل		من أقوال حقبو النبي	١١٢
على وجوده	١٣٦	من ذكر شعيا لمحمد صلى الله	
ذكر منام رآه خالد بن سعيد		عليه وسلم	١١٤
ابن العاص	١٣٨	من قول كعب عن الرسول	١١٤
ذكر منام رآه عمرو بن مرة		من ذكر شعيا لمحمد	١١٤
الجهني	١٣٩	من ذكر داود له	١١٤
ذكر تزويج عبد المطلب وأبنة		من ذكر شعيا له يصفه بركوب	
عبد الله إلى بن زهرة	١٤٥	الجل	١١٦
ذكر عبد الله أبي نبينا	١٤٦	ذكر النبي في الإنجيل	١١٧
تزوج عبد الله أمية بنت وهب	١٤٨	ذكر مكة والحرم في الكتب	
ذكر ماجرى لأمية في حملها		للتقدمة	١١٩
بالرسول	١٥٢		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٦	كفالة أبي طالب رسول الله	١٥٣	ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب
	خروج الرسول إلى الشام مع	١٥٤	مولد نبينا صلى الله عليه وسلم
٢١٨	عمه أبي طالب ولقائه بحيرى	١٥٦	قصة الفيل
٢٢٣	حضور الرسول حزب الفجار		ذكر ما جرى عند وضع آمنة
٢٢٥	حضوره حلف الفضول	١٦٠	رسول الله
	ذكر ما كان رسول الله يتعبد به	١٦٤	ولادته مسروراً محتوناً
٢٢٨	قبل النبوة		ذكر الحوادث التي كانت ليلة
	ذكر حالة جرت لرسول الله مع	١٦٥	ولادته
٢٣١	الملائكة وهو ابن عشرين سنة		ذكر أمهات الحوادث في سنه
٢٣٣	ذكر رعيه الغنم	١٦٩	صلى الله عليه وسلم
٢٣٤	« اشتغاله بالتجارة قبل النبوة	١٧٣	ذكر أسماء نبينا محمد
	« خروجه إلى الشام في تجارة	١٧٦	« كنيته
٢٣٥	خديجة	١٧٨	« أول من أرضعه
٢٣٧	زوجه بخديجة	١٨٠	« حليمة التي أرضعته بعد ثوية
	شهود رسول الله بنيان الكعبة	١٨٥	« شرح صدره في صفه
٢٣٩	ووضعه الحجر بيديه		« ما جرى لرسول الله بعد
٢٤١	أبواب نبوته صلى الله عليه وسلم :	١٩٣	تمام خمس سنين
٢٤٤	ذكر الهوائف بنبوة نبينا	١٩٥	ذكر وفاة أمه آمنة
٢٥٣	إعلام الوحش بنبوته		« كفالة عبد المطلب
	ذكر أمارات النبوة التي رآها	١٩٩	لرسول الله
٢٥٥	رسول الله قبل بعثه		ذكر خروج عبد المطلب
	ذكر تسليم الأحجار والأشجار	٢٠١	برسول الله يستسقون به
٢٥٧	عليه		خروج عبد المطلب لتهنئة سيف
٢٥٨	ذكر بدء الوحي	٢٠٤	ابن دى زن، وبشارة سيفه
	« تعليم جبريل رسول الله	٢١٣	ذكر موت عبد المطلب
٢٦٦	الوضوء والصلاة		

الموضوع	الموضوع
٣١٤	ذكر ما كتبه المشركون من النبوة بخديجة وعلى
٣١٩	ذكر ما جرى لرسول الله مع ضمام الأزدى
٣٢١	ذكر ما جرى لرسول الله مع عتبة بن ربيعة
٣٢٣	ذكر ما أشار به الوليد على قریش في أمر رسول الله
٣٢٦	ذكر ما جرى لرسول الله مع الطفيل بن عمرو
٣٣٠	ذكر ما جرى لرسول الله مع أبي طالب عند موته
٣٣٥	ذكر ما جرى لرسول الله بعد موت أبو طالب وخديجة
٣٣٧	ذكر ما جرى لرسول الله في خروجه إلى الطائف
٣٤٣	دخول رسول الله مكة لما رجع من الطائف
٣٤٤	عرض رسول الله نفسه على القبائل في المواسم
٣٤٥	تعليق لابن الجوزي على دخول الرسول في خفارة كافر و عرض نفسه على القبائل
٣٤٦	ذكر ما جرى لرسول الله مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة
٢٦٨	ذكر صلاة رسول الله في بداية النبوة بخديجة وعلى
٢٧٠	صفة نزول الوحي عليه
٢٧٦	ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله من الملائكة في نبوته
٢٧٧	سؤال رسول الله ربه أن يريه آية تقوى ما عنده
٢٧٨	رمى الشياطين بالشهب حين بعث ، وتنكيس الأصنام
٢٨٢	ذكر ما وقع من التغير في أحوال كسرى أبريز عند بيعته صلى الله عليه وسلم
٢٨٩	ذكر دعاية رسول الله الناس إلى الإسلام
٢٩١	ذكر إنذار رسول الله في المواسم
٢٩٢	» إنذاره عشيرته
٢٩٦	» عموم رسالته
٢٩٧	» إرساله إلى الجن
٢٩٨	» كونه خاتم النبيين
٢٩٩	» ما لاقى رسول الله من أذى الكفار وهو صابر
٣٠٧	ذكر ما روى عن إيمان أكمهم ابن صيفي برسول الله
٣٠٩	أمر رسول الله أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ذكر لقاء رسول الله عبد الله	٣٤٩	ذكر معراج رسول الله	
ابن سلام حين دخل المدينة	٣٩٨	« لقاء رسول الله الأنصار	
فضل المدينة	٣٩٩	في العقبة الثانية في سنة ثلاث	
ذكر بناء مسجد الرسول	٤٠٠	عشرة من النبوة	
فضل مسجد رسول الله صلى الله		علم قريش ما جرى للأنصار	
عليه وسلم	٣٦٣	وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك	
ذكر ما بين بيته ومنبره	٣٦٩	أبواب هجرته إلى المدينة :	
ذكر بيوت رسول الله ومنازل	٣٧١	ذكر خروج رسول الله إلى الغار	
أزواجه	٣٧٤	« ذكر ما جرى في الغار	
دعاء رسول الله أن يحبب الله		« ما جرى له في طريقه إلى	
إلى أصحابه المدينة	٣٧٧	المدينة	
صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة	٣٨٢	ذكر حديث أم معبد	
ذكر الوقت الذي حولت فيه	٤٠٨	تورية أبي بكر عن رسول الله	
نزول فرض رمضان	٤٠٩	في طريقهم إلى المدينة	
ذكر أن رسول الله كان يجرس		لقاء رسول الله في طريق المدينة	
بالمدينة	٤٠٩	بريدة الأسلمي وتفاؤله باسمه	
أبواب معجزاته :	٣٩٠	وخدمة بريدة إياه	
كانت صورة نبينا وهيئته وسمته		ذكر تلقى أهل المدينة رسول الله	
تدل العقلاء على صدقه	٤١٢	ودخوله إليها	
ذكر معجزه الأكبر وهو		ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله	
القرآن العزيز	٤١٣	إلى المدينة	
أوجه إعجاز القرآن	٤١٣	ذكر المكان الذي نزل به حين	
عجز العرب عن معارضته	٤١٥	دخل المدينة	
رد ابن عقيل على من قال إن		ذكر فرح أهل المدينة بقدمه	
إعجاز القرآن بالعرفه	٤١٧	صلى الله عليه وسلم	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
رمى في وجوه المشركين بكف	٤٦٥	رأى المؤلف في ذلك	٤١٧
من تراب فملاً أعينهم	٤٦٦	معنى حفظ الله للقرآن	٤١٨
إشارته إلى الأصنام فوقعت	٤٦٧	الدليل على أن القرآن ليس من	٤١٩
إخبار رسول الله بالفائبات	٤٦٧	قول الرسول	٤١٩
معنى : « إذا هلك كسرى فلا	٤٦٧	هل يوضع للقرآن ترجمة ؟	٤٢٠
كسرى بعده »	٤٨٥	رأى ابن عقيل في ذلك	٤٢٠
تعليق لابن عقيل على دلالة إخبار	٤٨٦	معنيان عييان للمؤلف في إعجاز	٤٢٢
للسلوة بالفائبات	٤٨٨	القرآن	٤٢٤
إلانة الصخر له	٤٩٢	معجزه بشق القمر	٤٣٣
ذكر حنين الجذع إليه	٤٩٣	إظهار معجزاته في تكثير الطعام	٤٣٥
تسبيح الحصى في يده	٤٩٤	ذكر معجزه في تكثير السمن	٤٣٨
ستره عن قصد أذاه من المشركين	٤٩٨	معجزته في تكثير التمر	٤٤٦
دفع من أراد أذاه من الإنس	٥٠٠	معجزته في تكثير الماء	٤٥٠
كيفية هلاك بعض من أذاه	٥٠١	ذكر نبع الماء من بين أصابعه	٤٥٣
دفع من قصد أذاه من الشياطين	٥٠٢	معجزه في تكثير اللبن	٤٥٧
بيان أنه كان له شيطان	٥٠٣	ظهور معجزته بمجىء الشجر إليه	٤٥٩
دفع أذى الطوام عنه	٥٠٤	الفرق بين المعجزة والسحر	٤٦٠
إعادته عين بعض أصحابه وقد	٥٠٥	تحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره	٤٦٤
خرجت فاستقامت	٥٠٧	ذكر شكوى البهائم إليه وذل	
كلام الجدار بحضرة		الستصب منها له	
تكليم الطيبة له		ذكر معجزته التي ظهرت في	
كلام الضب لرسول الله		الركوب	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٢٢	موقف الناس بمد ظهور معجزات الرسول	٥١٠	دلالة المعجزات في مجموعها ، وإن لم تنقل نقل التواتر
٥٢٣	موقف الملاحدة من الإسلام ، ورأى لابن عقيل	٥١١	إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي
٥٢٤	المعدون يندسون بين المسلمين	٥١٦	رؤيته الأشياء من وراء ظهره
٥٢٤	من أكبر الدلائل على صدق نبينا أن الله لم يخذله .	٥١٦	ذكر أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
		٥١٧	إجابة دعائه

تم بحمد الله وعونه الجزء الأول من كتاب « الوفاء بأحوال المصطفى »
 صلى الله عليه وسلم و يليه — إن شاء الله — الجزء الثاني ، وأوله :

أبواب فضله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
 ومثل ما بعث به ومثل أمته
 ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس